تُراث

torathehc

تراثية ثقافية منوعة تصدر عن هيئة أبوظبي للتراث العدد 292 فبراير 2024

التراث الثقافي
على أجنحة أكاديميات متخصصة

توظيف التراث الثقافي
في الشعر الإماراتي المعاصر

محميات ثقافية تراثية
(أهدافها.. رسائلها.. رؤاها)

طقوس الشتاء
في الأمثال الشعبية الإماراتية

الإمارات ومركز أحمد بابا في تمبكتو
(دعم بلا حدود لترميم المخطوطات)

المطر لازمة الحياة

يا النميري أهلا بيك
شعب العين بيحييّك

الرمسة الإماراتية
تدريسها وترجمتها إلى اللغات الأخرى

الأرشيف والمكتبة الوطنية يؤسس لأكاديمية عالمية في علم الأرشفة

المؤسسات التراثية الأكاديمية:

تحقق التكامل في ميدان التراث الثقافي

تعتبر الأكاديميات المعنية بالتراث والثقافة في الوطن العربي مراكز علمية رائدة تسعى بجدية إلى ترسيخ النظريات والمفاهيم والمعارف التراثية، والاحتفاء بحملة التراث، وتدشين قنوات الشراكة والتعاون مع مختلف الهيئات والمؤسسات العلمية والثقافية على مستوى العالم. وتتنوع خدمات هذه المؤسسات لتشمل برامج دراسية متكاملة ودورات دبلومية مهنية، تغطي مجموعة واسعة من التخصصات ضمن ميدان التراث الثقافي، مثل الدبلوم المهني في التراث العمراني، وجمع التراث الشفاهي وتدوينه، وترميم المخطوطات وصيانتها، وإدارة المتاحف، بالإضافة إلى تخصصات أخرى ذات صلة. وبفضل هذه الأكاديميات، يتاح للطلاب والباحثين فرصة التعمق في فهم التراث الثقافي بأبعاده المتعددة، وتكوين مهارات عملية تُمكّنهم من المساهمة الفعالة في حفظ هذا التراث الغني والمتنوع وتطويره. وتقدم هذه المؤسسات الأبحاث الأكاديمية المتخصصة حول مكونات التراث الثقافي، وتسعى جاهدة إلى فهم تأثيرها في المجتمعات، حيث تسهم، هذه الأبحاث، في حل المشكلات المعاصرة وتحسين إدارة المواقع التاريخية والثقافية وحمايتها، وتطوير استراتيجيات التنمية المستدامة.

وتسهم المؤسسات التراثية الأكاديمية في تطوير مناهج الدراسات التراثية لطلبة المدارس بمختلف المراحل الدراسية، بهدف تعزيز فهم شامل وعميق للطلاب حول مكونات التراث الثقافي ودورها الحيوي في الحفاظ على الهوية الوطنية، ومن أجل إيصال مفاهيم التراث بطريقة تفاعلية ومبتكرة، والتشجيع على التفكير النقدي والاستكشاف. ومن المؤكد أن هذه المناهج سوف تتيح للجيل الجديد فهم التواصل بين التراث والهوية، وتعزز قدرتهم على المساهمة في المحافظة على التراث الثقافي وتطويره لصالح المجتمع.

وفي مجال تطوير الكوادر البشرية المتخصصة والعاملة في ميدان التراث الثقافي، تقوم هذه المؤسسات بجهود دمج التراث في استراتيجيات التنمية المحلية، ما يسهم في تحسين جودة الأداء وفعالية الأنشطة ذات الصلة بالتراث، وتعزيز السياحة الثقافية المستدامة وتنظيم الاستفادة من الموروث الثقافي. كما تتبنّى هذه المؤسسات استراتيجية تنظيم فعاليات تفاعلية وبرامج تشجع على المشاركة المجتمعية؛ بهدف دمج المجتمع المحلي بشكل فعّال في مشاريع البحث والحفاظ على الموروث الثقافي؛ ولتجمع بين المعرفة الأكاديمية والتجارب العملية، ما يسهم في إبراز أهمية الموروث الثقافي وتحقيق أقصى استفادة من جهود الحفاظ عليه. ومن منطلق تسليط الضوء على المؤسسات التراثية الأكاديمية جاء اختيارنا ليكون ملفاً لعدد «تراث» لهذا الشهر، والأمل يحدونا بأن تستمتعوا بموضوعات العدد المتنوعة.

شمسة الظاهري
رئيسة التحرير

هيئـــة أبوظبـــي للتـــراث
Abu Dhabi Heritage Authority
السلسلة التراثية الثقافية

torathehc www.torath.ae

50
وجهة سفر

زرقاء البحر الأبيض (بو سعيد)

منذ القرن السابع عشر جذب سحر سيدي بوسعيد الطبقة البرجوازية في تونس التي شيدت هناك مساكن فاخرة ومثيرة للإعجاب ومن ثم في القرن العشرين كان الفنانون هم الذين وقعوا تحت سحر سيدي بوسعيد، ثم استقبلت القرية كتّاباً مشهورين مثل شاتوبريان وفلوبير ولامارتين وأندريه جيد وكوليت وسيمون دي بوفوار. ويتركز النشاط في ساحة سيدي بوسعيد الصغيرة التي تنتشر فيها المقاهي وأكشاك المعجنات ومحلات بيع التذكارات، وتشتهر القرية ببيوتها البيضاء المبهرة وأبوابها الزرقاء ومقاهيها ومرساها الساحر على البحر الأبيض المتوسط وهو أول موقع محمي في العالم ...

ضياء الدين الحفناوي

55
ارتياد الآفاق

رحلة إدريس الجعيدي إلى فرنسا-بلجيكا-إنجلترا-إيطاليا سنة 1876م

اجتهد الجعيدي في إنجاز المهمة في وصف صنائع الفرنج وحيلهم العجيبة، لأن أصداء مخترعات الغرب، كانت تصل الى المغاربة عن طريق التجار والعوام ناقصة ومشوهة كأنها من أعمال السحر والطلاسم. لذلك تعتبر رحلته مفتاحاً لطرحها وفك شفرتها، ومن هذه الصنائع الأوروبية التي التفت إليها الجعيدي في كتابه كانت المتاحف العلمية ومنها متحف التاريخ الطبيعي الذي سماه "الوحوش الميتة" ببروكسل...وركز على وصف الحيوانات النادرة أو المجهولة، ثم تناول علم المناجم والمعادن، ثم النباتات المجففة، وأخيرا البقايا البشرية ... محمد عبد العزيز السقا

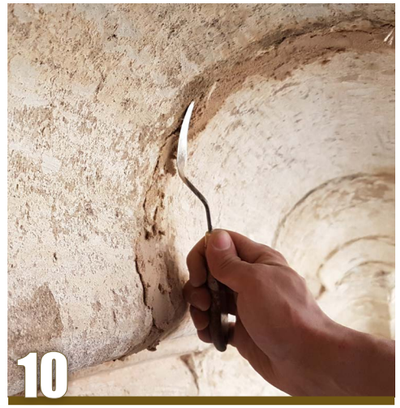

10

38

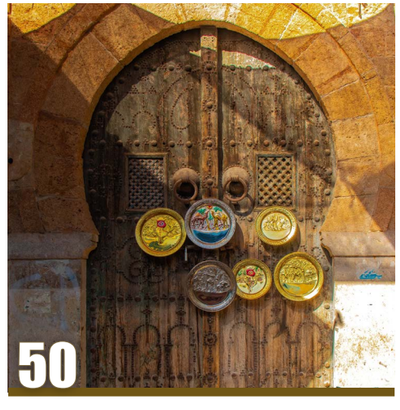

50

72
دراسات إماراتية

طقوس الشتاء في الأمثال الشعبية الإماراتية

الأمثالُ الشعبيّة إرثٌ تراثيّ متداولٌ سائر، يتجاوز الزمنَ بمرورِ الأجيال، ويتخطّى، تمتازُ بتكثيف العبارة وقوّة المعنى، بأسلوبٍ جميل مسجوع يسهّل حفظها، وهي خلاصة تجربةِ الكبار للصغار، وحكمة القدماء التي تستفيدُ منها الأجيالُ التالية، وغالباً ما ترتبط الأمثال بحكاية حقيقية أو من نسجِ الخيال، فيكون تكرارُ المثل موجوداً لدى أيّة حالة مشابهة، وفي دولة الإمارات يُطلَقُ على المتكلّمِ بالأمثال الشعبية لفظ (المُتوصّف)، وعلى اعتبار الشتاء أحد فصول السنة المؤثرة في حياة الناس فقد ورد ذكره في الكثير من أمثالهم التراثية المتداولة شعبياً، ومن ذلك: «الدفا عفا والبرد سبب كل علّة» ... عبد الرّزاق الدّرباس

56

66

96
أدب ونقد

آليات السرد الحداثية في القصة القصيرة الإماراتية: نهار الظباء نموذجاً

استطاعت الكاتبة الإماراتية فاطمة حمد المزروعي توطين الآليات السردية الحداثية لخدمة أهداف القصة القصيرة الإماراتية. لاريب أن القصص الجميلة والنصوص الأدبية الإبداعية تتألف من العبارات والجمل ذات المستويات الدلالية المختلفة التي تثير فضول القارئ وتتغلغل إلى شغاف القلوب ومكامن اللاشعور الفردي والجمعي. وليس أشق من البعد عن المسايرة والاستسهال ولا أيسر من الارتماء في أحضان العبارات المسكوكة والجمل سابقة التجهيز وعلى الكاتب التمرن الدائب على كتابة الجمل الحقيقية، والعبارات الصادقة البسيطة التي وإن قلّتْ دلّتْ وإن أخبرتْ رمزت وإن كثُفتْ شفّتْ ... صديق جوهر

70

39 بِيْدار اللَّهْجَةِ الإماراتية فيما طابق الفصيح
المجاز اللغوي في ألفاظ لهجة الإمارات (ألفاظ المرض) - محمد فاتح زغل
48 الباب وأصحاب الحاجات - عبد الفتاح صبري
54 ومن قزر الدنيا على الهون والردى - الشاعر: صالح بن علي بن عزيز المنصوري
62 قصيدة النثر الإماراتية في المقاربات النقدية (1) - أحمد حسين حميدان
66 ديوان بن حوفان للشاعر محمد بن حوفان المنصوري - موزة عويص علي الدرعي
76 ذكريات زمن البدايات (22) محمد الجناحي
من المكتبة إلى الدراما - خليل عيلبوني
79 رحمة للعالمين - شعر: الدكتور شهاب غانم
80 «الفنون العلاجية لمرض التوحد» - نورة صابر المزروعي
82 اللغة والمهددات الثقافية - شريف مصطفى محمد
84 الجميلة المشاكسة: الفن.. الحقيقة والوهم - فيبي صبري
88 لوحات أثرية من الكهوف المكتشفة في الصومال - عمر عبد الله إيدان
91 قناديل لشجرة العام الجديد - حمزة قناوي
92 قراءة في كتاب «جيمس آي بورتر»
«هوميروس اللغز».. طرح جديد للأسئلة الكلاسيكيّة - خالد عمر بن ققه
99 هل الكتابة تفسد الشعر؟! - قاسم خلف الرويس
100 النحات السوري سيدو رشو
عندما يضيع صوت الإنسان لتراهُ ينطق في الحجر - نوزاد جعدان
108 عبد العزيز المسلّم
يحتفي بمدائن الريح وشوارعها في مدوّنته الرحلية - منّي بو نعامة
113 الشاعر سلطان بن علي العويس
(1925-2000) - مريم النقبي
114 المطر لازمة الحياة - خالد صالح ملكاوي
118 دبس التمر ذخيرة أهل الخليج - موزة سيف المطوع
122 وضحى حمدان الغريبي: أعمالي مستمدة من مقومات جمالية وفنية
مستوحاة من التراث الإماراتي - هشام أزكيض
126 رمزيات الحكاية الشعبية في رواية «أم الدويس»
للكاتب الإماراتي علي أبو الريش - أحمد عبد القادر الرفاعي
130 حياة دون قوسين مغلقين - فاطمة حمد المزروعي

104
سوق الكتب

توظيف التراث الثقافي في الشعر الإماراتي المعاصر
(1980 - 2020م)

أشارت المؤلفة الدكتورة موزة المنصوري في المقدمة إلى الاهتمام بالتراث، وكيف حظي بقيمة عالية، وكيف كان الاهتمام بالتراث الشعري واضحاً، مؤكدة أنه لا يمكن أن نفصل الأدب عن الحياة والواقع، وأن هذه الدراسة تسعى للكشف عن توظيف التراث، وتبيان مستوى إثرائه للتجربة الشعرية الإماراتية، باعتباره يحمل وجها جمالياً فنياً مشحوناً بإشارات تاريخية. وأشارت إلى ما يتضمنه كل مبحث وباب وفصل، وإلى تحليل نصوص شعرية مسترشدة بقراءة فاحصة تغوص وراء المعاني العميقة، كما أفصحت عن منهج الدراسة، حيث زاوجت فيه بين الاستقراء والتحليل، مستفيدة من مجموعة دراسات ورسائل جامعية ومقالات وأبحاث ... هيثم يحيى الخواجة

120
سرد الذاكرة

يا النميري أهلا بيك شعب العين بيحيّك

لم نكن ونحن في ذاك العمر نعرف شيئاً عن التضامن العربي، أو الرئيس النميري أو السودان كبلد شقيق، غير أنّا كنّا في حالة فرح لا نعرف أسبابها ربما لأن بابا زايد «طيب الله ثراه» كان معه وبصحبته يستقلان سيارة مكشوفة، كان «بابا زايد» يلوّح لنا بيديه الكريمتين «يعل ما تمسهن النار»، وكذلك كان الرئيس السوداني رحمه الله يفعل ... شيخه الجابري

أسعار البيع
الإمارات العربية المتحدة: 10 دراهم - المملكة العربية السعودية 10 ريالات - الكويت دينار واحد - سلطنة عمان 800 بيسة - مملكة البحرين دينار واحد - اليمن 200 ريال - مصر 5 جنيهات - السودان 250 جنيهاً - لبنان 5000 ليرة - سورية 100 ليرة - المملكة الأردنية الهاشمية ديناران - العراق 2500 دينار - فلسطين ديناران - المملكة المغربية 20 درهماً - الجماهيرية الليبية 4 دنانير - الجمهورية التونسية ديناران - بريطانيا 3 جنيهات - سويسرا 7 فرنكات - دول الاتحاد الأوروبي 4 يورو - الولايات المتحدة الأمريكية وكندا 5 دولارات.

الاشتراكات
للأفراد داخل دولة الإمارات: 150 درهماً / للأفراد من خارج الدولة: 200 دولار - للمؤسسات داخل الدولة: 150 درهماً / للمؤسسات خارج الدولة 200 دولار.

ما ورد في هذا العدد يعبر عن آراء الكتاب ولا يعكس بالضرورة آراء هيئة التحرير أو هيئة أبوظبي للتراث

تراثية ثقافية منوعة

تصدر عن:
هيئة أبوظبي للتراث
Abu Dhabi Heritage Authority

رئيس التحرير
شمسة حمد العبد الظاهري

الإشراف العام
فاطمة مسعود المنصوري
موزة عويص علي الدرعي

الإخراج والتنفيذ
غادة حجاج

سكرتير إداري وشؤون الكتاب
سهى فرج خير
torath@ehcl.ae

التصوير:
- مصطفى شعبان

عناوين المجلة
الإدارة والتحرير:
الإمارات العربية المتحدة - أبوظبي
هاتف: 024456456 - 024092336

التراث الثقافي على أجنحة أكاديميات متخصصة

10 محميات ثقافية تراثية (أهدافها.. رسائلها.. رؤاها) - عبد الله محمد السبب
16 التراث الثقافي العربي على أجنحة أكاديميات متخصصة - خالد صالح ملكاوي
22 من التطوّع إلى الأكاديميات.. رحلة عمرها نصف قرن
تحديات تدريس التراث - الأمير كمال فرج
27 الرمسة الإماراتية تدريسها وترجمتها إلى اللغات الأخرى - أماني إبراهيم ياسين
30 التنمية الثقافية وضرورة الترجيح الأكاديمي - محمد نجيب قدورة
33 الإمارات ومركز أحمد بابا في تمبكتو
(دعم بلا حدود لترميم المخطوطات) - محمد فاتح زغل
36 الأرشيف والمكتبة الوطنية يؤسس لأكاديمية عالمية في علم الأرشفة - فاطمة سلطان المزروعي
40 أكاديمية الشعر.. إبداع ثقافي بلا حدود - مريم سلطان المزروعي
42 مَعهدُ الشَّارِقةِ للتُّراثِ فِي ضَوْءِ الرُّؤيةِ والرِّسالَة - محمد محمد عيسى
46 المعهد العالي للفنون الشعبية في القاهرة
وأكثر من ٤ عقود في خدمة الموروث الثقافي - علي تهامي

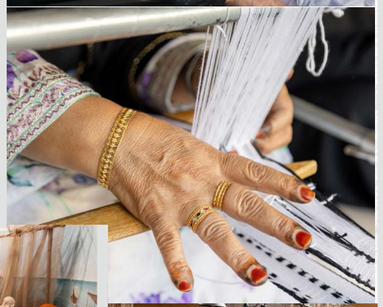

محميات ثقافية تراثية

(أهدافها.. رسائلها.. رؤاها)

عبد الله محمد السبب

«لقد ترك لنا الأسلاف من أجدادنا الكثير من التراث الشعبي الذي يحق لنا أن نفخر به ونحافظ عليه ونطوره ليبقى ذخراً لهذا الوطن وللأجيال القادمة».

المغفور له - بإذن الله تعالى - الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان - طيّب الله ثراه -.

شؤون تراثية

أن تتحدث عن التراث، ذلك أنك تتحدث عن حضارات وأمم وأجيال، تتعاقب في حضورها في المشهد الثقافي التراثي، وتتداول فيما بينها سلوكيات وعادات متوارثة عن الآباء والأجداد؛ وتحرص فيما بينها على الأخذ بناصية التراث نحو الديمومة المجتمعية البشرية، ليكون حاضراً في دائرة اهتمام الأجيال رغم سطوة التكنولوجيا على الراهن المجتمعي.. فأما التراث المادي الملموس، فهو من حيث القطع الأثرية المادية التي أُنتجت أو بُنيت قديماً، وتناقلتها الأجيال في المجتمع من خلال الاهتمام بها وصيانتها، كالمباني، والمعالم الأثرية، والحرف اليدوية؛ وأما التراث المعنوي المحسوس، فمن حيث التقاليد، وبعض المهارات التي تنتقل عبر الأجيال، كمهارات صناعة الحرف، وأساليب الزراعة وتربية الماشية، ومهارات الملاحة التقليدية، والتقاليد الشفوية، والأغاني، والأقوال والأمثال والألغاز، ومهارات الطبخ، والمعتقدات، والممارسات الثقافية.

لكن: كيف لنا صون التراث بشقيه المادي والمعنوي، والحفاظ عليه من الاندثار والتآكل عبر الزمن..؟!

هكذا سؤال، بحاجة ماسة إلى بحث مستفيض للظفر بإجابة مختصرة وافية شافية:

فأما **التراث المادي الملموس**، فيمكن صونه والحفاظ عليه بالطرق التالية:

(1) نشر الأبحاث والدراسات التي تخصّ كل ما يتعلق بالتراث المادي على المستويين المحلي والإقليمي.

(2) بذل الجهود كافة التي تضمن حماية التراث المادي وحفظه، من خلال ترميم المناطق الأثرية وإصلاح الأجزاء المدمرة وفقاً للمعايير الدولية، وإزالة أيّ إضافات وُضعت حديثاً قد تشوهها، وتوفير الدعم التقني والمالي لذلك.

(3) تحسين عمليات الوصول إلى الأماكن التراثية، وإدراج لوحات توضيحية تُمكّن الزوار من فهم طبيعة هذه المباني والمناطق، وفهم دوريها الثقافي والتاريخي في البلد ذاته وفي العالم أجمع.

(4) حفظ القطع التاريخية والتعمّق بدراستها، من خلال إنشاء قواعد بيانات ومخازن لها.

وأما **التراث المعنوي المحسوس**، فيمكن صونه والحفاظ عليه انطلاقاً من «اتفاقية اليونسكو لحماية التراث الثقافي والطبيعي العالمي» لعام 2003م، التي تُعدُّ من أهمّ ما ورد في حماية التراث المعنوي وصونه، حيث حثّت كلّ دولة مشاركة بالاتفاقية على القيام بالتدابير الآتية لضمان صون التراث المعنوي:

(1) تشجيع منهجيات البحث، والدراسات الفنية، والعلمية، والتقنية التي تهدف إلى حفظ التراث الثقافي غير المادي، وتيسير نقل هذا التراث من خلال الوسائل المناسبة للتعريف به وعرضه.

(2) اعتماد سياسة عامة تُبرز دور التراث الثقافي غير المادي في المجتمع بشكل واضح.

(3) اعتماد التدابير القانونية، والتقنية، والإدارية، والمالية المناسبة التي تضمن إنشاء مؤسسات متخصصة لتوثيق التراث الثقافي غير المادي وإدارته}.. حيث للاتفاقية أربعة أهداف رئيسية:

(1) صون التراث الثقافي غير المادي.

(2) احترام التراث الثقافي غير المادي الذي يعود للجماعات والمجموعات المعنية وللأفراد المعنيين.

(3) التوعية على الصعيد المحلي والوطني والدولي بأهمية

التراث الثقافي غير المادي، وكفالة تقديره المتبادل.

(4) إتاحة التعاون الدولي والمساعدة الدولية.

محميات تراثية

حتى تستمر دورة الحياة، ودورة حياة التراث تحديداً؛ لا بد من الاهتمام به بطرق ووسائل عدة، بما يجعله في رعاية جديدة ومتجددة، الأمر الذي يؤدي به ليكون حاضراً في الزمان والمكان، في ظل دائرة اهتمام جيل الحاضر، وبما يمكّنه من المثول في ذاكرة المستقبل. لذا؛ جاء اهتمام دولة الإمارات العربية المتحدة به من خلال إنشاء محميات تراثية تقيه شر الضياع في زحام الحياة المدنية الحديثة بفصولها كلها وتفاصيل أحداثها، وتجنبه سوء المعاملة من قِبل غير المدركين بأهميته الثقافية الوطنية؛ من تلك المحميات،

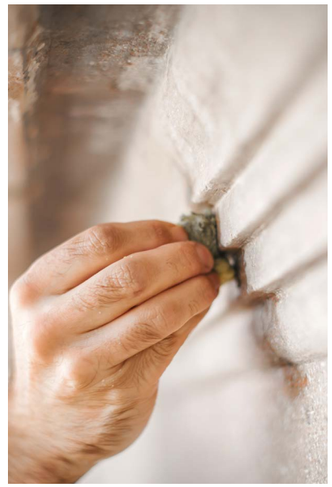

إنشاء المتاحف المعنية بشؤونه وشؤون كل ما يتعلق بأمره من قريب أو بعيد؛ سواء أكانت تلك المتاحف الرسمية على صعيد الحكومات المحلية للإمارات السبع، أم تلك المتاحف الأهلية على صعيد الأفراد ممن لديهم شغف العناية بالتراث بأشكاله وصوره كافة، وبما يُنَمّي مواهبهم وهُواياتهم، ويؤدي إلى إبراز الهُويّة الإماراتية في تلك المتاحف بما تحتوي عليه من تُحَفٍ تُتْحِفُ ذائقة مُرتاديها من مواطنين ومقيمين وسُوّاح؛ وكذلك المتاحف المؤسسية، تلك التي تقيمها المؤسسات الحكومية ضمن الفعاليات الوطنية الموسمية أو المناسباتية.

على صعيد آخر؛ ثمة مؤسسات أخرى في مختلف إمارات الدولة، تم إنشاؤها للعناية بالتراث والعمل على نشره على نطاق واسع؛ سواء في داخل الإمارة أو في داخل الدولة، أم على النطاق الخارجي.. للمحافظة عليه، ولتعرف الأجيال به.. وسنأتي على بعض منها، للإفصاح عن أهداف هذه المؤسسات ورسالتها ورؤيتها..

تراث الإمارات

{إنَّ التراث يعتبر جزءاً من هُويتنا وشخصيتنا التي نعتز بها ونحرص عليها، ولن نتخلى إطلاقاً عن أصالتنا وعراقتنا، وسنظل ندعم التراث بشكل كامل ونحافظ عليه ونتمسك به، وإنَّ الوالد القائد المؤسس المغفور له - بإذن الله تعالى - الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان - طيَّب الله ثراه - هو من رسّخ في نفوسنا هذا الاهتمام المتزايد بالتراث وحثَّ شعب الإمارات على التمسك به ودعمه والحفاظ عليه}. **من أقوال المغفور له - بإذن الله تعالى - الشيخ سلطان بن زايد آل نهيان - طيَّب الله ثراه - .**

في الخامس من شهر سبتمبر من عام 1993م، تأسّس «نادي تراث الإمارات» بوصفه هيئة مستقلة تابعة لحكومة أبوظبي، برئاسة المغفور له - بإذن الله تعالى - الشيخ سلطان بن زايد آل نهيان حتى وفاته - طيّب الله ثراه - وتم إشهار النادي بموجب المرسوم الأميري رقم 14 لسنة 1997م، ليتولى بعد ذلك معالي فلاح محمد الأحبابي رئاسة «نادي تراث الإمارات» منذ عام

2020م. يعمل النادي وفق استراتيجية حكومة أبوظبي، اهتداءً بأهدافها التنموية بعيدة المدى؛ لذا، جاءت أهداف النادي على النحو التالي:

(1) المحافظة على تراث دولة الإمارات العربية المتحدة وتثقيف الأجيال بتراث الآباء والأجداد.

(2) تنظيم وتطوير الأنشطة المتعلقة بتراث الدولة.

(3) إجراء البحوث والدراسات المتعلقة بتراث الإمارات والأدب الشعبي مثل الشعر والقصص والأمثال.

(4) نشر الوعي الفكري والثقافي لتعميق الحس الوطني لدى الأبناء.

(5) تأكيد الالتزام بتراث الآباء والأجداد وإثراء النفس بكل معطيات الثقافة والمعرفة والعلوم المتعلقة بذلك.

(6) تنظيم المعارض المتعلقة بالجانب التراثي.

في سبيل تحقيق أهدافه الاستراتيجية، وانطلاقاً من رؤيته (التميز وجودة الأداء للمحافظة على التراث الوطني)، ورسالته القائمة على (العمل الجاد والمثابر لترسيخ التراث الوطني ونقله إلى الأجيال الواعدة).. يعمل «نادي تراث الإمارات» على التعاون مع عدد كبير من الجهات داخل دولة الإمارات وخارجها لاسيما مراكز الوثائق والدراسات والبحوث، والمؤسسات الثقافية والسياحية والتراثية، هذا فضلاً عن التعاون الوثيق مع المؤسسات التعليمية باعتبارها شريكاً أساسياً في تحقيق رسالته التربوية.

الشارقة التراثية

قادت الشارقة على مدى أعوام طويلة سلسلة من المشاريع الرائدة على مستوى رعاية التراث وحفظه سواء على الصعيد المحلي أو العربي أو الدولي، فلم تتجاوز يوماً رسالة حكماء الإنسانية العظماء التي قالوا فيها: «إن الحكمة لا تمنح نفسها لمن يهمل الأسلاف»}. **من أقوال صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة**

بموجب المرسوم الأميري رقم 70 لسنة 2014م، تأسَّس «معهد الشارقة للتراث»، ليكون مركز إشعاع ثقافي وعلمي يتصف بالتميز والإبداع بما يخدم التراث الثقافي الإماراتي والعربي، انسجاماً مع رؤى وتوجيهات صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، الذي قام بافتتاحه في 20 ديسمبر 2014م.

تقوم «رسالة المعهد» على (تعزيز الوعي بالتراث الإماراتي،

وتدريسه وفق أحدث المناهج العلمية، والترويج له على أوسع نطاق، من خلال خطة استراتيجية مُحْكمة، تسعى إلى التوعية والتثقيف بمختلف عناصر التراث، من خلال فعاليات وبرامج ينظمها المعهد على مدار العام، والاحتفاء بحملة التراث من الكنوز البشرية الحيّة، وأقطاب التراث على الصعيد المحلي والوطني والإقليمي، وفتح قنوات للشراكة والتعاون مع مختلف الهيئات والمؤسسات العلمية والثقافية على مستوى العالم).

فيما (تنبني رؤية المعهد على حفظ الهُوية الإماراتية، وصون التراث وتوثيقه، والمحافظة عليه من الاندثار، اتساقاً مع الرؤية الشاملة والمتكاملة لصاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، والاهتمام بالتراث العربي، والانفتاح على التراث العالمي، للاستفادة مما يزخران به من غِنى وتنوّع، لكون التراث الخيط الجامع للبشرية، وتكوين أُطر متمرّسة على البحث والدراسة في مجال التراث الثقافي المادي وغير المادي).

على ضوء ذلك؛ يسعى «معهد الشارقة للتراث»، الذي يرأسه سعادة الدكتور عبد العزيز عبد الرحمن المسلم، إلى تحقيق جُملة من الأهداف:

(1) العمل على أن تصبح الإمارة مركزاً ريادياً للتعليم والتدريب والتطوير والأبحاث، وإعداد الكوادر الوطنية أكاديمياً ومهنياً في مختلف الأنماط التراثية.

(2) الحفاظ على الموروث التراثي المادي وغير المادي والعناية به، وربطه بالواقع الحالي، والعمل على التعريف به، ونشره

وترويجه محلياً ودولياً.

(3) التعاون والتنسيق مع الجهات المعنية، بما يخدم التراث المعنوي، ويرسّخ لربط الهوية الوطنية بالتراث المحلي.

(4) دعم الروابط العلمية وتفعيلها، وتبادل الخبرات والمعلومات التراثية مع المؤسسات العلمية المتخصصة محلياً ودولياً.

(5) وضع السياسات العامة والاستراتيجيات والبرامج الأكاديمية والتدريب المهني للمهتمين بتطوير أدائهم في مجالات التراث كافة.

(6) وضع البرامج الدراسية والتدريبية التي تتوافق مع أهداف المعهد، واتخاذ الإجراءات كافة للحصول على الموافقات المطلوبة، والاعتماد الأكاديمي لأي منها، وذلك من الجهات المعنية في دولة الإمارات العربية المتحدة.

(7) إعداد وتأهيل وتدريب الباحثين والخبراء المعنيين بالحفاظ على التراث المعنوي.

(8) العناية بالمقتنيات المستخدمة في التراث المادي وغير المادي، والحفاظ على سلامتها، والتعريف بها، وضمان الاستغلال الأمثل لها.

(9) إقامة الفعاليات والمعارض والمهرجانات التراثية، والمشاركة فيها محلياً ودولياً، بالتنسيق مع الجهات المعنية.

(10) دعم ثقافة التراث بشقيه المادي وغير المادي ونشرها، من خلال تنظيم المؤتمرات والندوات وورش العمل.

(11) إثراء الروافد التراثية، وجذب المهتمين في مجال التراث، ودعم مسيرة الأبحاث والدراسات والكتابات التراثية.

(12) إصدار مجلات ونشرات تعنى بنشر الأبحاث والدراسات والموضوعات المتعلقة بالتراث على الصعيدين المحلي والدولي.

(13) إنشاء قاعدة بيانات للعناصر التراثية في الإمارة وتحديثها، وتسجيلها لدى الجهات المعنية، وإيجاد آلية لانتقال التراث بين الأجيال.

(14) اتخاذ جميع الإجراءات والتدابير اللازمة لصون التراث الثقافي بشقيه المادي وغير المادي للإمارة وحمايته، والتوعية بأهميته.

(15) إجراء المسوحات الميدانية لحصر وتوثيق وحفظ التراث الثقافي بشقيه المادي وغير المادي، بالتنسيق مع الجهات المعنية.

صدارات وإصدارات

إذا كانت لكل من «نادي تراث الإمارات» و«معهد الشارقة للتراث»، جملة من الأهداف سعياً إلى تحقيقها وفق رسالتيهما ورؤيتيهما تجاه التراث بشقيه «المادي الملموس» و«المعنوي المحسوس»، فإنهما حرصا على أن يكون في قلب المشهد الثقافي الإبداعي المعني بالتراث بفصوله وتفاصيله كافة، ما جعلهما من أهم المؤسسات الثقافية في صدارة المشهد الثقافي من خلال إصداراتهما النوعية الرصينة ■

أديب وكاتب إماراتي

المصادر والمراجع:

1. الموقع الإلكتروني (موضوع: أكبر موقع عربي بالعالم).. https://mawdoo3.com/
2. موقع «منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة» UNESCO: https://ich.unesco.org
3. مجلة «تراث»: تراثية ثقافية منوعة، تصدر عن «نادي تراث الإمارات» - أبوظبي: العدد 192 - أكتوبر 2015م.
4. موقع «نادي تراث الإمارات»: https://torath.gov.ae/
5. ويكيبيديا «الموسوعة الحرة»: https://ar.wikipedia.org/static/images/mobile/copyright/wikipedia-wordmark-ar.svg
6. موقع «معهد الشارقة للتراث»: https://sih.gov.ae/
7. «التبراة»: موقع إماراتي يتناول مئات الموضوعات التي تضيء شعلة حب الكتاب لدى أبناء دولة الإمارات العربية المتحدة (شخصيات وهيئات ومؤسسات) في نشر ودعم الكتاب على مستوى العالم وباللغات كلها، كما يعرض لأكثر من ألف عنوان كتاب يتم نشره سنوياً منذ بداية الألفية الثالثة.

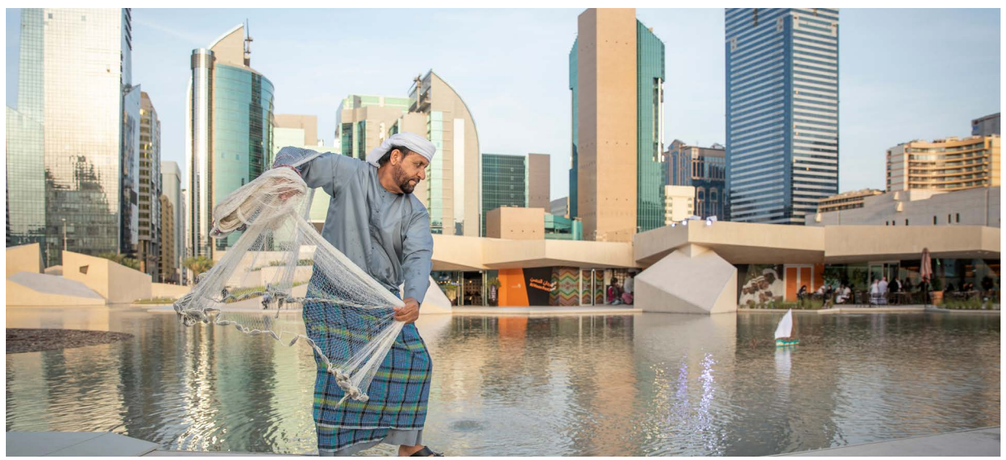

التراث الثقافي على أجنحة أكاديميات متخصصة

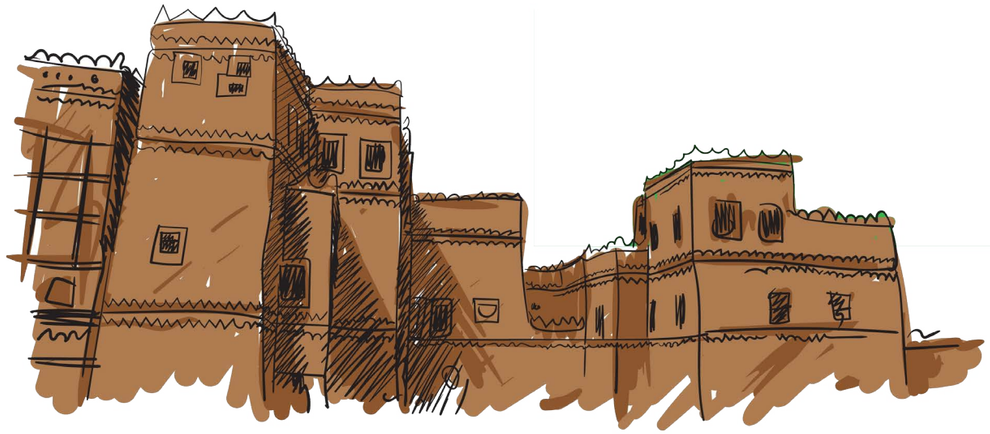

خالد صالح ملكاوي

تتباهى الأمم بتراثها الذي هو من خصائص هويتها وعلامات شخصيتها، كتباهي العرب بلغتهم وقرآنهم وشعرهم. ولم يمنع ذلك التفاخر من الاستفادة من التراث في العمل على تجهيز الوعي الجمعي بذاكرة ثقافية، تُشعر العربي بأن تراثه حي، وذلك بالاشتغال عليه واستثماره، بتحويله إلى مكسب أو منجز ثقافي أو اقتصادي أو حضاري في مسيرة استدامة التنمية، يستدعي التخطيط والدراسة، ويتطلب التعليم والتدريب والتأهيل للمعنيين والكوادر المضطلعة.

وقد بدأ النظر إلى الثقافة بوصفها عنصراً مهماً من عناصر التنمية المستدامة في النصف الثاني من القرن العشرين، وغدا الاهتمام بحفظ التراث الثقافي وحمايته جزءاً أصيلاً من سعي المجتمعات لتحقيق أهداف التنمية المستدامة. الأمر الذي انخرطت فيه معظم الدول العربية، وصممت له الاستراتيجيات والبرامج الأكاديمية والتدريبية لتطوير أداء المهتمين في مجالات التراث كافة. فوفقاً لمنظمة اليونسكو، فإن، الثقافة تمهّد الطريق لتنمية شاملة ومنصفة تركز على الإنسان. ولا يمكن لأي تنمية أن تكون مستدامة من دونها. ووضع الثقافة في صلب سياسات التنمية يشكل استثماراً أساسياً في مستقبل العالم.

جهود عالمية لربط التراث الثقافي بالتعليم

وثمة جهود عالمية أخذت شرعيتها منذ ما يزيد على نصف قرن، بهدف دمج التراث الثقافي بالتعليم إذ نصت المادة (72) من اتفاقية اليونسكو لحماية التراث العالمي الثقافي والطبيعي، الصادرة عام 1972، على أن تعمل الدول الأطراف في هذه الاتفاقية، بالوسائل المناسبة كلها، خاصة بمناهج التربية والإعلام على تعزيز احترام وتعلق شعوبها بالتراث الثقافي والطبيعي.

وبناء على هذه الاتفاقية انبثقت أولى المبادرات لإدماج التراث الثقافي العالمي في المناهج الدراسية للمدارس الثانوية، إذ أقام مركز اليونسكو للتراث العالمي في عام 1994، مشروعاً

المعهد الوطني العالي للموسيقى

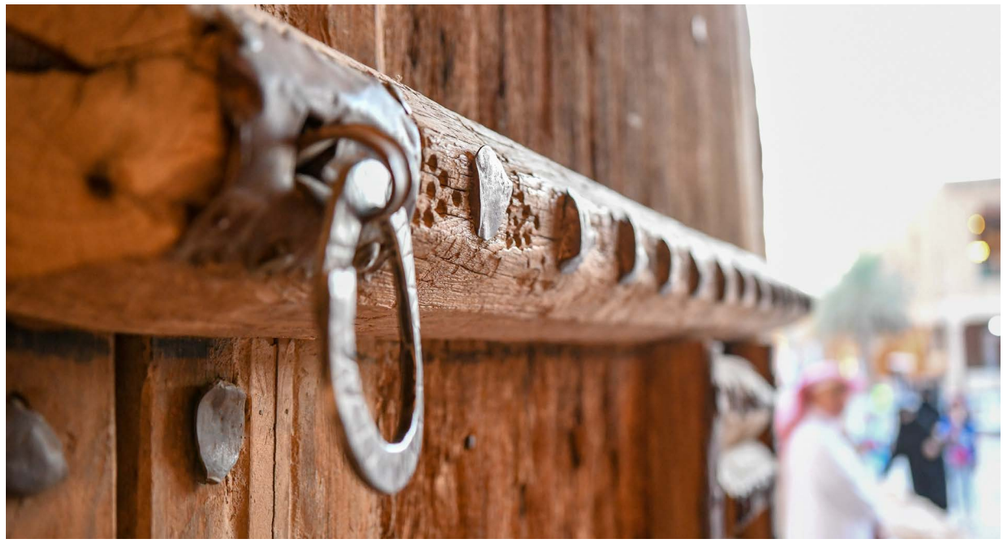

تعليمياً في مجال التراث العالمي بعنوان «مشاركة الشباب في صون التراث العالمي وتعزيزه» من خلال شبكة المدارس المنتسبة إلى اليونسكو، ما أتاح للشباب فرصة الانخراط في حماية التراث الثقافي والطبيعي.

وفي جدول أعمال التنمية المستدامة حتى عام 2030، وأهدافها السبعة عشر لعام 2015، الذي أجمعت عليه دول العالم عبر الأمم المتحدة، تم تضمين الثقافة كواحدة من مجالات التنمية المستدامة، وهي المرة الأولى التي يشير فيها جدول الأعمال الدولي للتنمية إلى الثقافة في إطار أهداف التنمية المستدامة المرتبطة بالتعليم.

وتمثلت أهداف هذا المشروع في تطوير مناهج تربوية ترمي إلى دعم حفظ التراث العالمي، عبر تمكين الطلبة من تعلم المزيد عن المواقع الثقافية ذات القيمة العالمية الاستثنائية، وإكسابهم المهارات اللازمة للمشاركة في حفظ هذه المواقع وحمايتها، وأدائهم أدواراً فعالة في الحفاظ على التنوع الثقافي في العالم. وشهدت مدارسهم ومواقع التراث المحلية والوطنية تنفيذ هذه المناهج، بالتعاون مع الجهات المتخصصة جميعها

التراث الثقافي والتعليم في العالم العربي

حتى عقود قريبة، ظلت معظم قوانين الدول العربية في مجال حماية التراث الثقافي وإدارته وتعزيزه والمحافظة عليه، تفتقر إلى الديناميكية، غير أن عدداً غير قليل من الدول العربية، وعلى ضوء تطور المجتمع والإمكانات المالية والإدارية، نزعت إلى منهج أحدث وأكثر ديناميكية يعيد وضع التراث الثقافي ضمن إطاره الاجتماعي والثقافي والاقتصادي في عملية الحفظ والاستدامة، ويركز على تطوير الأدوات ومنهجيات التوعية والتعليم لتيسير فهم قيمة التراث وضرورة حفظ المجتمعات له.

وقاد هذا التطوير الرسمي إلى الاهتمام بتطوير مناهج التعليم العالي الجامعي، وإدماج موضوعات الحفاظ على التراث

الثقافي في تلك المناهج، بل ووضع مناهج خاصة بالتعليم الأكاديمي الخاص بالتراث تقوم على تنفيذه مؤسسات أكاديمية لا تنشغل بغير هذه الموضوعات. وما من شك في أن هذه المؤسسات التعليمية والمراكز العلمية تلعب دوراً فعالاً في الحفاظ على التراث؛ فمن شأن مثل هذه المؤسسات الأكاديمية ربط الأجيال الناشئة بتلك التي أسست تراثها. فهي تقوم بعمليات تكاملية تسهم في غرس قيم الأصالة وتعميق المعارف بالجوانب الحضارية بما توفره من تفاصيل دقيقة علماً وتطبيقاً، لتمتلك الأجيال الناشئة مرجعية متينة تحفظ بها تراثها وذاكرتها وتعتز بهويتها. وقد تعدَّدت مثل هذه المؤسسات وتنوَّعت في أكثر من بلد عربي، والتقت جميعها في تطوير العمل العربي الهادف إلى خدمة التراث الثقافي العربي باعتباره موروثاً عالمياً، ومن أهم ركائز التنمية المستدامة، إذ ليس ثمة حداثة من دون تراث، فعلاقة الأمّة بتراثها هي وعيها لحضورها في الماضي ولحضور ماضيها في الحاضر وحتميّة استمراره في المستقبل. ولا مجال هنا لحصر هذه المؤسسات، غير أن من المفيد استعراض نماذج منها.

يعمل المعهد على حفظ التراث الثقافي الإماراتي، وصونه وتوثيقه، والتعريف به على أوسع نطاق، من خلال حزمة من الأنشطة والفعاليات. وهو يضطلع بوضع السياسات العامة والاستراتيجيات والبرامج الأكاديمية والتدريب المهني للمهتمين بتطوير أدائهم في مجالات التراث كافة.

وينفّذ من أجل ذلك برامج تعليمية هادفة، وأنشطة تدريبية متنوّعة، لتزويد الدارسين والمتدربين بالمعارف العلمية والمهارات التطبيقية والأكاديمية في مجال التراث الثقافي، والمجالات التخصصية الأخرى ذات الصلة، التي تمكّنهم من إدارة مؤسسات التراث الثقافي، ونشر الوعي بمكونات عناصر التراث، ودورها في الحفاظ على الهوية الوطنية، وإحداث التنمية الثقافية في المجتمعات المحلية، وتهيئة كوادر بشرية ملمَّة بالتراث الثقافي وتطويره، وأساليب حمايته.

معهد الشارقة للتراث

تأسس في مدينة الشارقة عام 2014م، بغية إعداد وتأهيل وتدريب الباحثين والخبراء المعنيين بالحفاظ على التراث المعنوي، عبر تدريس التراث وفق أحدث المناهج العلمية. وإلى جانب أن المعهد مؤسسة ثقافية علمية في حكومة الشارقة، فهو مركز دولي من الفئة الثانية تحت رعاية «اليونسكو» لبناء القدرات في مجال التراث الثقافي أيضاً.

برنامج ماجستير إدارة حفظ التراث الثقافي

وفي الشارقة أيضاً، المدينة التي تحتضن المكتب الإقليمي لـ «منظمة إيكروم» المعنية بدراسة صون الممتلكات الثقافية وترميمها، أثمر التعاون بين هذه المنظمة وجامعة الشارقة عن طرح برنامج ماجستير إدارة حفظ التراث الثقافي، انطلق في العام الدراسي 2019-2020م. ويتميز البرنامج بنهجه متعدد التخصصات، ويركز على قضايا التراث في المنطقة العربية، وقد تم تصميمه لاستيعاب مختلف التخصصات في مجال حفظ التراث الثقافي وإدارته. ويغطي مجموعة واسعة من الموضوعات، منها الحفاظ على التراث المبني والمجموعات المتحفية، وتقديم التراث وتفسيره، وإدارة مخاطر التراث الثقافي، وإدارة التراث العالمي. ويتم تدريس مساقات البرنامج باللغة العربية بشكل رئيسي وذلك تلبية لاحتياجات المنطقة.

أكاديمية الشعر

هي واحدة من أهم مبادرات أبوظبي المخصصة لنشر الشعر وتعزيزه، انطلقت في مسيرتها عام 2007م، كأول جهة أدبية متخصصة في الدراسات الأكاديمية للشعر العربي بشقيه الفصيح والنبطي، باعتبار الشعر مرجعاً مهماً وأصيلاً في تاريخ العرب، كما أنها الحاضنة العلمية لبرنامجي «شاعر المليون» و«أمير الشعراء». وتنظم الأكاديمية في برنامجها السنوي أنشطة ثقافية متعلقة بالحقل الشعري ومحاضرات وندوات بحثية وورش عمل أدبية بمشاركة نخبة من الباحثين والمهتمين من مختلف دول العالم، إلى جانب إقامة الأمسيات الشعرية لمختلف التجارب من أنحاء الوطن العربي، بغية إيجاد منصة مرموقة للتجارب الشعرية الجديدة والواعدة في العالم العربي، علاوة على اهتمامها بنشر الإصدارات الشعرية الإبداعية منها والعلمية. كما تعمل الأكاديمية على تأسيس مكتبة عامة متخصصة في دراسات وإصدارات الثقافة الشعبية بمختلف أوجهها ومجالاتها.

معاهد الحفاظ على التراث الموسيقي

وفي مجال الحفاظ على التراث الموسيقي العربي بعامة، والمحلي بخاصة، ثمة جملة من المعاهد والمؤسسات التعليمية التي تعمل على تحقيق هذه الغاية، وتنتشر في أكثر من دولة عربية، مثل المعهد الوطني العالي للموسيقى في الجزائر، الذي تم إنشاؤه في مدينة الجزائر عام 1992م، وهدفه الحفاظ والتعليم والتطوير لمجال الموسيقى في الثقافة الجزائرية. وكذلك معهد الدراسات الموسيقية في بغداد، وهو معهد لتعليم الموسيقى العربية، أُسس عام 1970م، تحت اسم (معهد الغناء العراقي)، ثم غدا اسمه بعد عام (معهد الدراسات النغمية العراقي)، واستقر الأمر على اسمه الحالي. وفي تونس العاصمة ثمة المعهد الوطني للموسيقى والرقص

ومركز الموسيقى والفنون الشعبية بتونس، اللذان يركزان على تعليم الموسيقى العربية.

معهد الموسيقى العربية

تم افتتاحه عام 1922م، على يد الملك فؤاد الأول في محاولة جادة لحفظ تراث الموسيقى العربية. وكان اسمه حينئذ (المعهد الملكي للموسيقى العربية).

ويعتبر هدف المعهد الأساسي هو النهوض بتراث الموسيقى العربية بإعداد وتخريج فنانين متخصصين في العلوم الموسيقية العربية وفنونها، عبر تعليم النظريات والنوت الموسيقية العربية وأداء المؤلفات المختلفة لتراث الموسيقى العربية. ويضم المعهد متحفاً للآلات الموسيقية، وآخر لأشهر خريجيه، الموسيقار محمد عبد الوهاب، إضافة إلى مكتبة موسيقية تحوي العديد من الكتب والمخطوطات النادرة المتعلقة بفن الموسيقى، وتحوي على تسجيلات موسيقية للمغنيين والمؤلفين المصريين والعرب أيضاً، كما يضم مسرحاً ملائماً لعروض الموسيقى العربية الرئيسية.

معهد الموسي العربية

المعهد العالي للفنون الشعبية

أنشئ عام 1981م، لتخريج جيل من الفنانين؛ ليكونوا خبراء في الفنون الشعبية يعملون على المحافظة على التراث الشعبي وتسجيله، إذ يهتم المعهد بجمع الثقافة الشعبية المصرية وتوثيقها ودراستها، عبر إعداد نخبة من الدارسين والباحثين المتخصصين في مجال الفنون الشعبية والاتجاه بهم اتجاهاً قومياً يرعى تراث البلاد وأصالتها. ويعد المعهد المؤسسة العلمية الوحيدة المتخصصة في التعليم في مجال التراث الشعبي المصري والعربي.

معهد السلط للمهن والحرف التقليدية

تم إنشاؤه عام 1987م، في مدينة السلط في الأردن بتعاونٍ جمَعَ مؤسسات محلية وإيطالية لتعليم وتأهيل جيل من الشباب المتدرب في مجال الحرف اليدوية، وتم تطويره قبل نحو عقد بدعم من الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية ليكون معهداً إقليمياً في تصميم وإنتاج وتسويق الحرف اليدوية المحلية، وتوفير بنية أساسية لبرامج متقدمة في مجال الحرف اليدوية

متحف المعهد العالي للفنون الشعبية - الجيزة

المعهد الوطني لعلوم الآثار والتراث

السياحية، إذ يمتلك المعهد مقومات تميزه في مجال التعليم والتدريب على الحرف اليدوية وتصميمها وتسويقها على مستوى الأردن والشرق الأوسط.

وفي تونس، ثمة المعهد العالي لمهن التراث، وهو معهد تعليم عالي يقع في مدينة بئر الباي التونسية. أنشئ عام 2000م، ليكون المؤسسة الجامعية الأولى والوحيدة في البلاد المتخصصة كلياً في التعليم في مجال التراث.

أما في المغرب فيوجد المعهد الوطني لعلوم الآثار والتراث، ويقوم هذا المعهد الذي تم إنشاؤه في مدينة الرباط عام 1985م، بتعليم الدارسين في مجال التراث الثقافي. ويسعى من خلال برامجه الدراسية إلى تعليم وتأهيل أطر متمكنة وقادرة على العمل في مجال التراث الثقافي ■

باحث وإعلامي

المصادر والمراجع:

1. اتفاقية حماية التراث الثقافي غير المادي، الموقع الإلكتروني لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة: http://unesdoc.unesco.org/images/0013/001325/132540a.pdf
2. اتفاقية حماية التراث العالمي الثقافي والطبيعي. الموقع الإلكتروني لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة: https://whc.unesco.org/archive/convention-arb.pdf.
3. جريدة الخليج، 2018/2/8م.
4. سياسات إدماج التراث الثقافي في التعليم. سعيد المصري، مجلة المأثورات الشعبية، عدد 84، السنة 22، أكتوبر 2013م، ص ص 7-29.
5. الموقع الإلكتروني لأكاديمية الفنون في جامعة القاهرة: https://www.aoa.edu.eg
6. الموقع الإلكتروني للجنة المهرجانات والبرامج الثقافية في أبوظبي http://turathuna.ae/ar
7. الموقع الإلكتروني للمركز الدولي لدراسة صون وترميم الممتلكات الثقافية: https://www.iccrom.org/ar/courses
8. الموقع الإلكتروني لمعهد الشارقة للتراث: https://sih.gov.ae
9. الموقع الإلكتروني للمعهد العالي لمهن التراث: http://www.ismpt.rnu.tn/ar/present_ar.html
10. الموقع الإلكتروني للمعهد الوطني لعلوم الآثار والتراث: https://insap.ac.ma
11. الانسداد التاريخي. لماذا فشل مشروع التنوير في العالم العربي؟ هاشم صالح، بيروت: دار الساقي، 2010م.

من التطوّع إلى الأكاديميات.. رحلة عمرها نصف قرن

تحديات تدريس التراث

الأمير كمال فرج

للتراث أهمية كبرى في حياة الشعوب، فهو يمثل الهوية التي تكوّن شخصية الفرد، وتشكّل مستقبله، لذلك برز مصطلح «الهوية التراثية»، وقد شهدت العقود الأخيرة العديد من المبادرات العالمية لتوثيق التراث وحفظه وتعزيزه.

وإدراكاً بأهمية التعليم في الحفاظ على التراث، ونقله من جيل إلى آخر، ظهرت الدعوات لدمجه في المناهج الدراسية، ورغم أن فكرة تدريس التراث موجودة بشكل واسع في الدول الغربية، حيث توجد مدارس ثانوية للتراث في أوروبا وأمريكا والهند، فإنها تأخرت في العالم العربي.

والتراث بشكل عام موجود في المناهج التعليمية العربية، بل إنه جوهر التعليم، فتجده في التاريخ والجغرافيا والعادات والتقاليد، كما تجده في الشعر والسرد وغيرها من فنون التراث الأدبية والفنية، ولكن كانت الدعوة دائماً تتركز في منهجة التراث بمعنى تقديمه في شكل تخصصات ومناهج تعليمية.

وأطلقت الأمم المتحدة «اليونسكو» في السبعينيات من القرن الماضي دعوات مبكرة لدمج التراث بالتعليم، باعتبار التعليم أداة لصون التراث الثقافي، وعملت على تعزيز تعليم التراث العالمي، وتضمينه في المناهج التربوية في دول الأعضاء من خلال لجان محلية وطنية. ومنذ عام 2017 تعمل هيئة التراث الحي في اليونسكو مع قطاع التعليم في المنظمة والمكاتب الميدانية ومعاهد التعليم على تنفيذ مشاريع وأنشطة ومبادرات تتعلق بصون التراث غير المادي في التعليم النظامي وغير النظامي[1]. وقام مركز اليونسكو للتراث العالمي في عام 1994م، وبالتعاون مع شبكة المدارس المنتسبة إليه بإطلاق مشروع لتشجيع الشباب على الحفاظ على تراثهم الثقافي، من خلال برنامج تعليمي بـ 39 لغة، واستفاد منه 125 معلماً ومربياً تدربوا خلال نحو 40 حلقة دراسيةً، وعدد من ورش عمل على المستويين الوطني والدولي[2]. وأعطى الاهتمام الدولي للفكرة زخماً قوياً في العالم، وظهرت على الطريق العديد من المبادرات لإدخال التراث في الكتاب المدرسي والأنشطة الصفية واللاصفية، وبرزت أفكار تربوية في هذا المجال مثل التدريس بالتراث. واليوم وبعد مرور أكثر من نصف قرن على دعوة «اليونسكو»، أثمرت الفكرة، وتأسست بعض المؤسسات العلمية التي تقدم دورات دبلومية مهنية تغطي مجموعة واسعة من التخصصات ضمن ميدان التراث الثقافي. ورغم النجاح الذي تحقق في سبيل إدخاله قاعات الدرس والتحصيل الأكاديمي، كانت عملية تدريس التراث في العالم العربي، تواجه تحديات مختلفة.

تحديات إدخال التراث في التعليم

رغم الخطوات التي تحققت في منهجة التراث ودراساته، حتى الآن، يواجه إدخال التراث في التعليم مجموعة من الإشكاليات المختلفة، تتباين وتختلف من مجتمع إلى آخر، وهي:

1 - تقديس التراث

في بعض المجتمعات يتم الاهتمام بالتراث، والاحتفاء به لدرجة تقديسه، ما يجعله مادة غير قابلة للنقد والمناقشة، وهو ما يرفع العادة الموضوعة إلى مرتبة الدين، ومن أمثلة ذلك عادات، مثل: الثأر، وتزويج البنت الكبرى قبل الصغرى، وعدم توريث البنات، ورفض الزواج من غير القبيلة. وهنا مكمن الخطورة، ففضلاً عن السطوة التي يمثلها هذا التراث الذي قد يتضمن معتقدات سلبية، فإن التراث في هذه الحالة يصبح دافعاً للماضي، بدلاً من أن يكون دافعاً للمستقبل.

2 - التنوع الثقافي

معظم الدول تتضمن عرقيات مختلفة، وفي الوقت الذي يعتبر التنوع الثقافي ميزة في الدول المتقدمة، ينظر إليه في بعض الدول كعبء وعامل مساعد للصراع والتفتت.

والناظر إلى الواقع العربي، سيكتشف أن «كثيراً من البلدان العربية تعاني من تحديات - بصورة أو بأخرى - نابعة من انقسامات عرقية ودينية ومذهبية وطائفية، ومع ذلك فإن السياسات الثقافية والتعليمية الرسمية العربية تنكر هذا التنوع الثقافي رغم حدّة الصراعات الناشئة عنه، والتي يتم قمعها والتعتيم عليها بصورة مستمرة»[3]، وينطبق ذلك على التراثين المادي وغير المادي.

3 - التراث الديني

التراث الديني باب مهم، وفي القلب منه القرآن الكريم والسنّة النبوية الصحيحة، ويندرج تحت هذا التراث مصادر كثيرة مثل الكتب والمراجع، وبعض هذه الكتب تتضمن أحكاماً قد تكون مرتبطة بزمن أو واقعة محددة، وقد لا تكون صحيحة، أو تكون محرفة من الأساس.

وربما يستند بعضهم إلى جوانب غير صحيحة من التراث

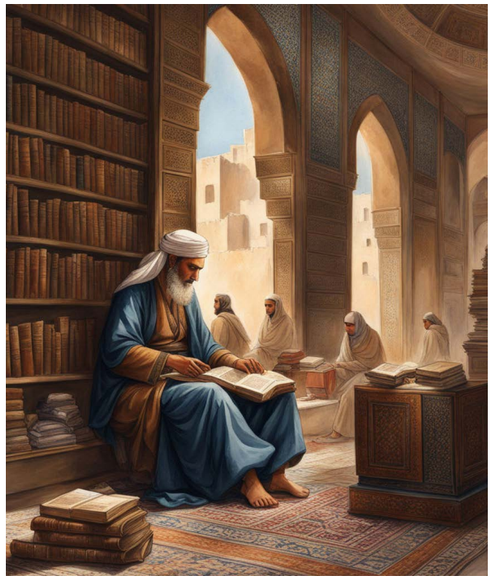

الديني، وقد تكون المشكلة في التفسير الخاطئ لما ورد في بعض هذه المصادر، وشهد عدد من الكتب التراثية الجدل من هذه الناحية، ومنها فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، وهو ما قد ينعكس على أفكار بعضهم واعتقاداتهم، فيقعون ضحية للأفكار الضالة.

4 - العصبية الثقافية

العصبية آفة من العصر الجاهلي حيث كانت القبائل تهتم بالفخر بالأنساب، وتولي اهتماماً خاصاً بالسمعة، وجاء الإسلام لينهي التفرقة بين الناس، قال رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام: «لا فضلَ لعربيٍّ على عجميّ، ولا لعجميٍّ على عربيٍّ ، ولا لأبيضَ على أسودَ ، ولا لأسودَ على أبيضَ إلَّا بالتَّقوَى، النَّاسُ من آدمَ، وآدمُ من ترابٍ»[4]. إلا أن العصبية مازالت موجودة، وتتخذ أشكالاً متعددة. وأحد جوانبها التعصب للتراث.

ولا شك أن تدريس التراث في البيئة العصبية المنحازة لن ينجح، إذ ستفرض هذه البيئة دائماً نظرة أحادية للتراث، وهو ما لا يتفق مع المنهج العلمي الذي يلتزم بالموضوعية.

ومن نتائج التعصب للتراث، رفض المرء ما دونه من مخترعات ونظريات حديثة، والاعتقاد بأن الماضي هو الأفضل، وأن كل مستحدث حرام، فيتوجس من المستقبل، ويظل أسيراً للتاريخ، بمعزل عن التطورات الحديثة الهائلة التي تحدث كل يوم في العالم الواسع.

5 - محاذير تراثية

التراث العربي والإنساني بشكل عام يتضمن محاذير، تتمثل في مواد ونصوص ورسوم وقصص قد تتعارض مع القواعد الأخلاقية، من أمثلة ذلك المجون في شعر أبي نواس، والفن العاري في الفن اليوناني القديم. ورغم أن بعض الجامعات

العربية حسمت الأمر منذ زمن، بتدريس هذه النصوص من دون تعديل، فإن هذه الإشكالية مازالت تتعلق بعدد كبير من كتب التراث مثل «ألف ليلة وليلة» و«رجوع الشيخ إلى صباه» وغيرها.. ، ومازالت هذه الإشكالية الموجودة في بعض أكاديميات الفن، تثير الجدل من حين إلى آخر.

6 - الحاجة المجتمعية

مع تقديرنا للانتماء، وهو عنصر مسيطر في التعامل مع التراث، فإن الحاجة المجتمعية هي التي تضمن استمرارية الشيء وديمومته، فكم من علوم وأشياء انقرضت وأخذت مكانها في المتاحف، رغم أهميتها، لعدم وجود حاجة مجتمعية لها، وغياب الحاجة المادية المجتمعية سيفقد التراث ظاهرة الدفع الذاتي، وسيبقى عملاً تطوعياً يحتاج إلى دعم حكومي مستمر

استراتيجية لتعزيز التراث في العملية التعليمية

ولا شك أن التحديات التي تواجه تدريس التراث تستلزم استحداث استراتيجية عربية موحدة يتم اعتمادها على مستوى الدول العربية، تحل الإشكاليات المتعلقة بتدريس التراث، وتعزز إدخال التراث في العملية التعليمية، وتعني هذه الاستراتيجية بالتالي:

1 - إعادة تعريف التراث

ظل مصطلح التراث نفسه أكثر هذه المفاهيم مدعاة للخلاف، وتدخلت في ذلك اعتبارات دينية ومجتمعية، خاصة مع تشعب العلوم والدراسات، واتساع جوانب التراث، وتداخل بعضها مع علوم أخرى، لذلك من المهم إعادة تعريف التراث، وتصنيفه، وتحديده، ليسهل تدارسه.

2 - حسم طريقة التعامل مع التراث

أمام الجدل الأخلاقي الذي تفجّره بعض جوانب التراث، يجب حسم قضية التعامل مع التراث الذي لا يتناسب مع القيم، هل ندرسه باعتباره تراثاً إنسانياً يمكن الاستفادة منه؟ أم نحجبه؟ أم نقوم بتنقيحه؟ أم نعتمد دراسته وفق الفئة العمرية، وهو حل مقبول مبدئياً، وهذا الموضوع يحتاج إلى مبحث مستقل.

3 - الانفتاح على التراث

التراث مثل الثقافة منتج إنساني، لذلك يجب الانفتاح على التراث الإنساني بموارده وأشكاله كلها، والعمل على الاستفادة منه، ويمكن حسم المحاذير المتعلقة بذلك، بأخذ ما يتفق مع قيمنا، وترك ما لا يتفق معها، لأن الانتقائية في اختيار التراث ستعزز العزلة التي لن تجدي في عصر المعلومات المفتوحة الآتية عبر الشبكة العنكبوتية، ولاشك أن هناك الكثير من القواسم المشتركة في التراث العالمي. إذ إن التراث أحد وسائل التلاقح الثقافي وعملية مهمة في دورة التطور الإنساني

4 - التعليق على التراث ونقده

التعامل مع التراث كشيء غير معصوم من الخطأ، ونقده إذا استلزم الأمر، وعدم الاكتفاء بدراسة الجوانب الإيجابية، والاحتفالية فيه، بل علينا التعلم من الجوانب المضيئة في التراث، ونستخلص الدروس والعبر من الجوانب المظلمة.

5 - تعزيز البُعد الاقتصادي في التراث

حتى نضمن استمرار العلاقة بين الإنسان والتراث، من الأهمية بمكان تعزيز الحاجة المجتمعية للتراث، ولا شك أن أكبر مقوّم لذلك هو الحاجة الاقتصادية، ويمكن ذلك بالعمل على

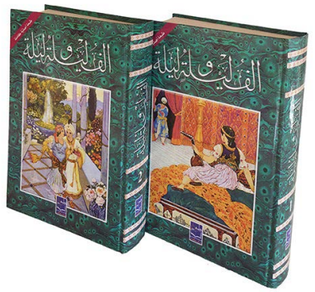

توفير الوظائف المتعلقة بالتراث للخريجين، وتعظيم الجوانب الاقتصادية للتراث، بما يجعله سوقاً جاذبة للعمل والاستثمار، وزيادة قدرته على جلب الفائدة المجتمعية.

6 - ربط التراث بالواقع والمستقبل

قصر التراث على الماضي يحدّ من دوره، ويحوّله إلى مادة تاريخية جافة، لذلك من المهم ربط التراث بالواقع، ليستمد منه الحياة، يقول نيجيل أنكالادا «اليونسكو» عندما نقوم بإنتاج مواد التعليم مع المجتمعات المحلية، يرى الأطفال أنفسهم وأجدادهم في هذه المواد، وفي هذا مكمن السرور، وفرصة لحفظ التراث، وإدامته للأجيال المقبلة»[5]. في الوقت نفسه يجب ربط التراث بالمستقبل، بتطويره واستعماله بطرق حديثة.

7 - إنشاء جامعة التراث

حتى تواكب المناهج الدراسية التراثية المجتمع الذي يتحرك

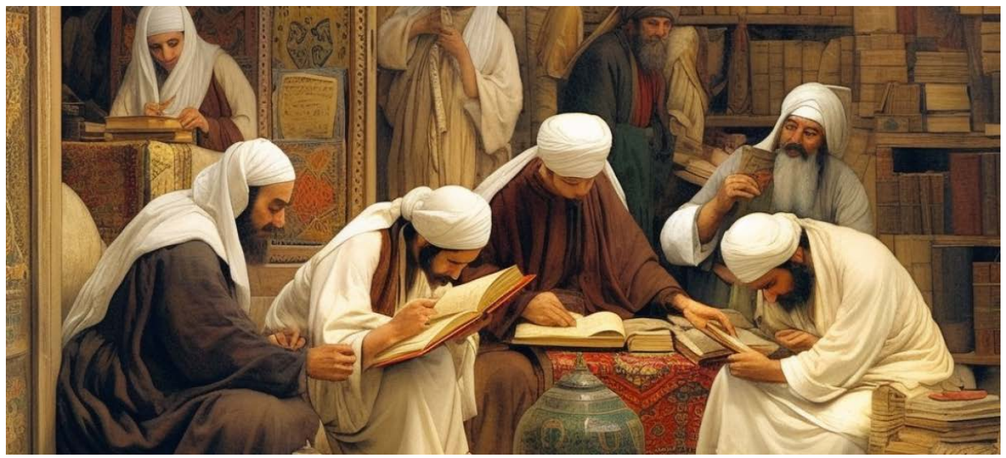

ويتطور، وتواكب التقدم التقني والتكنولوجي المتتابع، يجب استحداث تخصصات جديدة، مثل: الذكاء الاصطناعي والتراث، أزياء تراثية، التراث المقارن، التراث العالمي، التراث السياسي، ومن المفيد هنا إنشاء «جامعة للتراث»، ينضوي تحتها عدد من الكليات التي تلبي التخصصات المتعلقة بالتراث كافة.

8 - الابتكار في تسويق التراث

أي منتج يحتاج إلى تسويق وترويج حتى يصل إلى المستهلك، حتى القيم الجميلة تحتاج إلى تسويق، والتراث قيمة تحتاج إلى الابتكار التسويقي، ولتحقيق هذا الهدف يجب استخدام علوم التسويق الحديثة كافة، ووكالات العلاقات العامة، والاستفادة من الإعلام الجديد للوصول إلى جميع الفئات المستهدفة.

تكنولوجيا التراث

تحدث الكثيرون عن مزايا التراث والفوائد التي يمكن تحصيلها بدمجه في التعليم، وفي مقدمتها تقوية الانتماء، وتعزيز المواطنة، وتنمية المهارات، وتحسين جودة التعليم، وغرس احترام التراث والحفاظ عليه لدى المتعلمين، واستحداث وسائل جديدة لحفظه، وتعزيز التماسك الاجتماعي ودعم التنوع الثقافي. وفي العصر الحديث الحافل الذي يتميز بالتطور التقني السريع والذي أنتج مخترعات تكنولوجية مدهشة، مثل: الذكاء الاصطناعي، والميتافيرس، والواقعين الافتراضي والمعزز، يمكن إضافة الفوائد التالية:

1 - ما زال التراث معيناً لا ينضب يحتوي على كنوز لم تكتشف بعد، على صعيد الأفكار والابتكارات والنظريات العلمية، والاستدامة، فقد تعاملنا مع القدماء من زاوية واحدة وهي الانتماء والحنين، وتناسينا أن هؤلاء كانوا يمتلكون عقولاً جبارة تفوقت في مختلف المجالات كالعلوم والفلك والطب والرياضيات وغيرها، وأن بعض النظريات التراثية غيرت قواعد الصناعة والهندسة[6]، ولا شك أن إعادة اكتشاف التراث بما يحتوي من أفكار علمية سبقت الزمن عن طريق التعليم والبحث خطوة مهمة.

2 - باستخدام الذكاء الاصطناعي والميتافيرس والواقعين الافتراضي والمعزز، يمكن إعادة تقديم التراث بطرق حديثة مشوقة، تحقق ليس الفوائد المعنوية فقط، ولكن الربحية أيضاً.

3 - بعض كتب التراث تتضمن العديد من التجارب والوصفات

الصحية والنفسية المجربة التي يمكن إخضاعها للبحث، والتيقن من صحتها، لتكون رافداً للطب البديل.

4 - في عصر يتطور بشكل متسارع، ومملوء بمهددات الهوية، يمكن تعزيز العلاقة بين الإنسان والتراث، بما يمكن أن نسميه «عصرنة التراث» أي إعادة تقديمه بأشكال عصرية تناسب الأجيال الجديدة، ويمكن تنفيذ ذلك في مجالات شتى مثل الأزياء والأكلات والعمران وأساليب الحياة.

وهكذا يظل تدريس التراث قضية مفتوحة للمناقشة، ورغم الإنجازات التي تتحقق في هذا المجال، يظل بحاجة إلى دفعة قوية، لذلك تبرز الحاجة إلى تنظيم مؤتمر عربي تتوفر له الإرادة السياسية الجماعية، لحسم العديد من الإشكالات ذات الصلة، والبدء فعلياً في وضع تدريس التراث موضع التنفيذ ■

صحفي وباحث مصري

المصادر والمراجع:

1. راجع «الثقافة والتعليم» أودري أزولاي المديرة العامة لليونسكو: موقع اليونسكو: www.unesco.org
2. World Heritage Education Programme : UNESCO : https://whc.unesco.org/en/wheducation/
3. «سياسات إدماج التراث الثقافي في التعليم»، سعيد المصري، مجلة المأثورات الشعبية، العدد 84، أكتوبر 2013.
4. حديث صحيح: المحدث: الألباني، المصدر: شرح الطحاوية» الصفحة أو الرقم: 361.
5. «التراث الحي والتعليم» - كتاب «منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة»، اليونسكو 2019.
6. راجع مقالنا «ابتكارات تدمج الحرف التقليدية في الحياة العصرية» مجلة «مراود»، معهد الشارقة للتراث، العدد 49، ديسمبر 2022، ص 138.

الرمسة الإماراتية

تدريسها وترجمتها إلى اللغات الأخرى

أماني إبراهيم ياسين

تتبنّى دولة الإمارات العربية المتحدة فلسفة قوية تجاه الحفاظ على تراثها وثقافتها المحلية، وتاريخ هذا الاهتمام يعود إلى المؤسس الراحل - رحمه الله تعالى - الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان - طيّب الله ثراه - الذي أدرك أهمية الروابط بين الماضي والحاضر، وأن التراث يعتبر محوراً أساسياً في رحلة التنمية الشاملة والمستدامة. وقد اقتفى صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان، رئيس الدولة - حفظه الله - هذا النهج، مؤكداً أن التراث يشكّل جزءاً لا يتجزأ من الهوية الوطنية الإماراتية. ويعكس هذا الالتزام حرص دولة الإمارات العربية المتحدة على المساهمة الفعالة في حماية التراث الإنساني المشترك، الذي يمثل ثروة للأجيال القادمة، وجسراً للتواصل بين الثقافات والشعوب»[1]**، ونتيجة لهذا الاهتمام الرسمي والشعبي، تحققت العديد من الإنجازات، من بينها انتشار الرمسة الإماراتية على الساحة العالمية.**

اللهجة الإماراتية

انفردت دولة الإمارات العربية المتحدة بأول مبادرة لتدريس اللهجات المحلية لغير الناطقين بالعربية، وترجمة الرمسة الإماراتية إلى لغات العالم، وهو ما يقدم فرصة فريدة للأفراد من جميع الثقافات لاستكشاف التراث اللغوي الإماراتي الذي يتميز بالثراء والتنوع. وتشير كلمة «الرمسة» في اللهجة الإماراتية إلى الكلام والقول، وهي كلمة فصيحة، ففي معاجم اللغة «الرمسة» هي الصوت الخفي، ودلالة الكلمة في الإمارات تذهب إلى الصوت المسموع، ويطلق على الشخص الذي يرمس كثيراً ولا يُغلب في الرمسة «الكلام» «رمّيس»[2].

وتتميز اللهجة الإماراتية بجماليات خاصة، دلالية ولفظية، فهي من ناحية تتمتع بثراء واضح في الألفاظ والمعاني، كما تتميز بوقع موسيقي خاص، وساعد قربها من اللغة الفصحى في جعلها لهجة مفتوحة يمكن لأي شخص استيعابها وفهمها.

تعليم الرمسة الإماراتية

يقول نيلسون مانديلا «إذا تحدثت إلى شخص بلغة يفهمها يذهب كلامك إلى عقله، وإذا تحدثت إليه بلغته يذهب الكلام إلى قلبه»، من هذا المنطلق تأسس معهد الرمسة AlRamsa Institute [3] بواسطة عبد الله الكعبي وحنان الفردان؛ لتوفير دراسات مخصصة لتعليم اللهجة الإماراتية، من المبتدئين إلى المتعلمين المتوسطين والمتقدمين، ويضم المعهد فريقاً من المتحدثين الإماراتيين، جنباً إلى جنب مع المناهج الدراسية، ويمكن للطلاب الاختيار من بين الفصول الدراسية

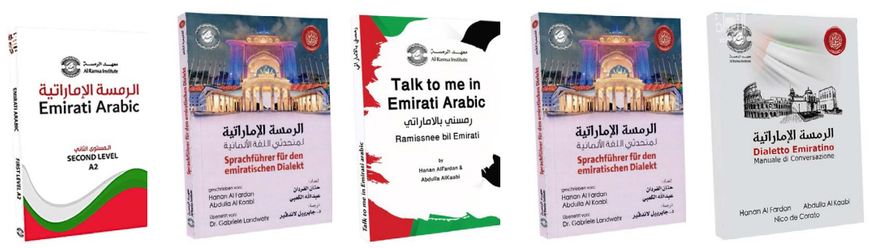

عبر الإنترنت، أو وجهاً لوجه، والدورات الخاصة وشبه الخاصة والجماعية. ويشهد المعهد إقبالاً كبيراً على تعلم الرمسة من مواطني دول شرق آسيا وأوروبا وأفريقيا وأمريكا، حتى من بعض الدول العربية، لكونها لغة المحادثة، رغبة في الاختلاط بالثقافة الإماراتية والشعب الإماراتي، وكانت اللهجة فاتحة للتعرف على العادات والتقاليد والأمثال الإماراتية. فتعلم الرمسة يسهل على الأجانب التعامل مع الأصدقاء الإماراتيين بلهجتهم، ويبسر للموظفين الحديث مع زملائهم الإماراتيين، ويساعد الأطباء على الحديث مع المرضى، وكل ذلك يعزز المودة، ويطور العلاقات الاجتماعية والمهنية. ويقدم المعهد دوراته بشكل مفتوح ومجاني على موقع يوتيوب، ليتيح لأكبر عدد من الناس الفرصة لتعلم الرمسة الإماراتية[4].

كتب ومصادر تعليمية

بعد سبع سنوات من تأسيس المعهد، برزت الحاجة إلى توفير كتب ومصادر تعليمية وتطبيقية، وتوفير محتوى إضافي لتعليم الرمسة الإماراتية لغير الناطقين بها، فأسس الكعبي والفردان دار «الرمسة» للنشر[5].

وأصدرت الدار العديد من الكتب التي تلبي حاجة المتعلمين الراغبين في تعلّم اللهجة المحلية. على سبيل المثال، يركز كتاب الرمسة الإماراتية للمستوى الأول- للمبتدئين على الكلمات اليومية التي يمكن أن تساعد المبتدئين على معرفة اللهجة، وفهم العبارات والأسئلة البسيطة. ويمكن للطالب أن يتعلم نحو 400-600 كلمة ويكون قادراً على تكوين جمل مكونة من 3-5 كلمات، كما يحتوي الكتاب على تمارين وأنشطة تفاعلية تساعد على تطوير المهارات اللغوية الأساسية مثل التحدث والاستماع، كما يتضمن قواعد النحو والتراكيب اللغوية الأساسية في اللهجة الإماراتية، ويمتاز الكتاب بأنه يعرض الكلمات والعبارات بشكل مرئي، ما يساعد على تحسين الفهم والحفظ بشكل أفضل.

الرمسة بـ (8) لغات

وفي إطار خطتها للوصول إلى أكبر عدد من المستفيدين، ترجمت الدار الرمسة الإماراتية إلى ست لغات هي: الإيطالية، والإسبانية، والروسية، والصينية، والكورية، الألمانية، وهي بصدد ترجمتها إلى اللغة الفرنسية، ولغة المالايالام. وعلى مدى السنوات السابقة ساعدت الدار أكثر من ستة آلاف طالب من مختلف الجنسيات على تعلّم الرمسة الإماراتية، والتواصل بشكل أفضل مع الأشخاص من حولهم، وعادة يحتاج المرء 30 ساعة على الأقل، حتى يتمكن من التعبير عن نفسه، بتعبيرات بسيطة مع شخص إماراتي أو عربي.

مصادر للهجة الإماراتية

حرصت دار الرمسة على توثيق اللهجة الإماراتية، بتوفير كتب

ومصادر تُعين أي باحث في اللهجات، مع الاهتمام بالمصادر الصوتية، حتى يعرف كيفية نطق اللهجة، وأصدرت حتى الآن 15 كتاباً في اللهجة الإماراتية، كما بدأت في نشر قصص للصغار باللهجة الإماراتية، مع ترجمتها إلى الإنجليزية. وتسعى الدار لنشر كتب متخصصة أكثر، مثل كتب باللهجة الإماراتية للأطباء وللعاملين في العقارات والبنوك، وحتى في مجال اللياقة والتدريب الرياضي، وهي مجالات يحتاج العاملون فيها لمعرفة اللهجة. وتوفر «الرمسة» حالياً كتب الرمسة الإماراتية للمستويات المبتدئة والمتوسطة، وتخطط لتوفيرها للمستويات المتقدمة، إضافة إلى توفير كتب لمراحل تعليمية لأي شخص متخصص للتعرف أكثر عن العبارات والتعبيرات المجازية كتابية وصوتية، وحتى الفيديو عن طريق التعليم الإلكتروني.

معجم الرمسة

وفي إطار الحرص على إيصال الرمسة الإماراتية إلى العالم، أصدرت «أكاديمية الشعر» في لجنة إدارة المهرجانات والبرامج الثقافية والتراثية في أبوظبي معجم «الرمسة الإماراتية»[6] بلغات عدة منها: الإنجليزية، والإيطالية، والكورية، والصينية، والألمانية، وشارك في إعداد المعجم حنان الفردان وعبد الله الكعبي، بمشاركة مؤلفين أجانب في كل لغة. ويعتبر المعجم - بطبعاته - الأول من نوعه المعتمد أكاديمياً والمتخصص بمفردات اللهجة الإماراتية، وقد تم دعمه بطريقة النطق الصحيحة لكي يسهل على القارئ استخدام الكلمات ونطقها بشكل مناسب. ومن ذلك، نجح الإماراتيون في إيصال «رمستهم» إلى العالم، حيث أصبحت اللهجة المحلية المميزة عاملاً فعالاً في تعزيز التواصل والفهم المتبادل، وتعزيز قيم التسامح والتعايش وحوار الثقافات. وهي تجربة فريدة جديرة بالبحث والتحليل ■

كاتبة وصحفية مصرية

المصادر والمراجع:

1. محمد بن زايد: التراث الإنساني ثروة للأجيال، تصريح لرئيس الدولة خلال زيارته لفعاليات الدورة الـ (20) من معرض أبوظبي الدولي للصيد والفروسية من (2 إلى 8 سبتمبر 2023).

2. برنامج «رمستنا» - سلطان العميمي - قناة الإمارات: www.youtube.com، في 2017/05/30.

3. تأسس معهد الرمسة في دبي عام 2014: www.alramsa.ae

4. تابع قناة : Emirati Arabic : www.youtube.com

5. تأسست شركة دار الرمسة لخدمات نشر الكتب والمطبوعات في دبي عام 2021، عضو جمعية الناشرين الإماراتيين.

6. «معجم الرمسة»، أكاديمية الشعر في أبوظبي، إعداد المعجم: حنان الفردان وعبد الله الكعبي، أبوظبي 2015.

التنمية الثقافية وضرورة الترجيح الأكاديمي

محمد نجيب قدورة

كان أستاذنا الراحل (الدكتور إحسان عباس) يحدثني عن النقد في كتابه نقد الشعر، عندما التقينا في حلب عام 1975م فزادني من الكلام: هذه أسس النقد لمن يمتلك قدرة نقدية، أمّا ما يمكن أن نسميه عالِمَ النقد فهو أسمى وأرقى. فالناقد ليس بمنجاة من أن يُنقد إذ ليس هو صاحب الكلمة الأخيرة أو القول الفصل لأن ما يخفى يكون أعظم.

قالت نفسي: أذكر ذاك اللقاء الذي مرّ عليه خمسون عاماً مع شيخ المحققين والنقاد العرب، فلعلك تشير إليّ من أطراف الحديث أنك مهتم بجمع التراث وتحقيقه. قلت: كثيراً ما أرى وأسمع وأقرأ قراءات لشخوص أو نصوص أو ظواهر. تعرفين أني لا أقف مكتوف اليدين أو مخدّر اللسان، فلكل خبز خبازه الذي يفهم سرّ الترجيح في الجودة. قالت لي عصفورة الفكرة: ماذا وراءك يا رجل؟ قلت: أمّا بعد، فلقد انبرى لساننا وجف مدادنا ونحن جاهدون في محاولة استيعاب ما يقال، نتأمل، نتعمق، فنرى عجباً عجاباً، كأن البحث في التراث تحول من الدرس والتمحيص إلى مجرد تكرار ما قال المؤلف جماعاً دون دراية بالثناء أو الرأي، أأجاد المنقول عنه أم تعثر، ثم نكون شهود عيان زور على نفخٍ وسقوطٍ في فخ، والأنكى من هذا هو سماعنا أن فلاناً فوق النقد، فأينا المهذب؟

إحسان عباس

كنت أصاب بدهشة الصرخة وهي تلوح بقرع طبل حربي على مسامعي: من أنت حتى تناقش؟ فأجيب: النقد علم أكاديمي لا يقوم به حصراً ذوو الاختصاص، كان هذا يثيرني فلا أرفع قبعة ولا أحني ظهراً، ذلك أن أي رأي ليس علم يقين إلى أن يتحول من الجمع إلى التوثيق إلى حق اليقين، وبالطبع يا عصفورة فكرتي لن أستعلي على أحد أو أتنمر على مبدع أو ناقد، فالرائد لا يكذب أهله، خاصة في التنمية الثقافية في ركيزة بناء الإنسان.

أذكر أن الدكتور غانم السامرائي، وهو يتحدث عن قلق الكاتب من النقد أشار إلى أن كثيراً من الأحكام النقدية تكون إما مستفزة، وإما مجاملة، وقد تحاورنا في هذا الباب بعد طرقه، حيث اتفقنا على أن النص بعدما يخرج من قلم المؤلف أو فم الراوي فقد تحول إلى مرمى لهدّافين، ونحن لسنا هنا في معرض قلق الكاتب أو الراوي أيضاً.. نحن في حيز النقد التالي لعملية الجمع والتوثيق وكونها تسهم في الإبداع كما نحن في منصة الرأي والرأي الآخر.. أجل لا نريد تمجيداً ولا هجوماً شرساً ولا نقدَ نميمة..

قالت عصفورة الفكرة: أعرف أن نقد أي عرض تراثي لا يزال قيد مهمة التحقيق ولو بعد قرون، فنتساءل: أتراه يوافق مقتضى الحال؟ قلت: أنا لا أنكر ضرورة التذوق الأدبي والوعي المعرفي قبل أن تصل اللعبة الذكية إلى قول: كش ملك، أو إنه حق اليقين عند توثيق التراث المسطور والجمع المنظور.

أجل في مربعات النص بأنواعه نحتاج في النقد إلى مفاتيح أكاديمية ومستندات وشيء من سعة علم في أصول الإبداع السردي وتفرعاته. قالت نفسي: وهل تقصد أن الباحث يجب أن يكون مبدعاً؟ قلت: الإبداع في التوثيق لا يعني النقل ولا يعني الافتراض بالنفي أو الإثبات، فالإبداع يقتضي التزام الحياد المنطقي إذ لا يعقل أن يتغافل عن واقع الحال، قالت لي دهشة الفكرة: كأنك لا تقبل بالجواب النهائي! قلت: أنا لا أجري مفاضلة أو موازنة أو مساجلة.. أنا كنت هذا الذي يهمه التحقيق فيما يقال، أنا لست قاضياً أو فقيهاً.. المحقق يرفع الوقائع والبصمات لمن سيحكم بناء على معطيات ودلالات، وإليك يا نفسي بعض هذه التحقيقات التي علمني سلوكها الباحث التراثي، خير الدين الأسدي - رحمه الله - وهو يقول لي: التحقيق يعني إحقاق الحق ولا تخشى لومة لائم، أما أنا فقد أبديت نتائج تحقيقي في بعض القضايا الأدبية والتاريخية لست أدّعي أنني وحدي العارف بها ومنها:

أولاً: ادّعاء مفسري اللغات بأن القهوة هي الخمرة، فقلت: القهوة من الإقهاء والتنشيط للذاكرة، أما الخمرة فتذهب العقل وتشل الإرادة.. صحيح أن في الاثنين لذّة لما يستحب مزاجاً أو تشبيهاً، لكن أجدادنا العرب شبهوا لذة الخمرة بلذة القهوة أو لونها حيث لذة القهوة مظهر سيادي بدوي، بينما لذة الخمرة مظهر سيادي حضري. أعيد وأكرر: إن الخمرة مشبه والقهوة مشبه به، وعادة في البلاغة المشبه به أقوى من المشبه، ولن يفيدنا هنا التشبيه المقلوب، لأننا أمام تشبيه بليغ، من هنا قلت لعلماء اللغة من الفراهيدي إلى ابن منظور يا سادتي حبوب البن ليست حبوب العنب، ثم هبّ المؤرخون لتاريخ القهوة في وجهي قائلين: لقد اكتشفت القهوة من قِبل راعٍ اسمه (كالدي) عندما رأى أن الماعز تنشط من أكل محتويات شجرة البن عام 1472م ثم استحسنها أئمة المتصوفين لأنها تساعدهم على سهر العبادة، فقلت لهم: لماذا تجاهلتم الآن قول الشعراء إن الخمرة هي القهوة أو القهوة هي الخمرة؟ يا قوم: لنرجع إلى ما قبل تاريخكم هذا بضع مئات

من السنين لنرى عالمنا أبا بكر الرازي في تاريخ (544-606هـ) أي (1150-1210م) فالرازي هو المتحدث عن حبوب البن في كتابه (الحاوي)، فبعد أن ذكر الخمرة القابضة قال: (القهوة نوع من الشراب أوفق للمحرورين غير أنه يسقط الشهوة) دون تحديد مجال الشهوة، وهذا ما أكد عليه داوود بن عمر الأنطاكي في القرن السادس عشر للميلاد واصفاً البن بأنه ثمر من اليمن... حبه كالبندق وقد شاع اسمه بالقهوة إذا حُمص وطُبخ... ومن أجل القهوة المثيرة للجدل كان كتاب (الصفوة في حل القهوة) للشيخ محمد بن عبد القادر الجزيري الذي عاش بين عامي (911 - 977هـ) على الرغم من أن أول من ذكر البن كان الرازي في مسرده بكتاب (الحاوي) ولكنه أورد ذكره كعلاج، وكذلك فعل ابن سينا في (قانونه) وكذلك قبل أن يقال إن العالم الذبحاني سرد حكاية القهوة وخاصيتها كمنشط للبدن ومورث للعزم على السهر.

ثانياً: قالت نفسي: هذه سرديتك القهوية الناقدة فأين سواها؟ قلت: خذي مثلاً تفسير (وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت) جئنا إلى المعاجم فوجدنا أن الوأد عندهم وأد البنات ويضيفون في تفسير معنى الموءودة في القرآن الكريم معتمدين على تفسير الموءودة بالجارية تدفن حية خوف العار والحاجة، وأن الآية جاءت تبكيتاً لقائلها، رجعت إلى (الآية 8)

في سورة (التكوير)، ثم تابعت المعاجم فقالت: البنت تدفن حية خوف العار أو الحاجة لتكرر المعاجم قولها (وأد البنت أي دفنها في التراب حية) ويعلق بين قوسين (عادة جاهلية) ويزداد الطين بلة بقولهم: كانت العرب تدفن البنات. قلت: لأبحث في أسباب النزول لأجد قول المفسر الطبري يقول: من أوائل ما نزل في مكة في ذلك الليل البهيم من الظلمات والظلم المسلط على المرأة كان قوله تعالى (الآية) لتكون هذه الآية (أودكة) تستهدف التصورات الجاهلية حول المرأة التي اعتبرتها الجاهلية شيئاً للمتاع والاستعباد ومتى لم تعد تفيد (تأكل نصيباً زائداً من الطعام أولاً، ولا تستطيع الدفاع عن نفسها) وليس بعيداً عن هذا تفسير القرطبي وابن عثيمين (نلاحظ معنى الأودكة في التشبيه بشحم كبديل للسمن).

عفوك يا عصفورة فكرتي أنا المحقق هنا، ولست المفسر للآيات ويبقى السؤال، أترى كان العرب يدفنون البنات فقط أم الأمر عام على كل نفس من ذكر وأنثى خوفاً من عار لاحق ثم إن الآية السابقة (وإذا النفوس زوجت) فالحديث جمع لا مفرد ليأتي في التعقيب (علمت نفس ما أحضرت) والمفهوم كل نفس دون تحديد ذكورة أو أنوثة.

أجل يا نفسي، عادة الوأد وقتل النفوس البريئة دون ذنب قد تحصل عند العرب وغير العرب، في القديم وفي الحديث إذا وعينا أن أسباب الوأد أو الدفن للنفوس تتم لألف سبب كما بيّن الفهم اللغوي للإمام القرطبي عندما عرض تفسير لغوياته فقال: النفوس جمع نفس والمراد بها الإنسان كله، فتزوّج النفوس يعني: بضم كل صنف إلى صنفه، لأن الزوج يراد به الصنف ثم بعد التوكيد على معنى الصنف يقول: إذن يعني النفوس أي شكلت وضم بعضها إلى بعض كل صنف إلى صنفه، لكن في ختم كلامه يعود إلى أن الأنثى تدفن حية، وذلك أنه في الجاهلية لجهلهم وسوء ظنهم بالله وعدم تحملهم يعير بعضهم بعضاً إذا أتته أنثى كما في قوله تعالى: (فإذا بُشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم) (النحل 58) وبالطبع يا نفسي نحن هنا في سياق آخر يتوجه إلى عادة ممتدة في التوريث والحروب ولا علاقة لها بالوأد.. فاسوداد المشاعر وكظم الغيظ لم يقنع بسردية الوأد، إنما بإمكانية السيادة القلقة حتى إن القرآن الكريم خاطبنا (ولا تقتلوا أولادكم من إملاق) (وخشية إملاق) في الإملاق الفقر واقع، وخشية إملاق الفقر غير واقع. ثم عقب (نحن نرزقكم وإياهم) في الآية (51) من سورة (الأنعام) فالقتل لم يحدد فيه نوع لأننا فهمنا هنا أن الأولاد عام على الذكر والأنثى. والموضوع يبقى في سوء ما بشر به وليس الدس في التراب على التعميم وإنما هو حالة نفسية في ضعف الاعتقاد لا إثبات السلوك، أقول كل ما سبق مدعاة إلى إجراءات ترسخ النظريات والمعارف التراثية فالتراث هوية وطنية تقوم بها دوائر الثقافة، أجل يا عصفورة الفكرة، إن نقدنا للنقد لا يعيب إنما هو عودة وعي، خاصة عندما يكون الأمر ملتصقاً بتراثنا العربي المسطور، فكيف إذا كان في التراث المسموع أو المنظور.. هنا أتذكر أجدادنا في علم الرجال والجرح والتعديل وقول العلامة الجاحظ عن أبي زيد الأنصاري: أبو زيد عالم بالرواية لا الدراية، قالت نفسي: صدق القائمون على الميادين التراثية وأفلحوا عندما ارتأوا أن التراث الحق هو التراث المحقق المدعم بالتحكيم الأكاديمي لأهمية المفاتيح العلمية التي نرى آثارها تدل عليها في (أكاديمية الشعر ومنشورتها في أبوظبي) و(معهد الشارقة للتراث في الشارقة) و(هيئات الأرشيف الوطني ومركز زايد للتراث) وسوى ذلك من أمثال (مركز حمدان بن محمد بن راشد لإحياء التراث) والبقية تأتي، فليس من رأى ودرى كمن سمع أو قرأ. وهذا هو المقصود بالحكمة المدنية التي ترسخت بمعنى الأكاديمية، والله أعلم ■

أديب وباحث فلسطيني

الإمارات ومركز أحمد بابا في تمبكتو

(دعم بلا حدود لترميم المخطوطات وتصويرها وأرشفتها وحفظها)

محمد فاتح زغل

في عام 1997 أوفدتني الإيسيسكو - منظمة العالم الإسلامي للتربية والعلوم والثقافة في إطار التعاون بينها وبين مركز جمعة الماجد في دبي وبرفقة الدكتور بسام داغستاني، رئيس قسم الحفظ والمعالجة والترميم في مركز جمعة الماجد، إلى كل من السودان واليمن والاطلاع على ما يتعلق بفلسطين ومخطوطاتها المحفوظة في الأردن وجمهورية مالي، ومنها إلى جوهرة الصحراء مدينة "تمبكتو" للاطلاع على وضع المخطوطات في هذه الدول وتقديم تقرير عنها للمنظمة لمساعدتها في صيانة مخطوطاتها وترميمها وتصنيفها وتصويرها؛ حرصاً عليها من التآكل والاندثار فضلاً عن فتح ورشات للعاملين فيها وتدريبهم على الترميم والتصنيف وصنع ورق الإيبرو وأغلفة المخطوطات وإرسال فرق تصوير المخطوطات لتصوير نسخة منها وحفظها في أرشيف المركز خدمة للباحثين والدارسين، وكانت كلها على نفقة رجل الأعمال الإماراتي السيد جمعة الماجد، مؤسس وصاحب مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث في دبي، الذي عملتُ فيه رئيساً للقسم الثقافي والإعلامي كما كنت عضو هيئة تحرير مجلة "آفاق الثقافة والتراث" التي تصدر عن المركز، والسيد جمعة من أوائل رجال الأعمال في الإمارات الذين وضعوا المال في خدمة المخطوطات والكتب، وكانت الإمارات سبّاقة إلى دعم هذا المركز وصيانة مخطوطاته وحفظها وتصويرها لوضعها في خدمة الباحثين والدارسين استجابة منها لنداء المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم، حيث قام مركز جمعة الماجد بتلقي الاستغاثة وتلبية نداء العاملين في مركز أحمد بابا منذ عام 1997.

محطة باريسية

للوصول إلى جمهورية مالي كان لا بد من محطة في باريس وهي مفتاح الدخول إلى مالي، حيث قدمنا من دبي ومنها حملتنا الطائرة الفرنسية إلى باماكو عاصمة جمهورية مالي حيث كان في استقبالنا السيد محمد علي يتام - رحمه الله - وهو المفتي العام في مالي، ووفد من وزارة الثقافة وممثل منظمة العالم الإسلامي للتربية والعلوم والثقافة.

جمهورية مالي

تقع جمهورية مالي في غرب أفريقيا، وتحدها كل من الجزائر والنيجر وبوركينا فاسو وساحل العاج وغينيا وموريتانيا، وتتميز بتنوع ثقافي ولغوي مثير للاهتمام. وهي دولة اجتذبت الكثير من الانتباه في العقود الماضية، وذلك بسبب مكانتها كواحدة من الدول الأكثر تضرراً في أفريقيا جراء الاستعمار الأوروبي، ولكنها مع ذلك بقيت تحتفظ بعدد كبير من القيم الثقافية الفريدة. كما أنها واحدة من أقوى الممالك في أفريقيا باعتبارها مركزاً لتجارة الذهب والماس.

خضعت مالي للاستعمار الفرنسي منذ عام 1898 إلى أن بدأت بالتحرر التدريجي حيث نالت استقلالها عام 1960.

باماكو

في باماكو عاصمة جمهورية مالي أقمنا يومين ونعمنا بضفاف نهر النيجر والطبيعة الخلابة ومعالمها السياحية، مثل: مسجد باماكو الكبير، وكاتدرائية باماكو، والمكتبة الوطنية، وحديقة الحيوان المدهشة، وتعد المدينة من المدن التجارية المهمة خاصة في منتجات الأرز والفول السوداني والقطن، وكلمة "باماكو» في لغة قبائل البامبارا تعني "ظهر التمساح".

بعد استراحة قصيرة في باماكو ركبنا الطائرة الشراعية إلى تمبكتو «جوهرة الصحراء المتربعة على الرمال"، وقد اضطر الدكتور بسام داغستاني إلى تفكيك جهاز الترميم الآلي نظراً لضيق فتحة باب الطائرة الشراعية، وهو من قام بتصنيعه وفق مواصفات فنية وتقنية عالية لترميم المخطوطات آلياً وصنع الورق اللازم للترميم، وهذا الجهاز تم إهداؤه إلى العديد من مراكز المخطوطات في العالم. كانت رحلة محفوفة بالمخاطر حتى هبوط الطائرة على طريق رملي مجهول البداية مجهول النهاية.

تمبكتو ومركز أحمد بابا

تعد تمبكتو البوابة بين شمال أفريقيا وغربها، وهي ملتقى القوافل البرية وتجار الملح القادمين من النيجر وليبيا. سكنها الطوارق وفيها مركز أحمد بابا للتعليم العالي والبحث الإسلامي. وعلى بعد بضعة أميال فقط من دلتا نهر النيجر في مالي، تبدو تمبكتو وكأنها متاهة من المباني الطينية المكوّنة من طابق واحد. إنها مدينة ذات وضع شبه أسطوري، وهي آخر موقع استيطاني قبل الصحراء الكبرى، وهو مكان مرادف لصعوبة الوصول إليه تقريباً. على الرغم من موقعها النائي، فإن المدينة تفتخر بتراثها العلمي الذي أنتج عدداً مذهلاً من المخطوطات.

تتكشف المدينة القديمة كسلسلة من ساحات الحدائق المختبئة خلف جدران مهيبة على طول الشوارع الضيقة المغطاة بالرمال العميقة.

يربط المجمع المدينة الجديدة بالمدينة القديمة عبر ممرات خارجية ويحاذي شريانها الرئيسي مع مئذنة مسجد سانكوري، وهو مبنى يعود تاريخه إلى القرن الخامس عشر مصنوع من الطين وأعلنته اليونسكو موقعاً للتراث العالمي. ويصف "سبايز" وهو أحد المؤرخين المستشرقين تمبكتو بأنها «مثل البندقية الجافة». وكما يتعيّن على مدينة البندقية أن تقاوم الغرق في بحيرتها الشاطئية، يتعيّن على مدينة تمبكتو الحالية أن تكافح ضد زحف الصحراء الكبرى.

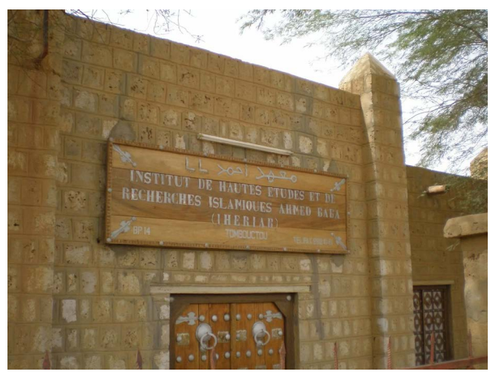

من هو أحمد بابا

كان أحمد بابا أحد أعظم المفكرين الأفارقة في القرن السادس عشر. وهو كاتب وباحث إسلامي غزير الإنتاج، ولد في تمبكتو عام 1556، عُرف في حياته برسائله الشرعية التي تناولت المسائل المتعلقة بالإسلام، كما سعى أحمد بابا إلى الجمع بين المجموعات العرقية المختلفة التي كانت تتعايش في تمبكتو في ذلك الوقت. وحققت نظرته في العبودية وعدم احتجاز المسلمين كعبيد بغض النظر إلى أصلهم أو لون بشرتهم حيث كان السائد في ذلك الوقت، أن العبيد هم إحدى السلع الأساسية المتداولة للبيع في تمبكتو.

مركز أحمد بابا للتعليم العالي والبحث الإسلامي

أول صدمة كانت لنا عند دخولنا مركز أحمد بابا ونحن نتفقد المخطوطات فيه هو عثورنا على نسخة فريدة من كتاب ابن سينا النفيس والنادر "القانون في الطب" وهو موسوعة طبية تنقسم إلى خمسة مجلدات ألفها العالم والطبيب والفيلسوف المسلم ابن سينا صدر عام 1020م. ويعد الكتاب من المؤلفات المؤثرة والمعتمدة في مجال الطب في العالم، حيث اعتمد كمرجع أساسي لتدريس الطب في الكثير من الجامعات حتى القرن الثامن عشر، وعلى الرغم من أنه وضع منذ ما يقارب عشرة قرون من الزمن وقبل اكتشاف العديد من النظريات العلمية والتجريبية والمختبرات الحديثة، فإنه لا يزال المرجع المهم، والقاعدة الأساسية في الاستشفاء وتركيب الأدوية، وكانت فرحة لا توصف ونحن نمسك بهذا المخطوط لكن سرعان ما أصابنا الإحباط عندما فتحنا المخطوطة لنجد أن حشرة الأرضة قد أكلت منتصفه وتركت فيه فتحة تراوحت في الاتساع ما بين نحو 7 سم في الأطراف وفي العمق بحدود 10 سم كانت صدمة حقيقية أصابتنا بالذهول كيف يحدث هذا إلى أهم مخطوطة في الطب؟ يضم المركز نحو 20 ألف مخطوطة تغطي تاريخ مالي، بما في ذلك تاريخ السودان. وتعود غالبية المخطوطات إلى مابين القرن الرابع عشر إلى القرن السادس عشر، ومعظمها مكتوب باللغة العربية ولكن بعضها الآخر مكتوب باللغات المحلية، مثل: السونغاي والتماشيك والبامانانكان، أو حتى في اللغات الأبعد، وواحدة باللغتين التركية والعبرية، مع موضوعات تغطي الطب والفلك والشعر والأدب والشريعة الإسلامية. مما استوقفني في مركز أحمد بابا في تنبكتو العديد من النصوص المتعلقة بتاريخ البلد والعديد من المراجع التاريخية المتميزة مثل: كتاب "الترجمان" لمحمد محمود بن الشيخ الأرواني. ومؤلفه هو القاضي محمد محمود بن الشيخ الأرواني - رحمه الله - وهو كتاب في تاريخ الصحراء والسودان وبلاد تنبكتو وشنقيط وأروان ونبذ من تاريخ الزمان في جميع البلدان. ومن الجدير بالذكر أن التعاون الذي استمر إلى الآن بين مركز جمعة الماجد ومركز أحمد بابا في تمبكتو أثمر عن العديد من الإنجازات أهمها فتح مركز للترميم الآلي واليدوي في المركز وتدريب العاملين على الترميم والتصنيف، وإرسال فرق متخصصة بتصوير المخطوطات حيث تم بالفعل تصوير 28 ألف مخطوط، وصناعة علب حفظ لأكثر من 10 آلاف مخطوط. وقد استمر هذا التعاون والدعم الفعليين من الإمارات لمركز أحمد بابا في تمبكتو إلى اليوم وكان من ثماره بناء مختبر متكامل لترميم المخطوطات، ومختبر للتصوير الرقمي، ومكتبة عامة تحوي 10 آلاف كتاب وقاعة مطالعة وقاعة إنترنت.

عند استيلاء الطوارق ومن معهم من الجهاديين الإسلاميين المتشددين على مدينة تمبكتو عام 2013 قاموا بإشعال النار في مكتبة «أحمد بابا» التي أتت على قسم من نوادر المخطوطات لا تقدر بثمن. لكن نحمد الله على أن ما قام به مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي قد حفظ صوراً عن هذه المخطوطات هي اليوم في أرشيف المركز خدمة للباحثين والدارسين ■

أكاديمي وباحث في التراث

الأرشيف والمكتبة الوطنية يؤسس لأكاديمية عالية في علم الأرشفة

فاطمة سلطان المزروعي

قدمت دولة الإمارات العربية المتحدة دوراً كبيراً في نشر الثقافة والإبداع والحفاظ على التراث وصونه وتعليمه للأجيال القادمة من خلال تأسيس عدد من الأكاديميات التي قامت بدور كبير في ترسيخ النظريات والمعارف التراثية وتعزيز الفنون الشعبية وعلم الأرشيف والأرشفة، وقد قدمت هذه المؤسسات دورات دبلومية مهنية غطت الكثير من التخصصات التي يحتاجها العالم العربي اليوم وأسهمت في عمليات تدوين التراث الشفاهي وترميم المخطوطات والوثائق وصيانتهما وإعادة ترميمهما وفق معايير عالمية، وهذه المؤسسات تعمل ضمن منظومة تخصصية وتنشر الوعي في المجتمع، وتحاول الحفاظ على الهوية الوطنية، وتعزز الثقافة في المجتمعات المحلية، وتأهيل كوادر بشرية يمكنها المساهمة في نشر التراثين الثقافي والأرشيفي. ومن أهمها: معهد الشارقة للتراث، وأكاديمية الشعر التابعة لدائرة الثقافة والسياحة في أبوظبي، والأرشيف والمكتبة الوطنية في أبوظبي، ومركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، وغيرها من المؤسسات التي أخذت على عاتقها إيجاد جيل في المستقبل يمكنه التكيّف مع جميع التطورات عن طريق التعلّم والورش والدورات التدريبية وورش برامج متخصصة في البكالوريوس والماجستير والدكتوراه بما يتناسب مع احتياجات المجتمع والتخصصات المطلوبة، التي تهدف للحفاظ على الهوية الوطنية وتعزز من التواصل مع المجتمع الآخر.

ويعتبر الأرشيف والمكتبة الوطنية من أهم المؤسسات الأكاديمية الأرشيفية المتخصصة في جمع المواد الأرشيفية وحفظها ورقمنتها وإتاحتها وفق أفضل المعايير المتبعة في عالم الأرشفة، لقد أسسا في عام 1968 بتوجيه من المغفورله - بإذن الله تعالى - الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان - طيّب الله ثراه - لحفظ تراث الأمة وتاريخها، واستطاع الأرشيف الوطني طوال أكثر من خمسين عاماً أن يحقق مهامه وأهدافه في جمع الوثائق ذات القيمة التاريخية في دولة الإمارات العربية المتحدة وفي دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية من الأرشيفات كافة داخل الدولة أو خارجها ومن المؤسسات الحكومية بفضل التعميم رقم 49 لسنة 1969 من السيد أحمد السويدي، رئيس الديوان الأميري إلى مديري دوائر حكومة أبوظبي بشأن حفظ وثائق إمارة أبوظبي في أرشيف مكتب الوثائق والدراسات بتاريخ 29 أكتوبر 1969. إن هذه النظرة الثاقبة تدل على حكمة المغفورله الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان - طيّب الله ثراه - وعلى إيمانه بأهمية التاريخ وحفظه للتراث قبل أكثر من خمسين عاماً، في مقولته الشهيرة (من ليس له ماض ليس له حاضر ولا مستقبل) ثم أصدر الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان - طيّب الله ثراه - القانون الاتحادي الوطني رقم (7) عام 2008، الذي كلّف الأرشيف والمكتبة الوطنية مسؤولية جمع وثائق الدولة وحفظها وأرشفتها وإتاحتها للباحثين والمهتمين والباحثين من الطلبة وطلبة الدراسات العليا.

أسهم الأرشيف والمكتبة الوطنية منذ بداية نشأتهما في صناعة المؤرخين الشباب وتهيئتهم منذ المرحلة الابتدائية إلى الثانوية عبر طرح جائزة مهمة وهي (جائزة المؤرخ الشاب) التي تهدف إلى تجهيزهم للمستقبل وتنمية حس البحث التاريخي لديهم في القضايا الخاصة بالتراث والتاريخ والهوية والاستدامة وغيرها.

ولدى الأرشيف والمكتبة الوطنية ذاكرة ملأى بالآلاف من الوثائق والصور والخرائط والمقابلات الشفاهية والكتب على اختلافها، كما لديه مكتبة زاخرة بالكثير من العناوين المهمة التي تلقي الضوء على تاريخ دولة الإمارات العربية المتحدة في المجالات جميعها التاريخية والسياسية والعسكرية والثقافية وحتى التراثية وغيرها، وتتاح تلك الإصدارات عبر خدمات مكتبة الإمارات، كما أصدر الأرشيف الوطني مؤلفات مهمة ومتنوعة منها زايد رجل بنى أمة، وقصر الحصن، وخليفة رحلة إلى المستقبل. ويشجع الأرشيف الباحثين على نشر أبحاثهم ودراساتهم المتخصصة ضمن منظومة بحثية واضحة، وهناك اهتمام كبير بتوثيق يوميات الشيوخ وأنشطتهم واستقبالاتهم والزيارات والتكريمات وغيرها من الصحف اليومية، وقد تم إصدار العشرات منها: يوميات الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان - طيّب الله ثراه - ويوميات الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان - طيّب الله ثراه - ويوميات صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان، رئيس الدولة - حفظه الله - ويوميات صاحب السمو محمد بن راشد آل مكتوم - رعاه الله - ويوميات الشيخ منصور بن زايد - حفظه الله - ويوميات الشيخ حمدان بن محمد بن راشد آل مكتوم - رعاه الله - ويوميات أم الإمارات الشيخة فاطمة بنت مبارك - حفظها الله ورعاها - ويوميات الشيخ طحنون بن محمد آل نهيان حفظهما الله ورعاهما. وتمت إتاحتها عبر المنصات الذكية حتى يتمكن الباحث من استخدامها وتوظيفها والاستفادة منها في مجالات البحث.

كما يمتلك الأرشيف والمكتبة الوطنية منصة أرشيفية مجانية وهي منصة الأرشيف الرقمي للخليج العربي وهو أرشيف أنشئ على الإنترنت لعرض المواد التاريخية والثقافية التي تحكي قصة التاريخ الغني، والمثير للاهتمام، والدقيق للخليج العربي. وهو مصدر مُتاح، يوفر مواد رقمية تشمل حقبة قرنين من الزمان، وتُوثّق فيها الأحداث والشخصيات التي حدثتْ في المنطقة، وحددت ملامحها. وتقدم محتوياته نُبُذةً عن الماضي، مع بعض المواد التي لم تُعرض من قبل لعامة الناس. ويحتوي الأرشيف الرقمي للخليج العربي - من بين أمور أخرى - رسائل، ومذكرات، ومخطوطات، وصوراً، ومراسلات رسمية من قادة وحكومات عن الأحداث، آنذاك، هي مصدر متاح للطلاب، والباحثين، والمهتمين بالمجان، ولأي شخص لديه فضول لاستكشاف الماضي الغني والمتنوع للخليج العربي.

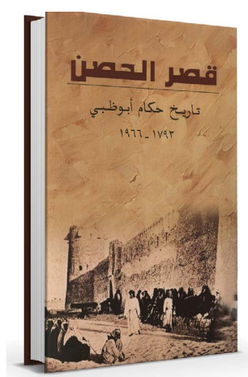

استطاع الارشيف الوطني - في رحلته التي بلغت أكثر من خمسين عاماً - أن يحقق موقعاً متميزاً على صعيد المؤسسات المماثلة في الشرق الأوسط والعالم ؛ لاعتماده على قاعدة تكنولوجية حديثة في تنفيذ مهامه. ويعدّ من أقدم المؤسسات الثقافية في دولة الإمارات العربية المتحدة، وأكبر مركز للوثائق في منطقة الخليج العربي. ولا ننسى دور الأرشيف والمكتبة الوطنية في المشاركة في المعارض والمهرجانات التاريخية داخل الدولة وخارجها، مثل: مهرجان زايد التراثي، ومهرجان قصر الحصن، ومعارض الكتاب في أبوظبي والشارقة وغيرها، لقد استطاع أن يوظف آخر التقنيات في مجال الأرشفة، وتمكن من نشر مواده الأرشيفية عبر منصات افتراضية أسهمت في تحقيق استدامة المعلومة التاريخية وإتاحتها للباحثين، لقد أسهمت هذه المواد الأرشيفية بالتعريف بتاريخ دولة الإمارات العربية المتحدة وتسليط الضوء على الكثير من الموضوعات التاريخية وترسيخ الهوية الوطنية وتنمية الوعي التاريخي، ومهارات التحليل والنقد والبحث وتعزيز روح الولاء والهوية الوطنية في نفوس

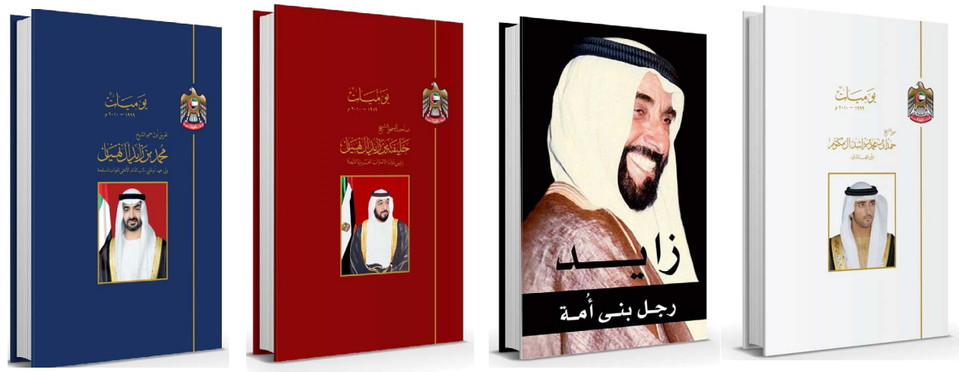

أجيال المستقبل. لقد فازت دولة الإمارات العربية المتحدة باستضافة كونجرس المجلس الدولي للأرشيف عام 2020 بتصويت أعضاء الجمعية العمومية للمجلس بالإجماع أثناء اجتماعها ضمن فعاليات الكونجرس الذي انعقد في سيئول.

تأتي أهمية استضافة كونجرس المجلس الدولي للأرشيف عام 2020 كونه يُعتبر أكبر تجمّع أرشيفي عالمي يُعنى بالقضايا التي تخص الإرث الإنساني وتجميعه وحفظه. وجاء فوز دولة الإمارات بعد تصويت أعضاء الجمعية العمومية الذين أيدوا بالإجماع استضافة أبوظبي لكونجرس المجلس الدولي للأرشيف، الذي تم عقده في عام 2020 لأول مرة في الشرق الأوسط.

انعقد كونجرس المجلس الدولي للأرشيف - أبوظبي 2023 تحت شعار «إثراء مجتمعات المعرفة»، لقد كان فرصة لقطاع الأرشيف العالمي لمشاركة الأفكار المبتكرة والبحوث، فضلاً عن إتاحة المجال أمام الزملاء من التخصصات ذات الصلة والمرتبطة بالقطاع للانضمام إلى المناقشات التي تشهدها الفعالية الرائدة.

وقد ناقش كونجرس المجلس الدولي للأرشيف في أبوظبي 2023 الكثير من التحديات التي تواجهها الأرشيفات في الحاضر والمستقبل، مثل: الرقمنة والحوكمة، والشفافية، وحماية المعلومات، وحقوق النشر، والوصول إلى السجلات التاريخية، وأهمية الذكاء الاصطناعي في البحوث الأرشيفية، والاستفادة من التقنيات الحديثة والمتطورة جداً في شؤون الأرشفة، وتضخم البيانات وسبل حفظها للأجيال وإتاحتها للباحثين. كما ركز الكونجرس على بعض القضايا التي تعزز من دور الشباب في مجال الأرشفة مثل هاكاثون الأرشفة في كونجرس المجلس الدولي للأرشيف والمخصص لطلبة الجامعات وطلبة المرحلة الثانوية بغية إتاحة الفرصة لهم لإبداء أفكارهم ومقترحاتهم، لقد أصبح الكونجرس منصة عالمية لاستكشاف فرص القطاع الأرشيفي وتحدياته من منظّرين أشمل ومدى إمكانية تضافر الجهود لتطوير هذا القطاع وهذا ما جعل من الكونجرس منصة عالمية وملتقى للأفكار الإبداعية والمبتكرة التي تثري محاوره وترتقي بالأرشيف محلياً وعالمياً، كما سعى الأرشيف والمكتبة الوطنية إلى عقد شراكات متعدد ومتنوعة مع عدد كبير من الجهات المحلية والخليجية والعربية والعالمية في مجالات الأرشفة والرقمنة، ومنها: الشراكة مع جامعة السوربون في أبوظبي العريقة التي بدأت في عام 2018 لإنشاء العديد من البرامج الأكاديمية المعتمدة، منها: الشهادة المهنية في إدارة الوثائق والبكالوريوس في إدارة الوثائق وعلوم الأرشيف، والماجستير في إدارة الوثائق والدراسات الأرشيفية، وبرنامج الدكتوراه (قيد التحضير) التي يعمل الأرشيف والمكتبة الوطنية على تطوير هذه البرامج بما يتناسب مع احتياجات المؤسسات الأرشيفية للأيدي العاملة والخبرات المتخصصة.

ولوحظ خلال الفترة الأخيرة الإقْبالُ من مختلف إمارات الدولة على الشهادة المهنية التي ترتقي بمهارات العاملين في القطاعات الأرشيفية، ما يؤكد أهمية هذه البرامج المهنية والأكاديمية الحالية والعمل على تحْسينها لتُواكِبَ التطورَ التِّقْني المتسارع، ومتطلّبات تنظيم الأرشيفات، وتطوير ممارساتها ومعاييرها بما ينسجم مع توقُّعات المستقبل، إن الأرشيف والمكتبة الوطنية يؤسس لأكاديمية علمية في مجال علم الأرشفة ■

رئيس قسم الأرشيفات التاريخية - الأرشيف الوطني

بِيْدار اللَّهْجَةِ الإماراتية فيما طابق الفصيح

المجاز اللغوي في ألفاظ لهجة الإمارات (ألفاظ المرض)

محمد فاتح زغل
أكاديمي وباحث في التراث

المجاز اللغوي: هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة تمنع إرادة المعنى الحقيقي، والعلاقة ما بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي. والهدف هو التحرر من الضيق اللفظي، والانطلاق في مجالات الخيال، والتأثر بالوجدان النفسي، والحنين إلى العاطفة الصادقة، والاتساع في رحاب اللغة. وليس هذا الفهم جديداً، بل هو مفهوم الأوائل للاستعمال المجازي، وهو حدث لغوي فضلاً عن كونه عنصراً بلاغياً نابضاً بالاستنارة والعطاء، هذا الحدث يفسر لنا تطور اللغة العربية الفصحى بتطور دلالة ألفاظها على المعاني الجديدة.

ولعل هذا التطور الدلالي في هذه اللهجة ينبئ عن الأصالة فيها كما هو في باقي اللهجات لأن فيه الحفاظ على أبنية اللغة واشتقاقاتها، ولعل خير مثال على هذا المجاز أن المعاجم قد حفظت في ثناياها ما يعزز ذلك فالعجوز مثلاً لها ثمانون معنى على وفق اللهجات وسنورد بعض هذه الألفاظ فيما يخص المرض: دَوٍ(أدْوِي، ودُويا): يطلق على المريض الأحمق في هذه اللهجة، والدَّوى في العربية: الأحمق، واللازم مكانه، والمريض، والمرض، والسلُّ. والدَّوِيُّ: المريض. ويوسم من لا يسمع في هذه اللهجة بالأدْوَيْ، كما في قولهم: فلان أدْوِيْ.

باطل: من معاني الباطل في هذه اللهجة: مرض البواسير، وهو معنى يمكن توهمه من البُطل، أو البُطلان (الضيع والخسران)؛ لأن المبتلى بهذا المرض يبطُلُ دمه (يذهب ضياعاً). كما في قولهم: ذهب دمه بطلاً (هدراً)، أو من البطالة؛ لأنه يتعطل عن عمله. جَهْد: (بضم الجيم وفتحها، جِهد، ويهد)، ومجهود (ميهود): الجهد في العربية: الطاقة، والوُسع. وجهد المرض، والتعب، والحب فلاناً: هَزَلَه. والمجهود: اللبن المنزوع الزبد، والمشتهى من الطعام، واللبن. والجهد: المشقة، وغير ذلك. والجهدُ (الجِهد، واليِهد) في هذه اللهجة: المرض بأنواعه المختلفة. والمجهود فيها (الميهود): المريض، كما في قولهم: حُمّة ميهود، وفلان ميهود.

جابه (يابه): يقال في هذه اللهجة: يابه الجُهد، ويابه الدّوب، على أن معنى (يابه): تمكّن المرض منه، والجوب في العربية الخرق، إذ يقال فيها: جاب الشيء: (خرقه). وجاب الصخرة: (فتتها). والتمكن في هذه اللهجة يتراءى من الخرق، والتفتيت في العربية بوضوح وجلاء. ويستعمل هذا الفعل في هذه اللهجة أيضاً للدلالة على الوضع، أو الولادة، أو الإنجاب، كما في قولهم: فلان يابْ من فلانه عيال، وربَت مَرْة فلان ويابت ولد، ووضعت مَرْة فلان ويابت بنت. وهذا الفعل مستعمل في لهجة فلسطين، والأردن بهذا المعنى، على أن معنى الولادة يمكن أن يتبين من الخَرْق، لأن هذه الولادة ولداً كان المولود، أو بنتاً مما يخرق التوقع، والتكهن، كما يظهر لي، ويمكن أن يكون هذا الفعل مخففاً من: جأب المال: بمعنى كسبه، على أن المرأة وزوجها قد كسبا هذا المولود.

دَريجٌ (دريج)، ومدرج (مِدرج): المال، بمعنى: كسبه، تستعمل هاتان الصفتان في هذه اللهجة بمعنى: المحتضر، والمحضور، أو الشديد المرض، وهما من الفصيحة (درج) بمعنى: (مات) وانقرض، كما في قولهم: درج القوم: (ماتوا، أو مضوا في سبيلهم)، ودَرَّجْتُ العليل: (أطعمته شيئاً قليلاً). ولست أنكر جواز دورانهما في فلك قول العرب: أدرك الشيء: (بلغ وقته، أو فني، أو انتهى)، على أن الكاف قلبت جيماً.

حُلُول: الحلول في قولهم: فلان مثل حلول الجمعة: نوع من الدواء يكون احتساؤه يوم الأربعاء، وإذا احتسي يوم الجمعة فهو لا يفيد، كما يظنون، وهذا المعنى نوع من الدواء، يتبدى من معنى الحل في العربية، وهو دُهن السمسم، والحلول فيها مصدر الفعل (حلّ) بمعنى (وجب)، والحلول يمكن أن يكون جمع حلّ ■

أكاديمية الشعر.. إبداع ثقافي بلا حدود

مريم سلطان المزروعي

تقدم حكومة دولة الإمارات العربية المتحدة دوراً كبيراً في حفظ التراث الثقافي والارتقاء بالذائقة العلمية والأدوات البحثية بطرق شتى منها: إطلاق العديد من المبادرات للحفاظ على الإرث غير المادي للتراث من خلال جمع الأدب الشعبي والعادات والتقاليد، وطرح الإصدارات والموسوعات وكل شكل من أشكال جمع التراث واستخراجه بطريقة أكاديمية وعلمية، يقول المغفور له - بإذن الله تعالى وطيّب الله ثراه - الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان: (كان اهتمام الدولة كبيراً بنشر الثقافة وإحياء التراث القديم والحفاظ عليه)، فالمحافظة على التراث شيئاً أساسياً وله مسار اجتماعي وثقافي مهم وأصيل الغرض منه حفظ الأحداث التاريخية الإبداعية والإنسانية، ونقلها من الماضي إلى الحاضر ثم إلى المستقبل، ومن الباحثين المهتمين والدارسين والمتخصصين إلى طلاب المدارس والجامعات الذين يمكنهم الاستفادة منه والمحافظة عليه وعلى الموروث الشفوي المتناقل بما يحتويه من معلومات ومعارف ومهارات وحقائق وتفاصيل حياة. لقد أُنشئت المؤسسات التعليمية المتخصصة التي تهدف إلى تعليم الطلاب والمهتمين من الباحثين وتثقيفهم في عملية الحفظ والتوثيق والأرشفة بالتعاون مع جهات حكومية؛ ما أعطى هذه المؤسسات مصداقية وثقة.

وقد سعت العديد من هذه الجهات إلى توثيق التراث غير المادي مع منظمة «اليونسكو» التي تعتبر مشروعاً موثقاً بأسلوب علمي، فـ «اليونسكو»: هي منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم، وتتمثل رسالتها في إرساء السلام من خلال التعاون الدولي في مجال التربية والثقافة والعلوم. فأنشأت أكاديميات متخصصة تقدم دوراتٍ الغرض منها السعي للمحافظة على التراث وتقديمه بطريقة سهلة ومبسطة للأجيال القادمة دون الإخلال فيه بمجالات متعددة سواء كدبلوم متخصص في الحفظ والتدوين والتوثيق والأرشفة، أو لصقل الموهبة؛ ليكون الغرض من كل منهما تعزيز القدرات ونشر الوعي. ومن بين هذه الجهات: جمعية التراث العمراني، والأرشيف والمكتبة الوطنية بالتعاون مع جامعة السوربون، ومعهد الشارقة للتراث، وهيئة الشارقة للوثائق والبحوث، ومركز الدراسات والوثائق في رأس الخيمة، وبعض من جامعات الدولة مثل: جامعة محمد بن زايد، وجامعة الشارقة تخصص ماجستير في إدارة حفظ التراث الثقافي، ودائرة الثقافة والسياحة في أبوظبي، ولجنة إدارة المهرجانات والبرامج الثقافية والتراثية في مدينة أبوظبي،.. إلخ.

تأسيس أكاديمية أبوظبي للشعر وتاريخها

وللشعر نصيب من هذه البرامج، فالشاعر هو من يجسد القصيدة التي يكتبها، فهو يجسد المغامرة والموهبة في اختيار الكلمات، وهو الذي يحاكي الواقع ويمزجه بالخيال ليصل إلى القارئ بلغة رنانة مزخرفة وجميلة، فالشعر حالة نحظى بحضورها ونشعر بها بين أبيات القصيد، فالمغفور له - بإذن الله تعالى - الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان - طيّب الله ثراه- بدأت علاقته بالشعر منذ طفولته، فقد ارتاد المجالس وخاصة مجلس والده، فتعلم السنع والعادات والتقاليد الأصيلة وتشرّب من نبعها، فنظم القصائد وقرأ للعديد من كبار الشعراء كالمتنبي، واهتم بالشعراء وأقام لهم المجالس الشعرية في مختلف أنحاء الدولة، ورفع من قدرهم ومكانتهم وشجعهم، وانتقل هذا الاهتمام والحب للشعر إلى أبنائه الشيخ خليفة بن زايد - رحمه الله تعالى - والشيخ محمد بن زايد - حفظه الله - فكان المغفور له الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان يجمع العلماء والمفكرين والشعراء تقديراً لما يبدعونه ويجزل لهم العطاء والتقدير، وهو إلى جانب ذلك أحب الثقافة التي يعتبرها الجانب الأهم في الحضارة التي يطمح لها شعب الإمارات، وسعى إلى تكملة المسيرة وتحقيق حلم الشيخ زايد بإطلاق «شاعر المليون» الذي يهدف إلى دعم تراث الشعر النبطي للمنطقة العربية؛ فازدادت شعبيته وتقديره لدى الملايين من الناس، الذين اعتبروه من أهم المشاريع الثقافية الإعلامية وأكثرها نجاحاً في منطقة الشرق الأوسط، ومن هنا تأسست (أكاديمية أبوظبي للشعر العربي)، وهي واحدة من أكبر المشاريع الثقافية وأهمها، حيث انبثقت أكاديمية الشعر عام 2007 عن دائرة أبوظبي للثقافة والتراث، كأول جهة متخصصة في الدراسات الأكاديمية للشعر العربي بشقّيه الفصيح والنبطي، وجاءت فكرة تأسيسها من الاهتمام الذي توليه إمارة أبوظبي للأدب والثقافة بما في ذلك الشعر الذي يعّد مرجعاً مهماً وأصيلاً في تاريخ العرب، فالشعر لغة التخاطب الأسمى والأحب بين العرب والحافظ لفكرهم، و»أكاديمية الشعر» واحدة من أهم مبادرات أبوظبي التي تعتبر الحاضنة لبرنامج «شاعر المليون» أو «أمير الشعراء».

الأنشطة ودورها في ترسيخ الهوية الثقافية

نظمت الأكاديمية أنشطة ثقافية متعلقة بالحقل الشعري ومحاضرات وندوات بحثية وورش عمل أدبية بمشاركة نخبة من الباحثين والمهتمين من مختلف دول العالم، فهي مقسمة إلى ثلاثة أُقسام: الأكاديمية العلمية والمسابقات الشعرية والمطبوعات. ومن أبرز نشاطات الأكاديمية إيجاد منصة مرموقة للتجارب الشعرية الجديدة والواعدة لشعراءٍ شباب وشابات بالإضافة إلى نشر أعمال هؤلاء الشعراء، كما تسعى إلى تأسيس مكتبة عامة متخصصة في دراسات وإصدارات الثقافة الشعبية. ولديها «برنامج الشعر النبطي ودراساته» وهو برنامج يقدم نموذجاً شاملاً لدراسة الشعر وتحليله والعمل على تأهيل شعراء قادرين على الكتابة الشعرية، كما يدمج البرنامج المناهج المتعددة باستخدام أحدث وسائل التعليم، إلى جانب بناء المهارات الشعرية الأساسية للطلاب وتعزيزها من خلال عمليات البحث والتحليل والممارسة العلمية، من أجل تسهيل دخولهم إلى الساحة الشعرية، وهذا البرنامج يهدف إلى المحافظة على موروث الوطن والأجداد وتزويد الطلاب بمهارات التحليل والبحث وكذلك إطلاعهم على المعارف والمهارات والتجارب الشعرية الواسعة ليتمكن الطلاب من استخدام تكنولوجيا المعلومات بشكل فعّال في عمليات البحث وإعداد الدراسات المختلفة وبالتالي إعداد طلاب قادرين على الكتابة الشعرية بأوزانها المختلفة.

وعند الانتهاء من البرنامج يمنح الطلاب شهادة اجتياز في الشعر النبطي، وهذا البرنامج يعتمد على التعليم الهجين أي التعليم الواقعي بالحضور إلى القاعة الدراسية بمبنى أكاديمية الشعر أو بالتعليم الافتراضي عن بُعد. ومدة الدراسة ثلاثة أشهر، وله مساران: مسار أساسيات القصيدة النبطية، ومسار النقد والبحث في القصيدة النبطية. وقد لعبت الأكاديمية دوراً رئيسياً في عملية البحث في الشعر العربي وتوثيقه، والسعي إلى إعادة إحيائه باعتباره أهم أشكال الإبداع، ولما له من دور ثقافي فهي استطاعت أن تخلق شعراء وتسهم في تنمية مواهبهم، كما أنها صقلت كفاءة الكثيرين فحوّلتها إلى إبداع، فكانت الحاضن الطبيعي لكل موهبة جديدة ■

باحثة من الإمارات

المصادر والمراجع:

1-انظر: موقع لجنة إدارة المهرجانات والبرامج الثقافية والتراثية - أبوظبي.

مَعهدُ الشَّارِقةِ للتُّراثِ فِي ضَوْءِ الرُّؤيةِ والرِّسالَة

محمد محمد عيسى

لكل أمة تراثها الذي يميزها عن غيرها، ويحمل للمستقبل كثيراً عن تفاصيل هذه الأمة في كثير من شؤونها، وإن حماية هذا التراث حماية للهوية وحفاظ على ملامحها الجوهرية. وعلى الرغم من حبنا نحن الأفراد لتراث أممنا ودولنا وتقديسنا له؛ فإننا لن نستطيع أن نكفل وحدنا حفظه أو بمعنى آخر إن الأمر أكبر من الأفراد ومن العاطفة - مع أهمية دورهما - تجاه صيانته والمحافظة عليه، ولأهمية هذا الدور؛ انبرت الحكومات في معظم دول العالم لا سيما العربية إلى إنشاء الأكاديميات والمؤسسات والمراكز المخوَّل إليها هذا الأمر، حيث تعمل بطريقة علمية ومنهجية وفي ظل القوانين المنظمة على ترسيخ النظريات والمعارف التراثية؛ بغية الحفاظ على التراث من جهة، ومن جهة أخرى لتأهيل وخلق كوادر واعية تخبر أهمية التراث بشكل أكثر علمية، تحيط بمكوناته بما يخدم طبيعة التراث والحفاظ عليه والعمل على تطويره. وجاءت الإمارات العربية المتحدة من أولى الدول العربية التي اهتمت بهذا الدور وأسست له بشكل علمي ممنهج، وتمكّنت أن تكون في صدارة الدول العربية التي سعت إلى إقامة الأكاديميات والمراكز المتخصصة بالتراث العربي. ويأتي «معهد الشارقة للتراث» في إمارة الشارقة من أهم تلك الأكاديميات في الإمارات العربية المتحدة والدول العربية بشكل عام.

نبذة تعريفية بـ «معهد الشارقة للتراث»

«معهد الشارقة للتراث» هو مؤسسة ثقافية علمية في حكومة الشارقة، ومركزٌ دوليّ تحت رعاية «اليونسكو» لبناء القدرات في مجال التراث الثقافي. ويعمل المعهد على حفظ التراث الثقافي الإماراتي، وصونه وتوثيقه، والتعريف به على أوسع نطاق، من خلال حزمة من الأنشطة والفعاليات، منها: ملتقى الشارقة الدولي للراوي، أيام الشارقة التراثية، ملتقى الشارقة للحرف التقليدية، أسابيع التراث الثقافي العالمي في الشارقة، بالإضافة إلى سلسلة من الندوات والمحاضرات، والملتقيات العلمية والفكرية التي يتم تنظيمها على مدار العام، من أجل التوعية والتثقيف بأهمية التراث وحفظه وصونه من الضياع والاندثار. وقد تأسّس هذا المعهد بموجب المرسوم الأميري ذي الرقم «70» لعام 2014م، الذي أصدره صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى للاتحاد حاكم الشارقة، في الحادي عشر من ديسمبر عام 2014م؛ ليكون صرحاً ثقافياً وعلمياً يضم عدداً من المراكز والإدارات والأقسام، التي تعمل على النهوض برسالته وأهدافه

الهيكل التنظيمي للمعهد

يضم المعهد عدداً من المراكز والإدارات والفروع التابعة له، والتي تعمل على تحقيق رؤيته وإيصال رسالته إلى الجمهور المستهدف من خلال ما تنظمه من برامج وأنشطة وفعاليات

على مدار العام، وهي: مركز التراث العربي، ومركز المنظمات الدولية للتراث الثقافي، ومركز الحرف الإماراتية، وإدارة المكتب التنفيذي، والإدارة الأكاديمية، وإدارة الممتلكات التراثية، وإدارة الفعاليات والأنشطة، وإدارة المعارض والمقتنيات، وإدارة المحتوى والنشر، وإدارة الاتصال المؤسسي، وإدارة العلاقات العامة والتشريفات، وإدارة المتابعة والتنسيق، وإدارة التراث الفني، والمدرسة الدولية للحكاية وفنون الحكي، وإدارة القطاعات الخارجية، بالإضافة إلى الأقسام والشعب والوحدات والمختبرات والمكتبات التابعة للمعهد، والتي تعمل على إثراء المحتوى الثقافي والتراثي، وإمتاع القرّاء بعناوين قيّمة في شتى المجالات المعرفية والثقافية.

يحيا التراث بسواعد محبيه

كان من حسن حظ الشارقة وجود تلك القيادة المثقفة الحكيمة والمحبة للثقافة، والتراث بشكل خاص، تلك التي تسهر على رعايته مثلما تسهر على خدمة ورعاية كل أبناء هذا البلد الطيب، وقد جاءت كلمة صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى للاتحاد حاكم الشارقة: (قادت الشارقة على مدى أعوام طويلة سلسلة من المشاريع الرائدة على مستوى رعاية التراث وحفظه سواء على الصعيد المحلي أو العربي أو الدولي، فلم تتجاوز يوماً رسالة حكماء الإنسانية العظماء التي قالوا فيها: «إن الحكمة لا تمنح نفسها لمن يهمل الأسلاف»).

كما جاء من أقوال سموه: «إنّ التراث هو المرادف لوحدتنا الإنسانية، ندين للتراث، ولكل الحضارات القديمة التي كرّست سيرتها لتترك بصمتها في التاريخ الإنساني». «لقد وهب الله - سبحانه وتعالى - الإنسانية الكثير من المعارف والعلوم، لنكون على ما نحن عليه اليوم».

فجاء كلام سموه يبرز الاهتمام العميق والالتزام الراسخ الذي تعمل عليه إمارة الشارقة تجاه التراث والحفاظ على الهوية الثقافية، ويحمل حديثه عن أهمية الحكمة واحترام الأسلاف

مجموعة من الرجال يؤدون العيالة، مهرجان الأيام التراثية - الشارقة.

قيماً تقليدية تنطوي على الاعتزاز بالتاريخ والخبرة، ومن خلال الدعوة إلى فهم التراث وتعزيزه باعتباره مفتاحاً للوحدة الإنسانية يكشف التفاعل العميق بين التراث والهوية البشرية، كما يُظهر مدى تقدير وفهم الشارقة لأهمية ترسيخ المعرفة، وفي التأكيد على الاعتراف بالحضارات القديمة ما يعكس مدى الاحترام للإنسانية وإرثها الحضاري.

رسالة المعهد ورؤيته

تأسست الرؤية والرسالة لـ «معهد الشارقة للترا ث» ؛ حيث جاءت رسالة المعهد تقوم على «تعزيز الوعي بالتراث الإماراتي، وتدريسه وفق أحدث المناهج العلمية، والترويج له على أوسع نطاق، من خلال استراتيجية محكمة، تسعى إلى التوعية والتثقيف بمختلف عناصر التراث، من خلال فعاليات وبرامج ينظمها المعهد على مدار العام، والاحتفاء بحملة التراث من الكنوز البشرية الحية، وأقطاب التراث على الصعيد المحلي والوطني والإقليمي، وفتح قنوات للشراكة والتعاون مع مختلف الهيئات والمؤسسات العلمية والثقافية على مستوى العالم».

كذلك جاءت رؤية المعهد تنبني «على حفظ الهوية الإماراتية، وصون التراث وتوثيقه، والمحافظة عليه من الاندثار، اتساقاً مع الرؤية الشاملة والمتكاملة لصاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، والاهتمام بالتراث العربي، والانفتاح على التراث العالمي، للاستفادة مما يزخران به من غنى وتنوع، لكون التراث الخيط الجامع للبشرية، وتكوين أطر متمرسة على البحث والدراسة في مجال التراث الثقافي المادي وغير المادي».

أهداف «معهد الشارقة للتراث» واختصاصاته

يعمل «معهد الشارقة للتراث» على تحقيق مجموعة من الأهداف والإجراءات المقترحة لتعزيز الحفاظ على التراث وتطويره، وتأتي هذه الأهداف على النحو التالي:

1. العمل على أن تصبح الإمارة مركزاً رياديا للتعليم والتدريب والتطوير والأبحاث، وإعداد الكوادر الوطنية أكاديمياً ومهنياً في مختلف الأنماط التراثية.
2. الحفاظ على الموروث التراثي المادي وغير المادي والعناية به، وربطه بالواقع الحالي، والعمل على التعريف به، ونشره وترويجه محلياً ودولياً.
3. التعاون والتنسيق مع الجهات المعنية، بما يخدم التراث المعنوي، ويرسّخ لربط الهوية الوطنية بالتراث المحلي.
4. دعم الروابط العلمية وتفعيلها، وتبادل الخبرات والمعلومات التراثية مع المؤسسات العلمية المتخصصة محلياً ودولياً.
5. وضع السياسات العامة والاستراتيجيات والبرامج الأكاديمية والتدريب المهني للمهتمين بتطوير أدائهم في مجالات التراث كافة.
6. وضع البرامج الدراسية والتدريبية التي تتوافق مع أهداف المعهد، واتخاذ الإجراءات كافة للحصول على الموافقات المطلوبة، والاعتماد الأكاديمي لأي منها، وذلك من الجهات المعنية في دولة الإمارات العربية المتحدة.
7. إعداد وتأهيل وتدريب الباحثين والخبراء المعنيين بالحفاظ على التراث المعنوي.
8. العناية بالمقتنيات المستخدمة في التراث المادي وغير المادي، والحفاظ على سلامتها، والتعريف بها، وضمان الاستغلال الأمثل لها.
9. إقامة الفعاليات والمعارض والمهرجانات التراثية، والمشاركة فيها محلياً ودولياً، بالتنسيق مع الجهات المعنية.
10. دعم ثقافة التراث بشقيه المادي وغير المادي ونشرها، من خلال تنظيم المؤتمرات والندوات وورش العمل.
11. ثراء الروافد التراثية، وجذب المهتمين في مجال التراث، ودعم مسيرة الأبحاث والدراسات والكتابات التراثية.
12. إصدار مجلات ونشرات تعنى بنشر الأبحاث والدراسات والموضوعات المتعلقة بالتراث على الصعيد المحلي والدولي.
13. إنشاء قاعدة بيانات للعناصر التراثية في الإمارة وتحديثها،

وتسجيلها لدى الجهات المعنية، وإيجاد آلية لانتقال التراث بين الأجيال.

14. اتخاذ الإجراءات والتدابير جميعها اللازمة لصون التراث الثقافي بشقيه المادي وغير المادي للإمارة وحمايته، والتوعية بأهميته.
15. إجراء المسوحات الميدانية لحصر وتوثيق وحفظ التراث الثقافي بشقيه المادي وغير المادي، بالتنسيق مع الجهات المعنية.

ويسعى «معهد الشارقة للتراث» في متابعة جادة إلى تنفيذ هذه الخطط بشكل منتظم وفعّال؛ لضمان تحقيق تلك الأهداف، كما يعمل على إكمال هذه الجهود بتفعيل برامج توعية وتثقيف تراثي للمجتمع المحلي وتشجيع المشاركة الفعّالة من جميع أفراد المجتمع في هذه العمليات.

مراكز المعهد

يضم «معهد الشارقة للتراث» عدداً من المراكز المتخصصة تعمل على تحقيق أهداف محددة في مجالات مختلفة من التراث والثقافة، وتشكل هذه المراكز تشكيلاً شاملاً يغطي مختلف جوانب التراث والثقافة، وتعكس التزام المعهد بالحفاظ على التراث وتعزيزه، وهي:Top of Form

1. إدارة المحتوى والنشر.
2. الإدارة الأكاديمية.
3. فرقة الشارقة الوطنية.
4. مكتبة الموروث.
5. المدرسة الدولية للحكاية وفن الحكي.
6. بيت الألعاب الشعبية.
7. مركز الحرف الإماراتية.
8. جائزة الشارقة الدولية للتراث الثقافي.
9. مركز المنظمات الدولية للتراث الثقافي.
10. مركز التراث العربي.

سجل التراث الثقافي لإمارة الشارقة

لقد ظهر اهتمام إمارة الشارقة بالتراث عامة والتراث في الإمارة على وجه الخصوص، من خلال سن بعض القوانين المتعلقة بالتراث؛ ترتب عليها وضع تعريف للتراث الثقافي غير المادي والتراث الثقافي المادي؛ وعليه، وتنفيذاً لما جاء في قانون التراث الثقافي لإمارة الشارقة، فقد قام «معهد الشارقة

للتراث»، بإنشاء «سجل التراث الثقافي بشقيه المادي، وغير المادي، لإمارة الشارقة» تُقيد فيه عناصر التراث الثقافي، والتراث الثقافي المادي من المواقع الثقافية والمباني. والتراث الثقافي غير المادي، من العادات والتقاليد والممارسات الاجتماعية وأشكال التعبير الشفوي من لهجات وأشعار وحكايات تعبر عن تاريخ الإمارة، والفنون الشعبية والفنون المرتبطة بالحرف التقليدية، والعلوم والمعارف والممارسات المرتبطة بالمجتمع والطبيعة والكون.

وهكذا تتأكد جهود الشارقة في الحفاظ على التراث الثقافي المادي وغير المادي من خلال «معهد الشارقة للتراث»، الذي انبثقت رؤيته ورسالته من خلال اهتمام حضرة صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى للاتحاد حاكم الشارقة - حفظه الله - الذي أولى التراث الثقافي الإماراتي اهتماماً كبيراً على وجه الخصوص، مع اهتمامه الكبير بتراث الأمة العربية وتقديره واعتزازه بالأسلاف؛ حيث لم تتجاوز الشارقة يوماً رسالة حكماء الإنسانية العظماء ■

المعهد العالي للفنون الشعبية في القاهرة

وأكثر من 4 عقود في خدمة الموروث الثقافي

علي تهامي

أكثر من 4 عقود مضت منذ صدور القرار الجمهوري بإنشاء المعهد العالي للفنون الشعبية، ويضم إليه مركز دراسات الفنون الشعبية وتبعيتهما لأكاديمية الفنون المصرية في العاصمة القاهرة، وهو القرار الذي صدر بالتحديد في عام 1981، وطوال تلك السنوات يعمل المركز على إعداد الدارسين والباحثين المتخصصين في مجالات الفنون والثقافة الشعبية، وتوثيق الروابط الثقافية والفنية مع الأجهزة المشتغلة بالثقافة الشعبية على الصعيدين الوطني والقومي والعالمي بكل ما يتعلق بدراسة الثقافة الشعبية.

سينما،.. إلخ). وتخصص وسائل وطرق حفظ المادة الشعبية وعرضها (أرشيف، أطلس، متحف،.. إلخ). وتخصص الأدب الشعبي. وتخصص العادات والتقاليد الشعبية. وتخصص الثقافة المادية (الحرف الشعبية، العمارة الشعبية، الأزياء الشعبية، أدوات العمل،.. إلخ). وتخصص المعتقدات الشعبية. وتخصص فنون التشكيل الشعبي. وتخصص الغناء والموسيقى الشعبية. وتخصص الرقص والألعاب الشعبية.

ويمنح المعهد الدرجات العلمية التالية: درجة الماجستير في الفنون الشعبية، ودرجة دكتوراه الفلسفة في الفنون الشعبية ويشترط في قيد الطالب للحصول على الماجستير في الفنون الشعبية أن يكون حاصلاً على الدرجة الجامعية الأولى بتقدير عام جيد على الأقل، وأن يكون حاصلاً على دبلوم الدراسات العليا من المعهد العالي للفنون الشعبية، وأن يكون حاصلاً على تقدير جيد على الأقل في كل من التقديرين العام ومادة التخصص.

ويشترط في قيد الطالب لنيل درجة الدكتوراه في الفنون الشعبية: أن يكون حاصلاً على درجة الماجستير في الفنون الشعبية بتقدير جيد على الأقل من المعهد العالي للفنون الشعبية، أو على درجة معادلة لها في التخصص من معهد علمي آخر معترف به من الأكاديمية.

كما يعمل المعهد العالي للفنون الشعبية على إعداد نخبة من الدارسين والباحثين المتخصصين في مجال الفنون الشعبية والاتجاه بهم اتجاهاً قومياً يرعى التراث ويحافظ على أصالته.

ويقوم المعهد بذلك كله بما يتوافق ورسالة الأكاديمية المصرية للفنون ودورها المهم في خدمة المجتمع والإسهام في رقي الفكر والفن والقيم الإنسانية والاتجاه بالفنون والثقافة اتجاهاً قومياً يرعى تراث البلاد ويعكس هويتها.

ويُقبِل محبو التراث والفنون الشعبية من الدارسين والطلاب على الالتحاق بالمعهد الذي يوفر لطلابه دراسة عدد من التخصصات منها: تخصص نظريات الفولكلور ومناهجه. وتخصص تقنيات البحث الميداني (تصوير، تسجيل، فيديو،

ويقوم الطالب بإعداد مشروع بحثه لرسالة الدكتوراه شرط أن يقره مجلس الدراسات العليا والبحوث في الأكاديمية بناء على اقتراح مجلس المعهد.

وقد أسهم المعهد منذ تأسيسه في عام 1981 في تخريج أجيال من حراس التراث والفنون الشعبية الذين عملوا وما زالوا يواصلون العمل من أجل صون التراث والفنون الشعبية العربية وإحيائهما.

ويعرف المعهد العالي للفنون الشعبية في مصر، بدوره الفاعل في خدمة كل ما يتعلق بالفنون الشعبية، وتسهم أنشطته وعروضه المختلفة في إثراء المشهد الثقافي والفني ليس في مصر فقط، بل تمتد تلك الإسهامات إلى عالمنا العربي بل والعالم أجمع، وللمعهد حضور لافت للانتباه في شتى الفعاليات التي ينظمها معهد الشارقة للتراث، وتشهد عروض المعهد ذات الصلة بالفنون الشعبية بحضور كبير من الجمهور في مصر وخارجها.

ويعد المعهد قلعة من قلاع حماية التراث والموروث الثقافي والشعبي في الوطن العربي، إلى جانب ما يحظى به المعهد من مكانة دولية. وللمعهد دور كبير في ترشيح عناصر جديدة للتراث الثقافي غير المادي على قوائم منظمة اليونسكو، وذلك من خلال العاملين به من الأكاديميين والخبراء، ومن خلال ما خرّجه المعهد من باحثين أكفاء.

ويُحسب للمعهد مشاركته في ظهور متحف الفنون الشعبية في صورته الجديدة بعد أن انتقل من حي التوفيقية ليستقر داخل حرم الأكاديمية المصرية للفنون، وهو متحف شامل للفنون الشعبية والتراثية، بدايةً من عصر الفراعنة وانتهاءً بالعصر الحديث، بما في ذلك الحِرَف والصناعات التقليدية.

ويضم المتحف نتاج ما جمع الباحثون من أعمال تراثية ومقتنيات على مدار ٦٠ عاماً، ويقوم المسؤولون في المشروع على نقل المقتنيات التراثية إضافة إلى تصميم العروض المتحفية وتجهيزها وفق أحدث التصاميم العالمية.

ويعد متحف الفنون الشعبية أول متحف يضم عرضاً شاملاً للبيئات المصرية جميعها في مكان واحد، وكذلك لم يتضمن متحف من قبل كل مظاهر الإبداع الشعبي المصري بتقاسيمه المختلفة كافة من عادات وتقاليد ومعتقدات وفنون الأداء الموسيقى والرقص والأزياء والحرف، حتى الفنون الخاصة بالأدب الشعبي والسير الذاتية والحكايات والأغاني، بحيث يمثل إطلالة شاملة لزائريه على الحياة المصرية، ويُجسّد المشاركة الفعّالة للمعهد العالي للفنون الشعبية في القاهرة في صون التراث والفنون الشعبية وإحيائهما ■

كاتب مصري

الباب وأصحاب الحاجات

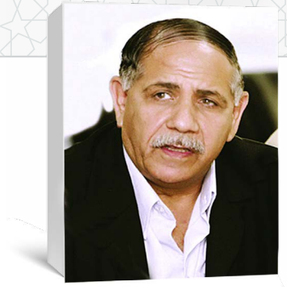

عبد الفتاح صبري
روائي وناقد مصري

الليل ستر وغطاء.. في حركة النهار الدؤوبة تجري الأرجل والأجساد تبحث عن مقاصدها وعن مبتغى الحياة والبحث عن الرزق والعمل والسعي في المناكب والأعمار والتواصل الإنساني والتعاضد من أجل تحقيق غايات الحياة الأبدية.

وإذا ما جن الليل وغابت الحركة الصاخبة اتجه الجميع إلى السكن والراحة والاختلاء والتجمع الإنساني الضيّق في الأسرة النواة، ليكتمل عقد دوران الحياة ولمّ شمل الأسرة في بوتقة المكان الجامع الساتر الخاضع لباب مقفل من أجل استكمال حالة الراحة والخلود المؤقت والدعة في دفء الأسرة بعد عناء اللهاث النهاري. في المنازل والدور والبيوت والشقق يتم إسدال مزاليج الأبواب لإحكام آليات الراحة والطمأنينة والسكينة وبعد ساعات قليلة من بداية الليل يتم إغلاق الأبواب والأنوار والبدء بالتدثر بلباس الليل والاسترخاء الإنساني استعداداً أبدياً لدورة الحياة والسعي فيها.

ولكن في عمق الليل سنجد فئات من الناس لا تتمكن من الاستمتاع بلباس الليل وفي جنح الليل ستلمح أصحاب الحاجات الماسة والدائمة والملحة لا يغمض لهم جفن. ويشكّل الباب لهم مع ظلام الليل ستراً للاختباء عن أعين الناس التي ابتعدت بحكمة الليل وسكونه السادر على الحركة العامة - ويعلو خلف الأبواب أنين المريض الذي يرجو البرء ويأمل الشفاء، حيث في الليل يزداد الألم ويعلو صراخ الأعضاء المعطوبة وترتفع الشكوى إلى الخالق بارئ البشر وترتفع أكف الضراعة مبتهلة إلى الله بالشفاء والبرء، وأن تطبيب الجراح خلف الأبواب تعلو همهمات المرضى وأنينهم المرتفع إلى السماء راجية التعجيل بالشفاء.. خلف الأبواب وفي ظلام الليل تتشكل حالة من السلام النفسي ويهيئ الباب الموصد دفء الوحدة مع النفس ومع الذات ويستشعر الإنسان كوامن قوته حتى في حالة الضعف والمرض فيلجأ في حالة السلام والاسترخاء واستسلام ووهن القوة إلى الله، وتتمدد من خلال هذا السلام النفسي أشرعة الرجاء وحبال الوصال مع الذات ويبحث الإنسان عن علاقته بالله فيلجأ إليه وإلى قوته مستضعفاً حيلة نفسه وقوة بدنه، هذه الطمأنينة والسكينة التي يوفرها باب موصد في دروب الليل لمريض فتتفتح له سكينة النفس ورجاء الأمل وتنهمر دموع التوسل الباحثة عن ملاذ السماء وحول الله وقوته.

خلف باب الليل تنهمر الدعة والسكوت للاستسلام لدورة الحياة التي تفرض الليل لباساً وسكوناً وهدأةً لإنسان كان يجري في دروب البحث عن الرزق والعمل والسعي باتجاه متطلبات الحياة له ولأسرته ولمن يعولهم، ويشكّل الباب الذي أحكم رتاجه في ظلام الليل جواً من الرضا والسكينة والاختلاء ويفتح في الداخل أقنية الدعة والانهمام بالنفس ومطالبها والحياة ومكابداتها.

ويعاني أصحاب الحاجة المادية حين يخلون إلى أنفسهم وتطبق عليهم الجدران المظلمة خلف باب موصد فيشعرون أكثر بوطأة الحاجة - الفقير وصاحب الدين والمعوز الذي لا يمكنه الوفاء بالالتزامات اليومية له ولأسرته وتضيق به الدنيا يلوذ خلف الباب إلى الله يجأر بشكواه إليه حيث إنه يتعفف من الشكوى للعباد - فحالة السكون المظلم والباب الموصد تجعله يتجلى لنفسه باحثاً عن خلاصه من عوزه وشدة حاجته إلى الله ليفرج عنه ويرزقه ويزيح الكرب لأن الشكوى إلى غيره قيد وعذاب، وهو سبحانه قاضي الحاجات ومصّرف الأرزاق وواهب العطاء.

صاحب الحاجة الفقير الباحث عن رزقه وسط حياة لم توفر له سبل العيش الكريم أو العمل المناسب أو الوظيفة اللائقة كي يعتاش ويملأ بطون أولاده وأسرته؛ فإنه يلجأ خلف الباب إلى الله بالتضرع كي يفتح له دروب الرزق والعيش الكريم.. إنه هنا في ظلام الليل خلف الباب آمن من شر معرفة الناس لحاله والاطلاع على خباياه وأسراره وخاصياته ومدى التياعه من جراء حالة الفقر التي هيمنت على حياته.. الباب في الليل يوفر فرصة الاحتماء والاختباء وعدم فضح أسرار الناس المحتاجة، الفقير الذي يلجأ إلى الله خلف الباب يجد في الباب احتواء لحالته فيهديه اللجوء إلى الله العلي واهب الأرزاق.

يتعدد أنواع أصحاب الحاجات المادية والمعنوية ولا نستطيع حصرهم لكننا نلمح منهم من يلوذ بالليل وبالباب الموصد لإشباع حاجتهم المعنوية وتوفر حالة الليل والباب الموصد مكاناً وزماناً للنسّاك والعابدين والزاهدين الذين يتخذون من هذه الحالة ستراً لكي لا يراهم الآخرون وهم يتعبدون ويقيمون شعائر دينهم وصلاتهم في الليل. وخلف الباب الموصد يكثر عبّاد الله الذين يتخذون من هذه الحالة ستراً حتى لا تتكشف علاقتهم مع رب العباد خوفاً من اتهامهم بالنفاق.. فالعبادة الخالصة تتم لله وحده، وفي الوحدة والاختلاء تتم العبادة في انشراح وسرية وتتفتح طاقات التواصل مع الخالق وتنزل عليهم أنوار الرضا والسكينة في ظل العزل والبعد والستر عن الناس وفرها باب موصد بعزيمة الرضا والبحث عن القبول وتجديد العهد مع الله في إيمان وصبر وحب وتقديم رسالة الطاعة والخضوع إلى الله الواحد القهار.

الباب إذاً من أعظم وظائفه الستر بنوعيه المعنوي والمادي لإنسان يريد أن يمارس عبادته وتبتله بخالقه وخصوصيته في وجدانه ومشاعره، واستسلامه وخضوعه بكل ما فيه للرحمن، حيث يجد المؤمن عزه في التذلل للواحد القهار وبلا رياء أو نفاق أو شبهة دنيوية. الناسك والعابد والساجد والمتجه إلى الله يجد حالته القصوى للبذل وللدفء للنفس الملتاعة خلف الباب الموصد في سكون ليل لا يطلع فيه على العباد ونواياهم وأفعالهم سوى الخالق المعبود.

في الليل وخلف الباب الموصد ستلمح صنفاً آخر من أصحاب الحاجات الدنيوية .. الليل حين يوصد الباب على هؤلاء تتشكل عندهم حالة من الانتشاء والاشتهاء للمحبين والعشاق والباحثين عن الوصال مع الحبيب - فهم يتخذون من هذه الأجواء التي يوفرها الباب الموصد والليل العازل مدخلاً لأن يتواصلوا عبر سكب وجدانهم وتباريح حاجتهم وآلام الشوق والوصال والوداد لحبيب غائب أو بعيد فيعيشون في ضجر الوجد المشتاق ولهفة الاحتياج للحبيب.

الأجواء المسدلة خلف باب موصد بإتقان وظلام دامس ولكنه حنون لهذه الفئة من الناس التي تجد أن الليل الساجي فاتح لأبواب الوجد واللهفة وسريان أدمع الاشتياق وفتح أكف الضراعة بحثاً عن الحبيب البعيد أو الارتماء في دفء الحبيب القريب.

أصحاب الحاجات والذين يبحثون عن غاياتهم ومطالبهم خلف أبواب الليل الموصدة كثر، ومطالبهم مختلفة ومتنوعة ولكن المشترك هو باب.. وليل.. الباب يوفر الأمان والوحدة والانعزال والتوحد مع الذات، والليل يوفر مع الباب دفقاً من المشاعر والآلام والأحاسيس لهؤلاء..

عجيب أمر الباب إنه صاحب حيوات وبركات ومشاعر يشارك الآخرين وأصحاب المكان مشاعرهم. ويسهم على حسب دوران الأرض وبروز النهار أو الليل في وظائف تناسب حالة الليل والنهار ووجود النور أو الظلام.. في النهار نسعى ونخرج إلى مناكب الأرض فيقوم هو بالحراسة المشددة والأمنية على الدار والمتاع والثروة، وفي حالة عودتنا يسترنا عن الخارج، وفي الليل يسهم إضافة إلى الحراسة وتأمين الدار والديار بأن يهيئ أجواء من سكون حنون يسهم مع ظلمة الليل في زيادة الخشوع والانصياع لدورة الحياة، ويرفدنا في أن نتذكر حين نخلو مع أنفسنا فضل الله ونعمه الكثيرة في هذه المساحة الزمنية الليلية البارئ صاحب النعم فنلجأ إليه بالصلوات والدعوات، وكل حسب طلبه فمن يشعر بحاجته إلى الصحة والعافية يشكو جرحه وآلامه إلى الله ويدعوه أن يخفف عنه، والفقير يلوذ به في أن يرزقه ويمن عليه بعيش كريم ويفتح له الأبواب الموصدة. ويزيد الدعاء صاحب الحاجة في الليل علها تكون ساعة استجابة فتضيء دروب الأمل ومسارات النور نحو الانفراج والبهجة المشتهاة، ويجد العاشق مساحته لتذكر الحبيب الغائب أو الذي عز قربه... الباب الموصد خلف الليل أمل ونور لأصحاب الحاجات المتنوعة ■

زرقاء البحر الأبيض (بوسعيد)

ضياء الدين الحفناوي

منذ القرن السابع عشر جذب سحر سيدي بوسعيد الطبقة البرجوازية في تونس التي شيدت هناك مساكن فاخرة ومثيرة للإعجاب، ومن ثم في القرن العشرين كان الفنانون هم الذين وقعوا تحت سحر سيدي بوسعيد، ثم استقبلت القرية كتّاباً مشهورين، مثل: شاتوبريان، وفلوبير، ولامارتين، وأندريه جيد، وكوليت وسيمون دي بوفوار.

ويتركز النشاط في ساحة سيدي بوسعيد الصغيرة التي تنتشر فيها المقاهي وأكشاك المعجنات ومحلات بيع التذكارات، وتشتهر القرية ببيوتها البيضاء المبهرة وأبوابها الزرقاء ومقاهيها ومرساها الساحر على البحر الأبيض المتوسط وهو أول موقع محمي في العالم ونقطة جذب سياحي بألوان البحر الأبيض المتوسط، وقد أصبح اللونان الأبيض والأزرق اللونين الرسميين للقرية التي يطلق عليها اليوم (الجنة الصغيرة البيضاء والزرقاء) ويمكنك التجول في شوارعها شديدة الانحدار والمتعرجة والاستمتاع بمنازلها المكسوة بمشربيات الليمون الأبيض على الطراز المعماري العربي الأندلسي والجلوس للحظة في مقاهي المدينة وقرية

(بليسدي) القريبة، والاستمتاع بالأبواب المرصعة الثقيلة التي تُفتح على حدائق سرية مبطنة بالسيراميك ومزهرة بنبات إبرة الراعي ونبات الجهنمية، وزيارة مسجد الزاوية ثم التوجه إلى معرض المنارة الذي يوفر إطلالة بانورامية استثنائية على البحر والمنطقة المحيطة به، وتحتل المنارة موقع حصن من القرن التاسع، وعند سفح المنحدر الأحمر المرتفع يوجد مرسى سيدي بوسعيد مع مقاهيه ومطاعمه التي تقدم المأكولات المحلية، وإن الأمسية في مقهى سيدي شعبان التي يمكنك خلالها الاستمتاع بغروب الشمس فوق الخليج هي المشهد الأكثر سحراً الذي يمكن للزائر أن يتأمله في سيدي بوسعيد، وزيارة قصر النجمة الزهراء أيضاً للاستماع إلى الموسيقى الآسرة لمركز الموسيقى العربية والمتوسطية في قلب حديقة تفوح منها رائحة الياسمين.

الموقع الجغرافي

تقع سيدي بوسعيد على بعد نحو عشرين كيلومتراً من مركز مدينة تونس التي يوجد فيها مطار دولي، ومن ثم يوصى بالركوب والنزول في محطة أملكار أو سيدي بوسعيد، وتتميز المدينة بموقع جغرافي مميز حيث تقع على الساحل الشمالي الشرقي لتونس وتحديداً على الساحل الشمالي الشرقي لشبه جزيرة القنطاوي. وتوجد بوسعيد تحديداً على الضفة الجنوبية لخليج بوسعيد الذي يفصل البحر الأبيض المتوسط عن بحيرة تونس. هذا الموقع الاستراتيجي جعل من بوسعيد مركزاً مهماً للتجارة البحرية والنقل عبر البحر الأبيض المتوسط ما يعطيها أهمية جيوسياسية بارزة في المنطقة.

تاريخ المدينة

تاريخ مدينة بوسعيد يعود إلى عصور عدَّة، حيثُ كانت هذه المنطقة مهمَّة لأغراض التجارة والملاحة في العصور القديمة، كانت تُعرف باسم "رأس الميناء" وقد شهدت وجود مختلف

الحضارات، منهم: الفينيقيون والرومان والعرب والعثمانيون عبر التاريخ، وفي العصر الحديث ازدهرت المنطقة كميناء مهم لتونس خاصةً بعد إنشاء قناة السويس في القرن التاسع عشر ما جعلها نقطة مهمة للتجارة البحرية بين البحر الأبيض المتوسط والمحيط الهندي، وتعدُّ قلعة بوسعيد نقطة تاريخية مهمَّة في المنطقة وقد تم بناء القلعة في القرن السادس عشر خلال فترة حكم الدولة العثمانية لتونس، ويشتهر تصميمها بالبنية الدفاعية الصلبة التي كانت تستخدم لحماية الميناء والمدينة من الغزاة، وتتميز القلعة بأسوارها السميكة والأبراج الدفاعية التي كانت توفر منظراً رائعاً للمنطقة المحيطة، كما كانت تُستخدم للدفاع والمراقبة وكذلك للأغراض التجارية والعسكرية بالإضافة إلى ذلك تحتوي القلعة على باحات داخلية ومناطق مخصصة لمواقع الرصد والمشاهدة التي كانت تستخدم لمراقبة النشاط البحري وتوجيه الملاحة فيها، وتجمع القلعة بين الطابع التاريخي والمعماري العثماني ما يجعلها مكاناً جذاباً للزوار الذين يرغبون في استكشاف التاريخ البحري للمنطقة.

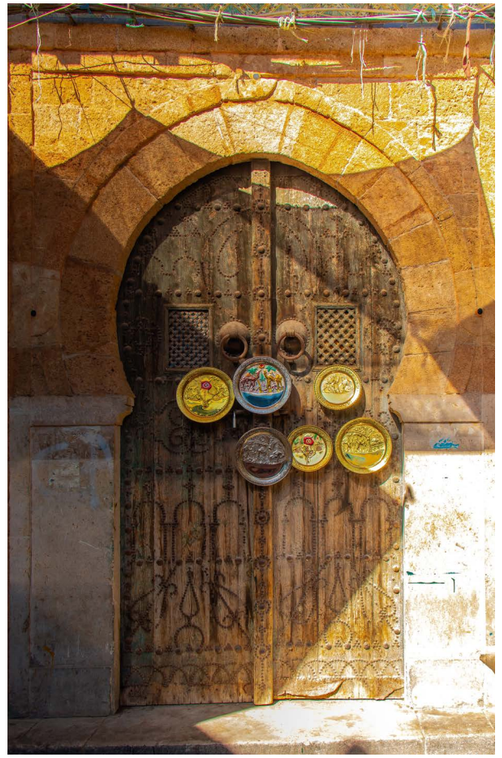

جولات في سيدي بوسعيد

دار العنابي أو (متحف بيت العائلة) وهو منزل بني في القرن الثامن عشر وكان سكن (لمفي العنابي) وهو محام تونسي عاش في القرن الثامن عشر ويتم الحفاظ على هذه الملكية الخاصة من قِبل نسله، ويضم نحو خمسين غرفة، وكان يلقب بقصر ألف ليلة وليلة، وقد تم تحويله اليوم إلى متحف يعرض أعمالاً وأشياء من الطراز العربي الإسلامي بما في ذلك فستان زفاف يبلغ وزنه 22 كيلوجرام، وستجد هناك أدلة على الممارسات القديمة وطريقة الحياة التقليدية للقرية، ويتم توزيع كوب مجاني من الشاي بالنعناع على الزوار الذين يدخلون من غرفة إلى أخرى وكأنهم يسافرون عبر الزمن، والمقاهي القديمة أيضاً، مثل: مقاهي سيدي بوسعيد، وسيدي شعبان، وهما من أشهر معالم الجذب وأكثرها سحراً حتى اليوم، وتوفر شرفاتهما إطلالة خلابة على خليج تونس، وكانت ملتقى الفنانين منذ أكثر من قرن، وتشتهر سيدي بوسعيد بتراثها التاريخي وبثقافتها وفن الطهي المغري أيضاً. وكل ذلك يعززه منظر طبيعي متنوع وملون. ومناخها المتوسطي، وطراز أماكنها العامة يجذب الزوار الذين يحبون البقاء هناك لبعض الوقت للاستمتاع بجميع معالمها السياحية في أوقات الصيف، ويعدُّ دار النجمة أو

(قلعة الزهراء) من أهم الأماكن على الخريطة السياحية للمدينة، وقد تم بناء هذه القلعة الفخمة في الأصل كمقر إقامة للبارون (رودولف إيلانجر)، ولكن تم نهبها واحتلالها من قِبل الجيش الألماني خلال الحرب العالمية الثانية، وبعد سنوات قليلة من وفاة نجل البارون (ليو ألفريد ديرلانجي) تم بيع القصر للحكومة التونسية وتحويله إلى متحف يحتوي على العديد من القطع التاريخية، ويضم مركز الموسيقى العربية والمتوسطية. وسوف يسعد عشاق الموسيقى العربية بالمجموعة الواسعة من الآلات الموسيقية والألحان التي يتم عزفها في الغرف. وهذا المكان الذي يجذب آلافاً عدَّة من الزوار كل عام، كان بمنزلة مكان لعرض أفلام مختلفة من ثقافات متعددة ومتنوعة، وإقامة الحفلات الموسيقية والعروض والفعاليات الثقافية المختلفة أيضاً، كما أنها تستضيف الأرشيف الصوتي الوطني ومهرجانات جديرا الشعرية، وتشتهر المدينة بحرف يدوية، مثل: النسيج والخياطة والحرف الفنية التقليدية، وبعض الحرفيين المحليين يصنعون منتجات فنية متنوعة مثل السجاد والملابس التقليدية، وتقدم مدينة بوسعيد مجموعة من الأطباق التقليدية التونسية مثل الكسكس والطاجين والأطعمة البحرية الطازجة بفضل موقعها الساحلي، وتقام العديد من المهرجانات والأحداث الثقافية والفنية في بوسعيد، حيث يشارك السكان المحليون في الاحتفالات التقليدية بمناسبات مختلفة، وتعكس الموسيقى التقليدية والفنون الشعبية ثراء التراث الثقافي للمنطقة، حيث يتم تقديم العروض الموسيقية والفنية التقليدية في أماكن عامة وفي المناسبات الخاصة والمناسبات الاجتماعية والثقافية، وتتميز الملابس الشعبية في بوسعيد بألوانها الزاهية والتصاميم التقليدية التي تعكس تراثها، ويعدّ شاطئ بوسعيد العام واحداً من أكثر الشواطئ شعبية في المدينة، حيث يتيح للزوار الاستمتاع بالرمال البيضاء والمياه الزرقاء وأيضاً شاطئ (بلفيدير)، ويعتبر هذا الشاطئ مكاناً هادئاً وجميلًا للاسترخاء والاستمتاع بالطبيعة ويوفر إطلالات رائعة على الميناء وشاطئ (بو شاتو) الذي يقع في جزء آخر من بوسعيد، ويُعتبر ملاذاً هادئاً وممتعاً للسباحة والاسترخاء، وتُعد هذه الشواطئ أماكن مثالية للاستمتاع بالشمس والرمال والمياه الصافية في جو مريح وهادئ ■

كاتب مصري

ومن قزر الدنيا على الهون والردى

الشاعر: صالح بن علي بن عزيز المنصوري

يقول من جزل المعاني يقولها ... ويختار من نظم البيوت اجزال

يختارها من بين بايع ومشتري ... لي جات وردٍ مرقبات انهال

وعلى الهدف تعديلها ما يكودنا ... ومن وزنت وزن البيوت اثقال

وعندي لكم يا سامعين النصيحة ... نصيحةٍ مني تسرّ البال

هديةٍ يا قابلين الهديه ... يا غليها لو تنشرى بالمال

وترى العز بالإيمان والدين والهدى ... ولا تنكتب حسنة بدون اعمال

واعرف ترى خمس الفرايض فريضة ... وصوم ارمضان وطوف بركان بيته

وادِ الزكاة وكمّل الأنفال ... وعليك حق الوالدين وسيلة

وايّام بيض اتصام كل اهلال ... تبني بها للمقبلات اظلال

واكمل وقار الضيف والجار والخوي ... ترقابها في النايفات اطوال

ولا تخون عهد الله وادّ الأمانه ... فلا بد في يوم الحضور اتسال

وترى من يخون العهد ربّه يخونه ... وخطا الحق عن درب الصواب وفال

وترى البعد عن درب القمايح غنيمه ... ودخول باب التايهات اهبال

ويقولون بعض الناس نفسه تهينه ... ويبني لها بيت الردى مدهال

وترى النفس من تعتاد شي تعوده ... فلا عاش من خيّب لَها المنزال

عزْ النفس عن بعض المنازل وخيمه ... تلقابها ناس اضعاف اهزال

القصيدة نصيحة من أقوال الشاعر صالح بن علي بن عزيز المنصوري، الذي يعد واحداً من رواد الشعر النبطي البارزين في دولة الإمارات العربية المتحدة، ويتميز بتنوع موضوعاته وغزارة إنتاجه، ولد الشاعر صالح في عام 1939 في منطقة الظفرة التابعة لإمارة أبوظبي، وتطوّرت تجربته الشعرية التي بدأت في عام 1961، حتى انضم إلى مجلس شعراء القبائل وشارك في العديد من المنتديات الشعرية على الصعيدين المحلي والخليجي.

ارتياد الآفاق

إتحاف الأخيار بغرائب الأخبار

رحلة إدريس الجعيدي السلوي إلى فرنسا - بلجيكا - إنجلترا - إيطاليا عام 1876م

محمد عبد العزيز السقا

إتحاف الأخبار بغرائب الأخبار

رحلة إدريس الجعيدي السلوي إلى فرنسا - بلجيكا - إنجلترا - إيطاليا عام 1876م

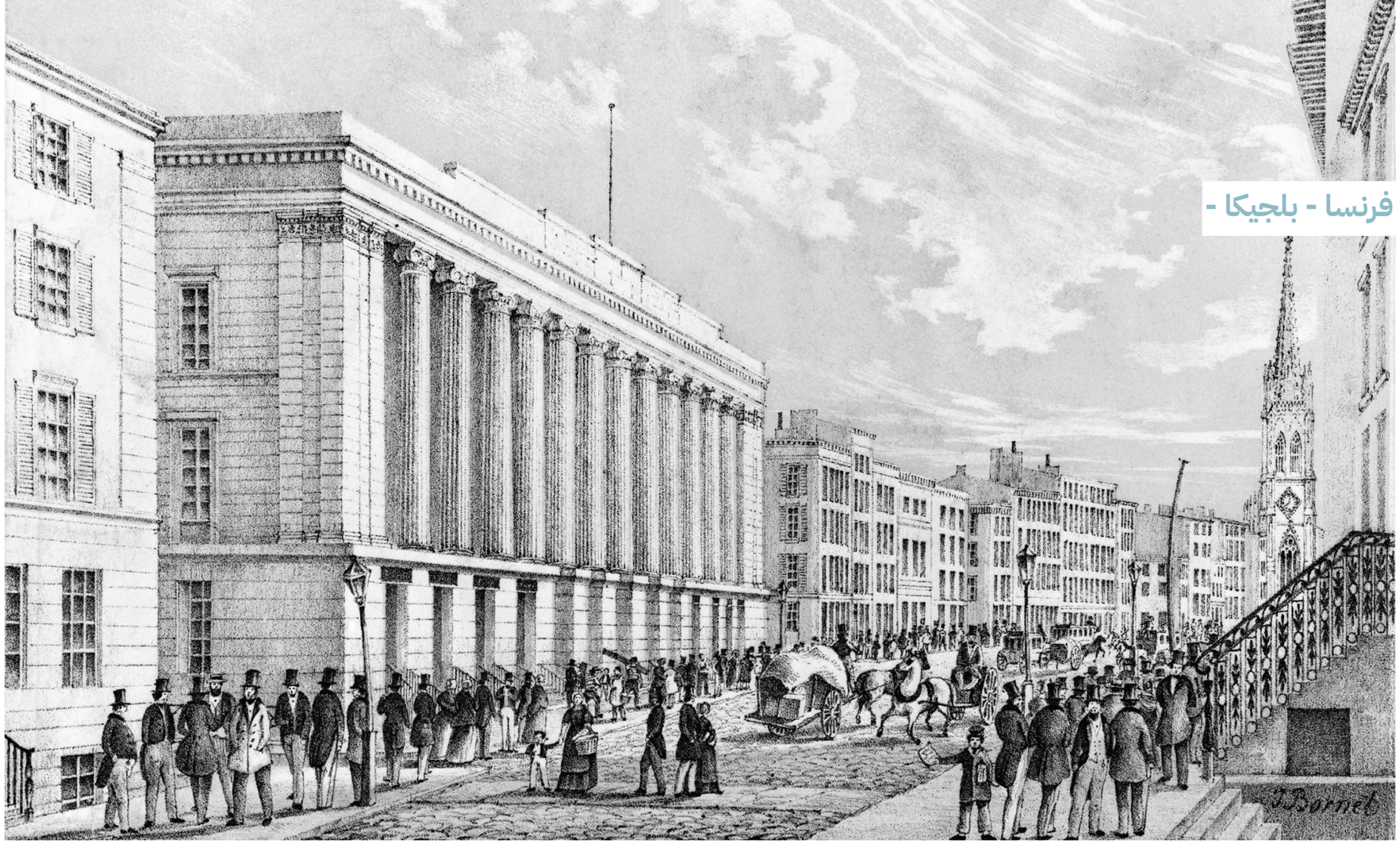

محمد عبد العزيز السقا

الرحلات في خزانة أدب الرحلة العربية الكلاسيكي على أنواع عدة، أهمها الرحلات الحجازية، التي برع فيها المغاربة وكان لهم على دروبها معالم وأثقال، لكن الذي يكشفه مقال اليوم هو نوع آخر لا يقل أهمية عن الرحلات الحجازية، وهو الرحلات السفارية، التي كان للمغاربة[1] فيها بصمة واضحة، بحكم موقعهم الجغرافي في نقطة التقاء بلاد العرب بالغرب الأوروبي الطامح لتوسيع نفوذه في شمال أفريقيا، بدأها بغزو مدينة سبتة عام 1415م، ثم فترة اختلال موازين القوى، التي قادت لمواجهة حربية غير متكافئة مع فرنسا، انتهت بالهزيمة في إسلي عام 1744م، واحتلال فرنسا للجزائر عام 1830م، وهزيمة المغرب أمام الإسبان عام1860م، وانعكست هذه الأحداث على أدب الرحلات، فمتطلبات المرحلة استدعت ضرورة تنقل السفراء المغاربة إلى أوروبا لحل المشكلات العالقة كافتداء الأسرى، وإبرام معاهدات الصلح، ومع بداية القرن التاسع عشر الميلادي، ارتبطت المشكلات بحل معضلة الحماية القنصلية، وتحديد الحدود الشرقية مع الجزائر، والتخفيف من وطأة الغطرسة الأوروبية المتزايدة، التي آلت إلى فرض الحماية على المغرب.

وتأسيساً على تلك الدعامة التاريخية، فإنه يصح القول إن دوافع الكتابة عند كل مبعوث مغاربي إلى أوروبا ليست على نسق سواء، ومحل الحديث اليوم هو مشاهدات إدريس الجعيدي السلاوي في رحلته «إتحاف الأخيار بغرائب الأخبار» وقد كان يشغل منصب كاتب مرافق للسفير الحاج محمد الزبيدي[2] في سفارته إلى فرنسا وبلجيكا وإنجلترا وايطاليا صيف عام 1876م، ورغم أنه لم يكن صاحب منصب كبير، فإنه قام بتدوين تفاصيل الرحلة السفارية إلى أوروبا، مع العلم أنه لم يتلقَ أوامر سلطانية رسمية بكتابتها، ولم يطلب الإذن بذلك، وقد بقيت رحلته مغمورة لأكثر من قرن من الزمان، حتى إنك لا تجد لها ذكراً في الأدلة التاريخية والكشافات، وقد كشفت مقدمة المخطوط الذي حققه الدكتور عز المغرب معنينو[3] أن الفضل في حث الجعيدي وتحفيزه على تسجيل تفاصيل رحلته يعود إلى صديقه المؤرخ أحمد بن خالد الناصري، حيث يقول: «... سيدي أحمد الناصري اقترح عليّ أن أجعل في سفري، وأستغرق نهاري وسهري، في كتابة رحلة تكون جامعة لكل خبر غريب، ولما نراه في الأوطان من كل أمر عجيب، إلى غير ذلك مما لا يخطر بالضمير... فكتبت له مجيباً... سأجعل بحول الله تقييداً... وأجبته بمضمن ذلك تسلية لخاطره من باب الوعد الذي لا يجب الوفاء به...».

يقول محقق الكتاب: لم يشرع الجعيدي في كتابة رحلته عند خروجه من سلا متوجهاً إلى طنجة، غير أن أمين مرسى طنجة عبد القادر غنام ذكّره من جديد بضرورة تسجيل تفاصيل رحلته هذه إلى أوروبا، فشرع حينئذ في كتابتها بطنجة قبل وصول الفرقاطة الفرنسية التي نقلتهم إلى مرسى مارسيليا.

السرد والسياق

في مقدمة رحلته رسم الجعيدي الخطوط الأساسية لمنهجه في الكتابة، حيث قسّم رحلته إلى أجزاء وأبواب مع تصور للموضوع وتحديد للغاية، في تواضع واعتذار عن عدم استيفائه للمقصود، ومن خلال صفحات الكتاب يمكننا رؤية المستوى الفكري والعلمي للمؤلف، ومتانة تكوينه في علم الحساب والهندسة، ويمكننا أن نلمح مكانته التي حازها بين أفراد البعثة المغربية، وشخصيته التي فرضت حضورها عند التعاطي مع الأشياء التي تحتاج إلى الدراية العلمية والإحصائية، لقد ابتعد المؤلف عن الاستطراد والحشو واستخدم تقنيات الحركة والتنقل مع الدقة في وصف الأحداث والمشاهدات، ولكن اللغة العربية قد أعوزته في بعض الأوقات إلى التعبير باللغة الأجنبية خاصة في المستحدثات العلمية، إضافة إلى الخطأ

رسماً ولغة في بعض المواضع، كما استخدم بعض الألفاظ العامية المغربية للتعبير عن مشاهدات التمدن الأوروبي. وعلى الجانب السياسي جاء حديثه مختصراً، مع تنوع الموضوعات التي عالجتها الرحلة متكئاً على السماع والمشاهدة والوصف والوعي والدراية مع الالتزام بالموضوعية والصدق، وقد دفعه شعوره بالمسؤولية إلى النفاذ والكشف وسبر الأغوار، والوقوف على التفاصيل لذا فقد جاء حديثه عن الحضارة الغربية بنبرة توحي بالتبنّي، مع صرامته في رفضه الذاتي للافتخار بالنموذج الغربي، فيبدي إعجابه بالصنائع المستحدثة يستحسنها، ويجافي طريق عيشهم وطقوسهم ويستنكرها ويستعيذ من الاغترار بها براءة لدينه ومعتقداته.

العودة والثناء في سلا والرباط

بعد عودة الجعيدي من أوروبا إلى مسقط رأسه سلا، أطلع علماء سلا والرباط على مسودة رحلته، فنوهوا بقوته في وصف كل عجيب وغريب شاهده في أرض الروم، وفي مقدمتهم المؤرخ العلامة الناصري الذي وصفه بأنه الفقيه الأديب فلكي العصر وحاسبه، وأنه قد شملت (رحلته) كل غريب ونادرة، وأفصحت عن صنائع الفرنج وحيلها العجيبة». ومدحه الرباطي بأنه من المولعين بالرياضيات والهندسة والتعديل والرصد، وذكر أنه رحل إلى أوروبا وسواها ووصف كتابه بأنه تقييد حافل يقع في ثماني كراريس...»، كما قام المؤرخ محمد بن علي الدكالي السلاوي بقراءة الرحلة وأضاف بعض الحواشي على هوامش بعض صفحاتها بخط يده.

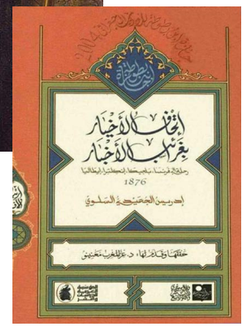

مشاهدات من الرحلة

الوحوش الميتة في بروكسل

اجتهد الجعيدي في إنجاز المهمة في وصف صنائع الفرنج وحيلهم العجيبة، لأن أصداء مخترعات الغرب، كانت تصل إلى المغاربة عن طريق التجار والعوام ناقصة ومشوهة كأنها من أعمال السحر والطلاسم لذلك تعتبر رحلته مفتاحاً لطرحها وفك شفرتها، ومن هذه الصنائع الأوروبية التي التفت إليها الجعيدي في كتابه كانت المتاحف العلمية ومنها متحف التاريخ الطبيعي الذي

سمّاه «الوحوش الميتة» في بروكسل، حيث وقعت عيناه لأول مرة على الهياكل العظيمة للحيوانات كالماموث المنقرض في العصر الحجري، وركز على وصف الحيوانات النادرة أو المجهولة، ثم تناول علم المناجم والمعادن، ثم النباتات المجففة، وأخيراً البقايا البشرية أو (علم الأجناس البشرية)، كتب يقول: « ... دار فيها وحوش كثيرة لكنها ميتة وحشيت جلودها حتى مُلئت، فيتخيل للناظر أنها أحياء، فدخلنا إليها، فرأينا فيها أسداً من أسد الغرب (المغرب) في خزانة زاج، ذكر أن مولانا السلطان المقدس بالله ومولانا عبد الرحمن أسكنه الله فسيح الجنان، كان وجهة لكبير دولة البلجيك، وأنه عاش عنده اثنتي عشرة عاماً ومات، فأخذ جلده وحشي، وجعل الكافور في رأسه، فبقي على حالته حين كان حياً... مثل ما في جنان باريس من الحيوان الحي

إسطرلابات المسلمين في فلورنسا

وقد أثبت من غير قصد ما للمسلمين من فضل في متحف العلوم في مدينة فلورنسا الإيطالية وقد سمّاها «دار العلماء والمهندسين والفلكيين»، حيث شاهد إسطرلابات عديدة قال عنها: «.... ورأيت فيها إسطرلابين من عمل المسلمين... فذكر

أنهما صنعا قبل تاريخه بأكثر من خمسمئة سنة، فتناولت أحدهما من يد، ووضعت حرف المضادة على أول درجة في الحمل، فوافقت اليوم الخامس عشر من مارس، فقلت لهم: هذا الإسطرلاب صنع قبل أكثر من ستمئة سنة عجمية... فسلم ذلك.

قبب الأطباء وجثث التشريح

يقول: ثم أدخلونا إلى قبب الأطباء وعلماء التشريح، فوجدنا صورة امرأة متجردة ملقاة على سرير كأنها ميتة، يحكون أنها مثال امرأة ماتت نفساء أثناء الولادة، وفي جدران هذه القبة صور الجنين الذي يكون في الرحم من بعد ثمانية عشر يوماً، إلى الأربعين إلى شهرين، وثلاثة وأكثر، إلى تسعة أشهر، وكل صورة منفردة في مكان وحدها. ثم صورة امرأة بُقر عن بطنها والمولود الذي فيه قد نكس رأسه كأنه يريد الخروج، وفي محل آخر صورة التوءمين كيف يكونان في البطن رأس أحدهما عند رجل الآخر، ثم صورة آدميين كبار فتح على بطونهم، وصوّروا صورة الأمعاء والقلب والكبد والرئة وغير ذلك، وتبينوا جميع العروق التي في البدن القوية والضعيفة وكيفية تشابكها في بدن الإنسان.

جعبة صفر الكهربائية

لما أعجبوا في متحف فلورنسا بالجعيدي وبقدراته العلمية، أطلعوه على تجربة علمية حديثة تتمثل في آلة تعمل على تحويل الطاقة الميكانيكية الناتجة على تدوير اليد الحديدية لموصل معدني داخل حقل مغناطيسي دائم، (زاجة مستديرة)

إلى طاقة كهربائية، تزامن وجود الجعيدي في بروكسل ولندن مع إقامة المعارض الصناعية أيضاً وجملة ما فيها يحتاج إلى مجلد كبير حسب قوله، تشترك فيه الأمم جميعها، ويتلاقى فيه أهل الأبحاث والأشغال، وقد خصه الجعيدي بدراسة مطولة لكل النوادر العلمية التي تعرض بالمجلد لأول مرة قبل تسويقها، فهي غريبة وعجيبة، ليست على الجعيدي ومجتمعه بل حتى على الأوروبي الذي قطعت نخبته أشواطاً في ميدان التصنيع، ومنها الرجل الذي يغوص بصهريج الماء والتي تعتبر أولى محاولات الغطس تحت الماء، كما خص بالبحث المستفيض في بروكسل آلية تغويز الفحم الحجري الذي يستعمل في الإنارة والطهي في المدن الكبرى.

دار المطبعة

في زيارته دار المطبعة، ويقصد المطبعة الوطنية Imprimerie Nationale وهي معمل ضخم أسسه الملك لويز الثالث عشر عام 1640م، زارها الجعيدي عام 1876م، يقول: «... خرجنا لدار المطبعة فدخلنا لبيت منها وجدنا في وسطه تأليف الإمام سيدي خليل بخط المطبعة بالعربي، والقاموس (يقصد المحيط للفيروز آبادي) لكنه مميز بخطهم، وهذا البيت مربع يحيط به خزانات عديدة، قيل إن جميع الخطوط التي تقدمت في سالف الدهر، مع الموجود منها اليوم، كلها مقيدة محفوظة هناك حتى الخط السرياني، وسموا لنا خطوطاً كثيرة ما سمعتها قط، وعددت هناك ما يزيد على العشرين خطاً، فما استوعبت نصفها. وخرجت تابعاً لأصحابنا، فدخلنا لدار

المطبعة، وهي دار عظيمة في أسفلها طرق كثيرة يوصل بعضها إلى بعض، والداخل إليها وحده ممن لا خبرة له بها إذا توسطها لا أظنه يهتدي إلى طريق الخروج منها، لشدة كبرها. ومع ذلك فهي مقببة بالزاج في غاية النظافة، لا ترى فيها غبراء... وفي هذه الطبقة السفلى أناس كثيرون، بيدهم الألواح، وأمامهم الحروف في صناديقها، وهم يركبون الحروف في الألواح ويصففونها في سطور ويجعلون بين كل سطرين فتقية حديد تمسك الحروف، وهناك آخرون، بين أيديهم رزم من الكاغد الأبيض يضعونه في صهريج ماء ويخرجونه ليصير قابلاً لطبع الحروف فيه، وهناك ماكينة حديد عظيمة، بها تتحرك جميع الماكينات التي في الطبقات... ثم صعدنا الطبقة الثانية، ... وهناك أناس مشتغلون بنقش الحروف في الحجر وهو حجر صلب أظنه رخاماً، ومنها ألواح كبيرة على قدر صفحة الكاغد الكبيرة، يأخذ رجلان الصفحة ويضعانها عليها وينزلان فوقها لوحة حديد على قدرها، ويدفعها المقابل للماكينة فتنزل عليها بلطافة وترتفع فيقربها إليه ذلك المقابل لها، ويفك تلك اللوحة التي فوق الصفحة وينزعها فتخرج مكتوبة كلها لا نقص فيها. وفي الطبقة التي فوق هذه المسفرون والكتب موضوعة أمامهم مصطفة من الأرض إلى السقف، فمنهم من هو مشتغل بوضع التذهيب في ألواح الأسفار، ومنهم من هو مشتغل بخياطة الكتب، وسألت عن عدد الخدم العاملين (العمال) الموجودين في هذه الدار، فقيل مئتي خدام، بين رجال ونساء، وهذه الكتب تفرق في سائر الأقاليم، ويطبع في هذه الدار بجميع الأقلام الموجودة في الوقت عدا القلم العربي، فلم نرَ مطبعته هناك، وإن كانت موجودة هناك فلم نصادف وقت الطبع بها، ولعله لقلة طالبها.

مكعبات الثلج في الصيف الحار

أعجب الجعيدي بتوفر مكعبات الثلج في أيام فصل الصيف الحار، وقال عنه: ... يجعلون لنا الماء الصرف في الكؤوس التي تقدم لنا، ويجعلون فيها حجراً من الثلج كأنه حجر الشب يقدم لهم على موائد الأكل، وفي محطات القطار فيطفئ عطشهم، وفي مأدبة غذاء رسمية أقامها على شرفهم رئيس الجمهورية الفرنسية السيد ماك ماهون بحضور بعض ضباط الجيش الفرنسي العاملين بالجزائر المستعمرة يتكلمون اللغة العربية فسأل عن هذا الثلج شأنه أن يذوب عند بقائه في الهواء، فما باله لم يذب إلى الآن في بلدكم، ونحن حين ينزل بقرب

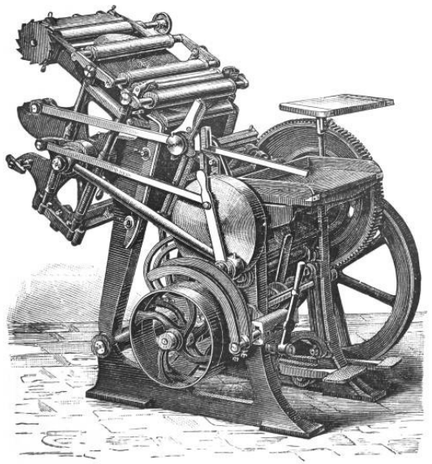

بلادنا شيء منه يذوب عاجلاً، فأجابه: إننا نخزنه في الأرض كما تخزنون الزرع أنتم في المطامير، ونفرش له التبن، ويغطي بالتبن ثم بالتراب ويؤخذ منه في الاحتياج، وإن نزل عليه تراب يغسل، غير أن الجعيدي لم يقنع بهذا الجواب، وأثناء عودته على متن باخرة إيطالية من ميناء جنوة إلى طنجة طلب من رئيس السفينة حضور صنع الثلج، فساعده وأحضره إلى بيته، يقول: فوجدت عنده الماكينة. كهيئة زنبيل الأتاي المستدير.. وهو مبسوط الطرفين وله يدان في الوسط ينزلانه على وقافتين ناتئتين ... وأفرغ فيه كأساً من حجر الشب (يقصد الحامض الكبريتي أو الكبريتيك)، وكأسين من النشادر وكب عليهما الماء ثم سده محكماً وركبه من يده على تلك الوقافتين، وكان في غطاء الزنبيل عروة بها يخدمه بحيث يقبضه منها...».

الختام:

إلى هنا نكتفي من أكبر وأضخم رحلة سفارية ألفها المغاربة خلال القرن التاسع عشر، تكشف مهمة سفارة الزبيدي وتتيح للقارئ أن يعيشها من أولها إلى آخرها باعتبارها المفتاح الذي بدأ به السلطان الحسن الأول حكمه، واستند عليها كمرجع للإصلاحات التي أشرف على تنفيذها السفير الزبيدي نفسه بعد عودته من سفارته الأوروبية.

الرحالة المغربي إدريس الجعيدي السلاوي المولع بالفلك والعلوم والرياضيات ابن مدينة تطوان والذي كان ينتمي إلى أسرة شريفي، انتهت حياته ودفن بزاويته قرب مسجده الكبير بحومة العيون، وما زال ضريحه قائماً تقام به الصلوات، ويزوره الناس ويتبركون به، وقد احتفظ أبناؤه بعد وفاته بمكانة كبيرة، ولم تفرغ الأيام بعد من سكب رحيق هذه الرحلة وهذه دعوة مفتوحة لقراءة هذه الرحلة بما فيها من غرائب وعجائب وأخبار■

باحث في أدب الرحلة

الهوامش والمصادر:

1. المغاربة بمفهوم واسع يشمل بلاد المغرب العربي، تونس والجزائر والمغرب، عرباً وأمازيغ.
2. الدكتور عز المغرب معنينو أستاذ جامعي بالرباط، ورئيس جمعية سلا التراثية، وهو باحث وأكاديمي فاز بجائزة ابن بطوطة في أدب الرحلة مرتين عام 2004م، وعام 2017م.
3. الحاج محمد بن الحاج الطاهر بن أحمد الزبيدي (مواليد عام 1220 هـ، الرباط)، دبلوماسي مغربي، حج مرتين، واختاره السلطان المولى الحسن الأول على رأس سفارة مغربية ضخمة فريدة من نوعها، شملت فرنسا وإيطاليا وبلجيكا وإنجلترا.

المصادر والمراجع:

1. كتاب إتحاف الأخيار بغرائب الأخبار - رحلة إلى فرنسا، وبلجيكا، وإنجلترا، وإيطاليا عام 1876م، إدريس الجعيدي السلوي، تحقيق د. عز المغرب معنينو، دار السويدي للنشر والتوزيع - المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، عام 2004م.
2. كتاب الجغرافيا الثقافية لأوروبا القرن التاسع عشر في متخيل الرحالة العرب، عادل النفاتي، الدار المتوسطية للنشر تونس، عام 2020م.
3. اللغة والهوية في الوطن العربي، إشكاليات التعليم والترجمة والمصطلح، بسام بركة، المركز العربي للأبحاث عام 2013م.

قصيدة النثر الإماراتية في المقاربات النقدية (1)

أحمد حسين حميدان

يقوم المشهد الشعري في الإمارات على التنوع الذي اتسع للقصيدة العمودية ولقصيدة التفعيلة وكذلك لما سمي بقصيدة النثر؛ وفي الإصدار النقدي (لعبة اللغة والدلالة) الذي أصدرته وزارة الثقافة والشباب في أبوظبي للكاتب والناقد الدكتور هيثم يحيى الخواجة، تبلور فيه الاهتمام حول قصيدة النثر الإماراتية، ولأهمية هذا الإصدار سنتناول ما جاء فيه بدراستين اثنتين لنتمكن ودون إطالة من الإحاطة بما توصل إليه الناقد الخواجة حول تجربة الشعراء كافة الذين تناول نتاجاتهم بالدراسة والنقد لكتابة شعرية مازالت مشروعيتها بين الأخذ والرد، فمن الصعوبة حصول أي إجماع قطعي ونهائي على كل ما يستجد في سائر الفنون الإبداعية على اختلافها وتعددها .. ففي الرسم واللون وفي الموسيقا والإيقاع وفي الكلمة وروايتها وقصتها وشعرها ظل التباين والجدل والأخذ والرد هو سيد الموقف في سائر المشهد..

وإذا كان مقصدنا في هذه المقاربة قصيدة النثر، فإنها بقيت إلى اليوم خارج إطار الشعر العربي من وجهة نظر عدد ليس بالقليل من النقاد والشعراء والقراء. والموقف عينه جاء من قبل ومازال حول ما سمي بقصيدة التفعيلة أو الشعر الحر.. ونستطيع القول إن هذا الموقف يحظى بصبغة عربية وإن بنسبة قابلة للتفاوت. الأمر الذي دفع الكاتب والناقد الدكتور هيثم يحيى الخواجة الاتكاء على آراء وقصائد نثر لشعراء من غير بلد عربي رغم أنه يقارب قصيدة النثر في الإمارات عبر كتابه (لعبة اللغة والدلالة في قصيدة النثر الإماراتية)[1]، وذلك وعياً منه بعدم حصر المواقف من هذه الكتابة المستحدثة في بقعة بعينها جراء التشابه القائم بينها في الساحة العربية. كما أنه لجأ إلى إحداث مدخلين لموضوعاته المطروحة، المدخل الأول قدمه بعنوان: لعبة اللغة والدلالة في القصيدة الحديثة. وهو مدخل عام، طرح من خلاله بعض المظاهر الفنية في قصيدة النثر الإماراتية المشتركة مع بعض شعراء قصيدة النثر العربية. والمدخل الثاني جعل مسماه: اللعبة.. اللغة.. الدلالة، مقاربات أولى في نماذج من قصيدة النثر الإماراتية. وهذا المدخل تمّ تخصيصه لتجربة عدد من شعراء قصيدة النثر الإماراتية كما يتضح من مسمى المدخل نفسه. وحرص الدكتور الخواجة منذ البدء وهو يمهد للقصيدة النثرية - المثيرة للجدل - بإعلان انحيازه ومحبته للشعر معيداً للأذهان مقولة «يتيس» الشهيرة (الشعراء هم صوت الضمير الأكبر) وبذلك يتقاطع الخواجة مع التعبير الذي قدمه الدكتور «جونسون» في رؤيته للأدب ومن ضمنه الشعر على أنه يعيد للإنسان التعامل اللازم والفاعل من أجل الصورة الأمثل للحياة المنشودة[2]. وبعد هذه الإشارة إلى أهمية الشعر وعمق وظيفته، يتطرق الدكتور الخواجة إلى الشكل الفني للقصيدة الشعرية العربية الذي بدأ بالشكل العمودي ومن ثم قصيدة التفعيلة وبعدها قصيدة النثر التي انطلق من خلالها الشاعر ليتحرر من الوزن العروضي الخليلي ومن وحدة القافية التي تفرض عليه أحياناً إيراد

أحمد العسم

هيثم الخواجة

ابراهيم الملا

ابراهيم الهاشمي

كلمات قد لا تكون عميقة الدلالة في المكان الذي جاءت فيه لكن ضرورة الإيقاع العروضي أو لزوم القافية جعلها مفروضة في السياق الشعري دون أي خيار آخر. إذاً مساحة الحرية في قصيدة التفعيلة وقصيدة النثر تبدو أكثر رحابة مما هي عليه في القصيدة العمودية كما يرى الدكتور الخواجة. ويشدد بأن هذه المساحة الرحبة من الحرية لا تعني بحال من الأحوال الذهاب إلى الفوضى. لأن كتابة قصيدة النثر تحتاج إلى تجربة وخبرة متراكمة باعتبارها وليدة تطور شعري، كما أنها ذات سمات تقوم على لغة جديدة تنشد بناء صور مبتكرة تولد من تراكيب غير معهودة يجب أن يتحقق من خلالها الوحدة العضوية للنص. وهو ما يعيد إلى الأذهان مقولة الناقد المصري المعروف «شوقي ضيف» في الشعر: بأنه لا يخضع إلى قانون خاص كقوانين العلم، ولا أصول ثابتة كأصول الدين..[3]. وكي لا يعتقد أحد أن قصيدة النثر متروكة هكذا للمزاج يستأنس الناقد الخواجة بتجارب العديد من الشعراء الإماراتيين والعرب ويستخلص من هذه التجارب عدداً من سمات هذه القصيدة ويذكر في مقدمتها: التكثيف والاقتصاد اللغوي الذي يحرص عليه الشاعر ليبعد عن قصيدته الحشو والترهل. وكذلك الدلالة والرمز والتعبير الخلاق والتخييل حيث البحث عن تراكيب جديدة ودلالات ومعاني غير معهودة فالمكان في القصيدة ليس هو الحيز الجغرافي وقوانينه المألوفة، بل هو المتخيل والمرسوم برؤية الشاعر والأمر عينه يتعلق بالزمان الذي لا يبقى في صورته المعاشة بل يتلون تبعاً لما تطرحه من خلاله القصيدة فتتوالد في منظومته الأحاسيس بما يتوافق مع المكونات الشعرية للقصيدة. وبناء على ذلك نستطيع القول إن قصيدة النثر لا تتأتى إلا عبر ذات فنية واعية تقوى على إنجازها وفق مكونها الفني الذي يقوم على وحدتها العضوية المكثفة ويقدم الخواجة شواهد على هذه الخلاصات التي

أكدنا عليها معتمداً في ذلك على العديد من نتاجات الوسط الشعري المحلي الإماراتي والعربي أيضاً إلا أنه في القسم الثاني من كتابه يتوقف عند تجارب محددة ومنحصرة بشعراء من دولة الإمارات العربية المتحدة ويختار منهم على نحوٍ متسلسل: إبراهيم الهاشمي، وإبراهيم الملا، وأحمد العسم، وحبيب الصايغ، وعبد الله محمد السبب، ومروى الخانجي، والهنوف محمد .. وفي مقاربته لتجربة إبراهيم الهاشمي من خلال مجموعته (مس)[4] يجد الناقد الخواجة أن قصيدة النثر عنده ليست ترفاً هائماً في زخرف الكلام بقدر ما هي تعبير مفعم بانكسارات الحياة المأزومة والواقع المعتل الذي ينغمس فيه الفرد والجماعة وبذلك لا ينفصل الهم الفردي عن الهم الجماعي عند الشاعر الهاشمي الأمر الذي يجعل نصه الشعري مستفيضاً بالضمير العائد على الجماعة (نا) منتقلاً عبره من الذاتي إلى الموضوعي للتأكيد على وحدة الألم والأمل الإنساني ولربط الخلاص الفردي بالخلاص الجماعي.

ويعبر الشاعر إبراهيم الهاشمي عن ذلك بقوله:

(نغزل ما نشاء لنا
نسير نحو أرواحنا
نصنع من أقدامنا أجنحة للمسير
نهدد الريح
نعانق النجوم
نخوض في أصواتنا
نتعلم كيف نرى
ثم نصحو لننام في الصحو..)[5]

وينتقل الدكتور هيثم الخواجة بعدئذٍ إلى تجربة الشاعر إبراهيم الملا معتمداً على مجموعته (تركت نظرتي في البئر)[6] التي يبدو من خلالها الملا قد اعتمد على الأنساق اللغوية وانزياحاتها وعلى الانشطار والتشظي الدلالي تاركاً بذلك نصه ليأخذ أبعاداً فلسفية متعددة المعنى فلا يكون الوطن في نصه مجرد أرض وجغرافية ولا تبقى الأنوثة مجرد امرأة جراء غربة الذات، فرداً ومجموعة، في واقع لا تستقيم فيه الحياة على صورتها المشتهاة. وهو ما حمل الشاعر على الاعتماد على تقنية التداخل بين الواقع والحلم والمضي بالتسجيلي الى نقيضه عبر التخييل للانتصار بالحلم على اعتلال الواقع باعتبار أن الشعر لغة حلمية حسب تعبير الشاعر الفلسطيني محمود درويش. يقول إبراهيم الملا بتراكيب هذه اللغة الحلمية:

(وفي الأيام

التي مسحت بها جبيني
مثل رائحة مضيت
لم أترك ورائي قتلى
ولم أطأ الأرض التي تشبهني
وضعت جسدي في القمصان
ولم أنتظر عينيكِ
تركت نظرتي في البئر
ومضيت ..
في النسيان أحببتكِ
وفي النسيان دفنت اليأس ..)[7]

ويقارب الدكتور هيثم يحيى الخواجة بعدئذٍ قصائد الشاعر أحمد عيسى العسم النثرية من خلال مجموعته (يحدث هذا فقط)[8] ومنذ الأسطر الأولى لا يوارب في احتفائه بهذه القصائد معللاً ذلك بغناها الدلالي وقدرة شاعرها على كثرة التجوال في الواقع المتأزم والأخذ به إلى واقع آخر فني تتشكل آفاقه عبر عوالم التخييل الشعرية ما أكسب تراكيبه وجملته بنية تعبيرية غنية بالصور القائمة على معاكسة المعاش ومشاكسة اختلاله ضمن نصوص مفعمة بالقلق الذي لا يركن للخلل الحياتي الموّار بأزمات مفتوحة على الاستمرار رابطاً عبرها بين معاناة الأجداد السادرة في ماضيها ومعاناة الأبناء والأحفاد وكأن نهر المعاناة الإنسانية سيبقى دائم الجريان ولو بتدفق مختلف الأمر الذي انطلق منه أحمد العسم نحو المآل الذي تمضي إليه الحياة برمتها وملأ من معينه نصه النثري بالأسئلة حيناً وبالرفض والاحتجاج والتمرد حيناً آخر، وذلك وصولاً إلى المجابهة التي لا سبيل عنها في نهاية المطاف، وفي سبيل ذلك يصادق البحر ويصاحب النخيل ويمضي إلى مؤاخاة الطبيعة كاستثمار لعناصر المكان ضمن الفضاء الدلالي المشحون في أتون المعركة الحياتية المتصاعدة جاعلاً من الطبيعة حليفاً في هذه المجابهة وهو بذلك يستفيد من مقولة «بول فاليري» من أن القصيدة هي تطوير لصيغة التعجب[9] التي ينحدر منها الإدهاش الذي يرفع من جودة النص الشعري ومن فحوى خطابه على الصعيد الفني والمضموني أيضاً وهو في سياق ذلك يختار لقارئه القلق ويقدمه له بصورة بصرية يقول فيها:

(يتدلى القلق من الشرفة
إلى أدنى مؤشراته
وتكاد تتخلى عنه عيونه
ليس طويلاً كالوقت
أو كالنص تصاحبه الظروف
العمر تكشفه اللحظة
وهو يهرب
بالمزيد من الأيام ..)[10]

وبعدئذٍ ينتقل الدكتور هيثم يحيى الخواجة في كتابه (لعبة اللغة والدلالة في قصيدة النثر الإماراتية) إلى محاولة إظهار ملامح هذه القصيدة عند شعراء إماراتيين آخرين، كاشفاً من خلال نواحيها الفنية والجمالية ما يشغل أناهم الفردية وما رصدوه من آمال وآلام الأنا الجماعية وللإحاطة بما توصل إليه الكاتب والناقد الدكتور هيثم يحيى الخوجة في عوالم أولئك الشعراء، سنفرد لهم مساحة أخرى مستقلة ومقاربة جديدة نتبين ما تركته قصائدهم في مرايا النقد ■

كاتب وأديب من سوريا

المصادر والمراجع:

1. لعبة اللغة والدلالة في قصيدة النثر الإماراتية، الدكتور هيثم يحيى الخواجة، وزارة الثقافة والشباب في دولة الإمارات العربية المتحدة، أبوظبي، ط 1، 2015م.
2. الشعر كيف نفهمه ونتذوقه، إليزابيت دور، ترجمة محمد إبراهيم الشوش، مكتبة منيمنة، بيروت ونيويورك، 1961م.
3. لعبة اللغة والدلالة في قصيدة النثر الإماراتية، الدكتور هيثم يحيى الخواجة، وزارة الثقافة والشباب في دولة الإمارات العربية المتحدة، أبوظبي، ط 1، 2015م، ص 24.
4. مجموعة مس، شعر إبراهيم الهاشمي، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، المجمع الثقافي،أبوظبي، 2010م.
5. المرجع السابق نفسه ص 7.
6. مجموعة تركت نظرتي في البئر، شعر إبراهيم الملا، الشارقة، 2003م.
7. المرجع السابق نفسه ص 7.
8. مجموعة يحدث هذا فقط، شعر أحمد عيسى العسم، اتحاد كتاب وأدباء الإمارات، ط 2، الشارقة، 2008م.
9. الشعر ونهايات القرن، أوكتافيو باث، ترجمة ممدوح عدوان، دار المدى للطباعة والنشر، دمشق، 1998م.
10. مجموعة ليل يبتل، شعر أحمد عيسى العسم، وزارة الثقافة والشباب واتحاد كتاب وأدباء الإمارات، 2012م، ص 73.

ديوان بن حوفان

للشاعر محمد بن حوفان المنصوري

«سلسلة نماذج مختارة من إصدارات مركز زايد للدراسات والبحوث»

موزة عويص علي الدرعي

يسعى قسم الدراسات والبحوث في «مركز زايد للدراسات والبحوث» التابع لـ «نادي تراث الإمارات»، إلى تحقيق أهداف القسم من خلال الاهتمام بالنشر في موضوعات تتعلق بتراث الدولة وتاريخها بشكل خاص ومنطقة الخليج والجزيرة العربية عموماً، وقد ترجم المركز هذا الهدف إلى واقع ملموس، ونجح عبر مسيرته الطويلة في إصدار المئات من الكتب والدراسات في حقول التاريخ عبر مراحله الزمنية المختلفة، وفي مجالات التراث الثقافي والشعر النبطي والفن والأدب، والتراث المادي والألعاب الشعبية والعمارة التراثية وغيرها، وتأتي هذه السلسلة المنشورة عبر مجلة «تراث» تحت عنوان «سلسلة نماذج مختارة من إصدارات مركز زايد للدراسات والبحوث»، لتستعرض نماذج من تلك الإصدارات المختلفة بهدف تعريف القارئ بمحتواها، ولإبراز دور المركز الثقافي وجهوده الكبيرة والمميزة في توثيق عناصر التراث الوطني والعربي والإسلامي، وفي الحفاظ على تاريخ الدولة وتراثها من الاندثار عبر تلك الإصدارات المهمة التي تعكس رؤية المركز ورسالته وأهدافه باعتباره مركزاً وطنياً رائداً في حفظ تراث الوطن وتاريخه.

في هذا العدد تستعرض السلسلة واحداً من الإصدارات الشعرية، التي يسعى «مركز زايد للدراسات والبحوث» من خلالها لتحقيق رسالة «نادي تراث الإمارات» في إحياء التراث وحفظه ونشره بين أفراد المجتمع والأجيال، لاسيما في مجال الشعر الشعبي، وذلك إيماناً منه بأهمية هذا الشعر باعتباره مكوّناً من مكونات الثقافة العربية والهوية الوطنية ومن أهم المصادر لتأريخ الأحداث والحياة ومعرفة الأنماط الاجتماعية السائدة. وتحقيقاً لذلك جاء إصدار هذا الديوان الشعري في كتاب بعنوان **(ديوان ابن حوفان للشاعر محمد بن حوفان المنصوري)**، وقد قام الشاعر محمد بن يعروف بن مرشد المنصوري بجمع أشعاره ومراجعتها وتنقيحها وشرح معانيها.

ويعتبر هذا الإصدار من الإصدارات الحديثة التي صدرت عن المركز، إذ صدرت الطبعة الأولى منه في عام 2022م/1443هـ. ومن خلال هذا الإصدار وما سبقه من إصدارات في **«سلسلة شعراء من الإمارات»**، يمكن القول إن **«نادي تراث الإمارات»** ومن خلال مركزه الثقافي نجح في جمع شوارد الشعر النبطي، وإبراز شعراء المنطقة وتكريمهم وتمكين المهتمين والباحثين والمتخصصين في الشعر الشعبي واللهجة والبيئة المحلية من الرجوع إلى تلك الإصدارات. وإن هذا الهدف مازال مستمراً ضمن أهداف المركز وخطته في النشر للشعراء سواء بالتحقيق وجمع الأشعار في حياتهم، أو بعد وفاتهم أو من خلال الورثة وأبنائهم الذين يسعون لحفظ ذلك الإرث والموروث الأدبي والفكري والشعري لذويهم وحفظه من الضياع، والمساهمة في توثيقه ونشره في دواوين شعرية كالديوان المختار من ضمن إصدارات المركز ضمن هذه الصفحة في هذا العدد من السلسلة المختارة.

نبذة مختصرة عن الديوان وصاحبه:

الديوان الشعري الذي بين أيدينا يقع في (135) صفحة، ويتكون من مقدمة وستة أبواب تمثل قصائد الديوان التي جاءت مقسمة حسب أغراضها الشعرية، وسيتم التطرق إليها في السطور اللاحقة. وصاحب هذه الأشعار المجموعة بين دفتي هذا الديوان، هو الشاعر محمد بن حوفان بن هادف بن خلفان لحويسات آل بومنذر المنصوري، من مواليد عام 1909، وتوفي في العقد الأخير من القرن العشرين وتحديداً في عام 1995. كان يمتهن الغوص والتجارة وكان صقّاراً ويحب القنص والهجن. ويعتبر ابن حوفان من أعمدة الشعر النبطي في الإمارات، وتُظهر قصائد الشاعر تعلقه بالقيم والشعر

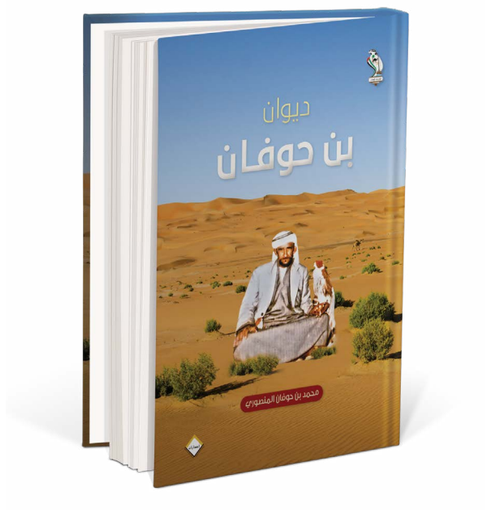

القيّم، وكان يجاري الكثير من الشعراء أمثال الشاعر حميد بن سيف بن خرباش المنصوري، والشاعر صالح بن علي بن عزيز المنصوري، والشاعر سيف بن خلفان بن فريوه المنصوري، والشاعر ماجد الخليفي، والشاعر محيسن الهزاني، ومعلقاً ومجارياً الشاعر محمد بن عبد الوهاب الفيحاني وغيرهم من الشعراء. وكان الشاعر ملماً بعدد من الألحان، مثل: الونة، والردحة، والتغرودة، والسامر، والمنكوس، والصخري، والكثير من الألحان التي ضاع الكثير منها مع الأشعار التي لم تدوّن. والجدير بالذكر أن هذا الديوان نُظم قبل أكثر من ثلاثين سنة تقريباً والغالب من قصائده بأنها قيلت في السنوات الأخيرة من عمر الشاعر. وأما جميع القصائد القديمة فقد ذهبت أدراج الرياح، ولم تُدون رغم أن الشاعر كان يقرأ ويكتب، ولكن ومن المؤسف أنه لم يكن هناك اهتمام بحفظ تلك الأشعار. وللشاعر من الأبناء أربعة، وهم: سعيد وهادف ومبارك وعبد الله. وكان من بين أبنائه شاعران هما هادف وعبد الله.

وتصدرت الصفحات الأولى من هذا الديوان صورة للشاعر محمد بن حوفان المنصوري - رحمه الله - وجاء أسفل عنها الأبيات الشعرية التالية:

يـــــاقـــــارئ كانـــك تعرفنـــــي
أنـــــا محمـــــد بـــن حوفانـــــي
فـــــي الصـــــورة قدّامـــك شفنـــي
علـــى صفحـــــه مـــن الديوانـــي

إقـــــرأ كلامـــــي وانصفنـــــــــي
عطنـــــي رايـــــك فـــــي المعانـــي
زمـــــانٍ عشتـــــــــه كلفنـــــي
حكايـــــاتٍ فـــــــي زمانـــــــي
مـــــــوروثٍ لـــــمن خلفـــــــني
وألاَّ أنـــــا عنـــــد الرحمانـــــــي

عرض مختصر في أقسام الديوان ومحتواه:

سبق القول، إن هذا الديوان الشعري قُسم إلى ستة أبواب جاءت كالتالي:

أولاً: باب المدح

اشتمل هذا الباب على قصيدتين، وهما على لحن المسحوب. ونذكر منهما، القصيدة التي قالها الشاعر وهي عزوة المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان - طيّب الله ثراه، ويقول فيها الشاعر:

البارحـــه والنـــاس دلهـــا نيامـــي
فزيت أنـــا م النـــوم مالي غرض فيـــه
فزيت أنـــا من نـــوم يتنـــي أحلامـــي
وذكـــر قلـــب الخطـــاء كـــل ماضيـــه
وذكرت أنـــا ربـــعٍ وحـــزب واعمامـــي
وذكـــرت أنا عصرٍ مضـــى زين طاريـــه
ياشيـــخ ما يذكـــر زمانـــك زمانـــي
عسرٍ ويســـرٍ والمعـــادي تعاديـــه
وإن ياتنـــا من غـــــرب وألاَّ عمانـــي
كمـــن عصـــيب الراي يحمي تواليـــه
دليلهـــا وعقيدهـــا بهلـــول وحزامـــي
اعمـــى وفي دار العـــدا تعرف ايديـــه
واليـــوم أنا يا شيـــخ ماهـــي حرامـــي
الهلهـــا وعدو الساس ياشيـــخ تعطـــيه
اذكر بنـــا وأعرف بنـــا يـــا شهامـــي
يا زندنا يا سعدنـــا والرجـــاء فيـــه
يـــا شيخنـــا مهـــوب هـــذا الزمانـــي
شيـــخٍ لهانـــا من قديمٍ وأهاليـــه
كـــم ليلـــةٍ يتـــوا بحـــل وحرامي
وأنت الذي في ما مـــضى عارفٍ فيـــه
وأنت الذي عـــارف وعالـــي مقامـــي
وغيرك فلا واللـــه نطـــري أمل فيـــه
تكفى فلا تخلـــي زنـــودك حطامـــي
والحـــر يعرف لو غـــدا صوت راعيـــه
والكوبـــي إللي مـــا يعـــرف الكلامـــي
خلـــه وطبـــه منـــك لا تفكـــر فيـــه
أن سئلتنـــي يا شيـــخ هـــاذي اعلامـــي
دايم وقلبـــي لك تعرف بكُـــل بما فيـــه
اصفى من طـــش المطـــر لك كلامـــي
والله لك ما خبـــر غيـــبٍ دخـــل فيـــه
هذا سلامـــــي لك وارجـــع سلامـــي
في ما يهـــم الرجـــل لي يت طواريـــه
سلامٍ احلـــى مـــن لبـــن لي حشامـــي
بكـــارٍ بعشـــب دائمٍ راتعـــه فيـــه

ثانياً: باب النقد

اشتمل هذا الباب على إحدى عشرة قصيدة شعرية، تناولت جوانب عدة من حياة الشاعر وما تعرض له فيها من مواقف وظروف متقلبه، وكانت تلك الظروف التي عايشها الشاعر وتعرض لها قد عبّر عنها من خلال ما جادت به قريحته من شعر. وكانت أغلبها على لحن المسحوب والردحة والهجيني. ففي السطور التالية، جادت قريحة الشاعر محمد بن حوفان، أثناء علاجه في إحدى الدول الأوروبية، حيث إنه تمنى العودة إلى الوطن ولقاء أهله وقومه، فقال الأبيات التالية وهي على لحن المسحوب:

البارحـــة يـــوم الدالهيـــن غاضيـــن
سهيـــر عينـــــه زايـــــدٍ له حمرهـــا
وجـــدي مزيـــدٍ فـــوق ويده بوجديـــن
وأحـــب داري بدوهـــــا مع حضرهـــا
وأشكـــي على هـــادف وألعي بصوتيـــن
لو يسمعـــه ميـــت ربـــع مـــن قبرهـــا

وفي تغير الأحوال والوقت الذي بدأ الشاعر يشعر ويمر به، جادت قريحة الشاعر بكلمات، فقال هذه الأبيات وهي على لحن المسحوب:

قد لي ولا أنا قاعـــــد ولا مع النايميـــن
قد لي وأنا اتبـــع مراضـــخ فـــــوادي
من شـــــاف حالي قال هذا مسيكـــين
عقب الطـــرب والكيـــف آعـــاف زادي
عقـــب الطـــرب والكيف ياويـــن ياويـــن
وصفـــاق بالكفيـــن ماعـــاد فـــادي

ثالثاً: باب المساجلات

ضم هذا الباب عدداً كبيراً من المساجلات الشعرية بين الشاعر وشعراء آخرين، بلغ مجموعها (29) قصيدة مثلث المساحة الأكبر في هذا الديوان. فجاءت قصائد هذا المحور متنوعه في موضوعاتها وتحمل العديد من القيم والمعاني وتعبر عن أحوال تلك الفترة وطبيعة الحياة. وأغلب تلك القصائد كانت على لحن المسحوب والمنكوس والحربية وكذلك حربية المناصير والصخري، ومن الشعراء الذين دارت بينهم المساجلات مع شاعرنا، الشاعر حميد بن سيف بن خرباش المنصوري، والشاعر صالح بن علي بن عزيز المنصوري، والشاعر سيف بن خلفان بن فريوه المنصوري، والشاعر ماجد الخليفي، والشاعر محيسن الهزاني، والشاعر محمد بن عبد الوهاب الفيحاني، وكذلك نجل الشاعر هادف بن محمد بن حوفان، والشاعر راشد بن سالم بن مسلم المنصوري أيضاً، والشاعر خادم بالعوفري المنصوري.

ومنها المشاكاة التي دارت مابين الشاعر محمد بن حوفان والشاعر صالح بن طويرد المنهالي، وجاءت المشاكاة - وهي أطول من ذلك - على لحن المسحوب ويقول فيها الشاعر:

عـــزي لمـــن دور طبـــيبٍ يداويـــه
غـــدت حياتـــه فـــي حيـــاة الزهـــادي
إللي بقالـــه موقـــفٍ مـــا يواحيـــه
يسهـــر إلى نامـــوا كثيـــر العـــبادي
ويـــضرب من الحســـره خدوده بكفـــيه
ويعـــوي كما ذيـــبٍ بعالـــي المـــبادي
وقـــف عـــزاه ولا بـــه إللـــي يعزيـــه
ويـــا ونتـــه ونـــت صويـــب الطـــرادي

راح المراح وذكر ما كان ناسيه
شروات حلم الليل ماعاد عادي
ولا لي صديقٍ غير صالح أشاكيه
يعرف مشاكاتي وعارف مرادي

فرد الشاعر صالح بن طويرد المنهالي على ابن حوفان قائلاً:

حي الخطاب وحي من هو معنيه
وأنا على رده بحسب اجتهادي
لو صعب تفسيره وصعبه معانيه
ما به عذر مادام باسمي ينادي
وامسيت أنا جفني من النوم يافيه
والعين عيت تهتني بالرقادي
أسباب من يشكي وأنا كنت شاكيه
يحل صعب المعضلات الشدادي
وإللي نخانا لازم أنا نلبيه
ناتي الصعاب من طيبات المبادي
نوقف مع الصاحب لزومه ونقضيه
وانته عزيز ولك غلا بالفوادي
نشره عليك ولك علينا مشاريه
وإنما نوقفلك علينا انتقادي
ويا بو سعيد الوقت لازم نراعيه
دنيا بها الإنسان مصبح وغادي

وأرجي كريمٍ ما يخيب الرجاء فيه
عساه يهدينا لدرب الرشادي
ماجور يا شاكي زمانٍ مشقيه
وعسى العوض في المقبلات الجدادي
يالله عسى من كل لعواق تنجيه
ويعيش وفته في حياة السعادي
هذا الجواب ومنّك العفو نبغيه
خذنا قليل امن الحكا باقتصادي
وعلى النبي اختم جوابي قوافيه
داعي البشر للمن والرب هادي

رابعاً: باب الغزل

وفي هذا الباب، تمكّن جامع هذا الديوان الشعري من أن يدوّن مجموعة من القصائد الغزلية، التي نظمها الشاعر محمد بن حوفان، وجاءت أغلبها على لحن المسحوب وحربية المناصير والونة. ومنها هذه القصيدة الوجدانية التي قالها الشاعر وهي على لحن المسحوب، فأنشد قائلاً:

السبت ليته ياخذ اسنين يا ليت
لا ليله يغادر ولا فيه لفراق
والبارحه مع هجعة العين ونيت
والدمع من عيني على الخد دفاق

يا عبيد بالعينين لو شفت ماريت
أن كان مثلي داخل القلب محراق
حشاء ولا مثله مع الناس قد ريت
حشاء ولا شرواه في لمّ الاخلاق
ببطي وأنا من علته ما تشاليت
وفي فؤادي بين الجناب لشواق

خامساً: باب الإبل

كانت الإبل حاضرة في وجدان الشاعر، فتغنى بها، ومن القصائد التي قالها الشاعر في الإبل، مدحه لناقته «سحابة» بأبيات شعرية جاءت على لحن الردحة ويقول الشاعر فيها:

لي ين سحابه وسحاب
إلى مشوا يهل المنصه
الكل منهن لازم يهاب
والخوف هذا بين هامه وخصه
الكل منهم يحسب احساب
باين من ضيقه ورصه

سادساً: باب الألغاز

في هذا الباب رصد مُعدّ الديوان وجامعه واحداً من الألغاز التي تدور بين الشعراء، ومنها أن الشاعر صالح بن علي بن عزيز المنصوري أرسل لغزاً إلى الشاعر محمد بن حوفان، وهو على لحن المسحوب ويقول فيه:

ينشدك من رجلٍ نواله مصيبه
مصيبةٍ يا كيدها لو فعلها
تفريقةٍ بين الحبيب وحبيبه
لوهي بدور اليوم ماحدٍ عملها

فردّ الشاعر ابن حوفان على ابن عزيز المنصوري قائلاً:

نيتك ياصالح تراه المصيبه
وأحذرك من عملها هي وأهلها
الحق قوله لا تخلي طريقه
واترك هل الزلات وإللي عملها
الحر لشقر في مطيره
لي هد في جول الحباري
صاد الكبيرة والصغيرة
راعيه بفعاله يماري

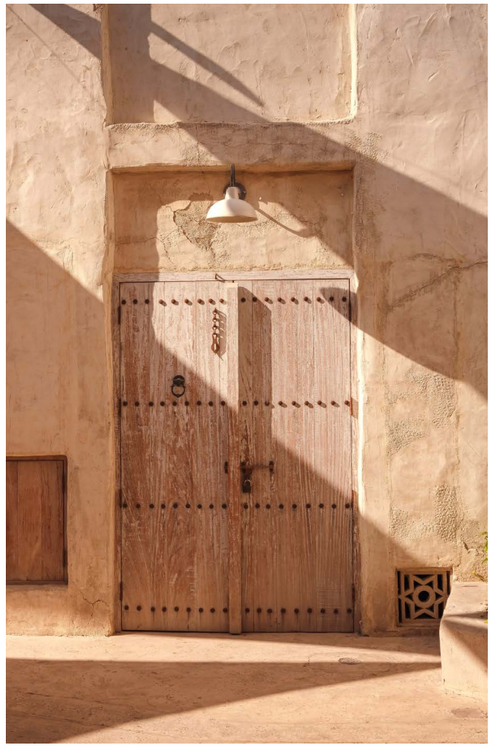

وبذلك يمكن القول إن هذا الديوان الشعري يشكّل صورة صادقة للبيئة التي ينتمي إليها الشاعر، ويوثق لأحوال الشاعر ومشاعره الخاصة وما يطرأ على نفسه من تقلبات وعواطف متباينة ومواقف متعددة جسدها الشاعر في قصائد شملت تلك الموضوعات المتعددة في المدح والنقد والغزل والمساجلات والألغاز وغيرها. وقد جاءت أغلب الأشعار على لحن المسحوب وحربية المناصير والونة والردحة والهجيني ...ألخ. وامتازت قصائد الديوان بحسن العبارة والوصف، كما كانت تضج بالأفعال والحركة التي تمنح النصوص الشعرية نبضاً حقيقياً، ما يجعل هذه المادة الشعرية مجالاً لتمكين الباحثين في الشعر الشعبي واللهجة والبيئة المحلية من الرجوع إليها والاستفادة منها في إعداد الدراسات والأبحاث التراثية والتاريخية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها من الجوانب ■

مركز زايد للدراسات والبحوث

طقوس الشتاء في الأمثال الشعبية الإماراتية

عبد الرّزاق الدرباس

ارتبطَ فصلُ الشتاء بفرحة نزول الغيث وأحوالِ الطقس، وبالأساطيرِ المحكيّة والأمثال الشعبية لدى معظمِ الشعوب، وتتنوّع تلك الحكاياتُ والأمثال وفقاً لثقافةِ المنطقة، وعلاقة أهلها بهذا الفصل من فصول السنة، وخاصة في المناطق الصحراوية الخالية أو البوادي المأهولة، فهو في طقوسه وأمطاره وثلوجه وظلمة لياليه وشدّة أيامه، ورحلات التخييم (شبّة النار) ومغامرات الصيد، والأحوال الاجتماعية كان منبعاً فيّاضاً لكثير من الأقوال التي جاء بها أهل الأمثال، وفي هذا الإطار سنتعرّض لفصل الشتاء وتوظيفه في التراثِ الشفوي والأمثال الشعبية لدولةِ الإمارات العربية المتحدة خاصةً، وإقليمِ الخليج العربي عامة.

فالأمثالُ الشعبية إرثٌ تراثي متداولٌ سائر، يتجاوز الزمنَ بمرورِ الأجيال، ويتخطّاه، وتمتازُ الأمثال الشعبية بتكثيف العبارة وقوة المعنى، بأسلوبٍ جميل مسجوع يسهّل حفظها، وهي خلاصة تجربةِ الكبار للصغار، وحكمة القدماء التي تستفيدُ منها الأجيالُ التالية، وغالباً ما ترتبط الأمثال بحكاية حقيقية أو من نسجِ الخيال، فيكون تكرارُ المثل موجوداً لدى أي حالة مشابهة، وفي دولة الإمارات العربية المتحدة يُطلَقُ على المتكلّمِ بالأمثال الشعبية لفظ (المُتوصّف)، وعلى اعتبار الشتاء أحد فصول السنة المؤثرة في حياة الناس فقد ورد ذكره في الكثير من أمثالهم التراثية المتداولة شعبياً، ومن ذلك:

الدفا عفا والبرد سبب كل علّة: ويُضرَب هذا المثل في الشتاء للتحذير من مخاطر البرد لأنه يسبب الكثيرَ من العلل والأمراض، ويوضّح أهمية وجود الدفء لأنه من ضرورات الحياة في هذا الفصل، كما يبين أن توافر الدفء يقوي العافية والمناعة، ضد ما يأتي به الشتاء من أمراض بسبب برودة الطقس.

إن غيّمت سماها أبشر بماها: وهذا المثل نابعٌ من خبرة العامة في تقلبات الطقس الشتوي، فإذا ما تكاثفتِ الغيوم وصار لونها قاتماً، فهذه بشرى خير وتفاؤلٍ بنزول المطر، وبه تتميز الغيمة الصادقة عن الغيوم البيضاء التي يسمّونها كاذبة لأنها غير مطيرة

الغيم يدوم والربّ رحوم: وبه يأمل الناسُ استمرارَ نزول الغيث الذي يسمّونه الرحمة، ولأهمية المطر يدعون ربهم سبحانه وتعالى أن يجعل رحمته دائمة، وأن يجعل المطرَ سُقيا رحمةٍ ونفع، وليس مطر تخريبٍ وغرق وشقاء.

قطرة على قطرة تطوّل غدير: ويستخدمه قائلوه لبيان أهمية الكمية القليلة من كل شيء إذا جُمعَت مع مثيلاتها، ورغم وجود مرادفات لهذا المثل في كل اللغات، فإن منطقة الخليج جعلت المعنى في إطار الخصوبة والمطر، فالقطرات المتكاثرة تصنع ساقية، والسواقي تصنع غديراً، والغدران تسيّر وادياً، ومصبّات الوديانِ والسيول تصنع أنهاراً.

سيل ما يبلّلك ما يهمّك: فمن المعروف أن أمطار الصحراء تأتي مفاجئةً غزيرة الهطول، ونظراً للانحدارات وتضاريس المكان تدلف تلك المياه إلى المنخفضات، فتجري الوديان بالسيول القوية التي قد تجرف كلّ ما في طريقها، وينتفع الناس بالسيول برؤية مياهها وفيضانها الغامر، والسدود التي تحجزها وتدّخرها لموسم الجفاف، وريّ أطراف الوادي الذي يجري فيه السيل، أما إن كانوا بعيدين عن وادي السيل فلن ينتفعوا به، والمثل يؤكد على مصلحة الفرد وانتفاعه بما له دون تدخّل أو فضول في شؤونِ الآخرين.

غريق الماء ولا غريق الظمأ: وهذا المثل يؤكد على أهمية الماء في الحياة، فما دام الغرق مؤكداً فإنه مع الارتواء أفضل منه على الظمأ، لأن الارتواء يشكّل حالةً إيجابية واحتياجاً ملحّاً للكائنات الحية، وكأنها إذا غرقت مرتويةً فكأنها لم تعد متحسّرة على العطش، ويُروى المثل بتخفيف الهمزتين في كلمتي (الماء، الظمأ) على لهجة العامة وسهولة النطق.

فرّة الحابول بالشتا: حيث من المعروف أهمية الحبل الذي به يتسلق العامل النخلة ويرقى لسعفاتها،

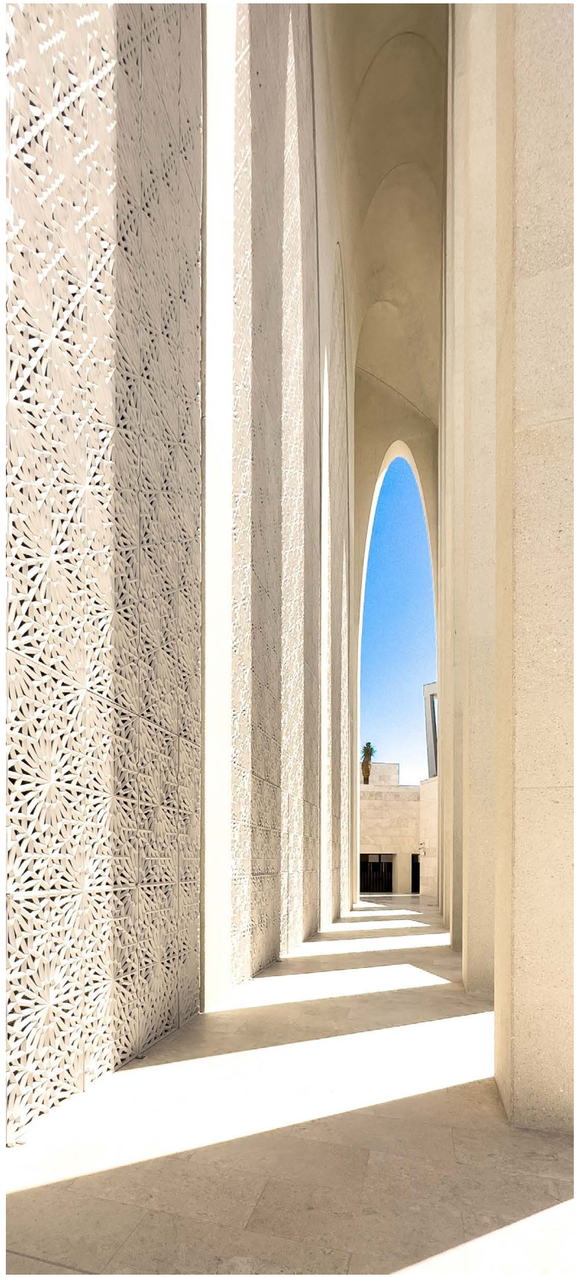

حين يربطه بطريقة احترافية تضمن له تنفيذ مهمته بسهولة وأمان، وذلك خلال موسم العناية بالنخيل، أما في الشتاء فينسى الناسُ ذلك الحبلَ لعدم الحاجة إليه، ويُضرَب المثل لمن لم تعد له حاجة ولا أهمية، فيكون مَنسيّاً مهملاً كما يفعل الشتاء بالحابول.

سنة الفحول محول وسنة البنات نبات: وهذا المثل فيه شيءٌ من ثبات التجربة بما يشبه الواقعة المحققة، من خلال الحالات التي مرّت من قبل، حيث استنتج أهل الخبرة أن السنة التي يكون أغلب مواليدها ذكوراً تأتي جافّة مُمحِلة، يغلب عليها القحط والشدة، وأن العام الذي تكثر في مواليده نسبة الإناث يكون شتاؤه مُمطِراً كثير النبات خصب الأرض وفير المواسم، فصاغوا هذا الاستنتاج ليوازي خبرتهم وملحوظاتهم على قياس جنس المواليد بحالةِ الشتاء الآتي إليهم.

يوم المخازن خارّة الله يعين أهل العشش: والمخازن هي الأبنية القوية التي يدخل في بنائها الحجر والإسمنت والحديد والطابوق، أمّا العشَش فهي أماكن الإيواء المؤقتة كالخيمة والعريش والعزبة، ومقصد المثل في حال كان الشتاء مطيراً جدّاً بحيث يؤثر في المباني القوية، فتصاب سقوفها بالتشقّقات، فكيف الحال بالخيام؟ وهذا يقودنا لفكرة عامة مفادها، إذا كان الأمرُ صعباً على الأقوياء فكيف هو على الضِّعافِ الذين ليس لديهم الحدّ الأدنى من الإمكانات؟

برد البداية توقّاه وبرد النهاية تلقّاه: وهو مثلٌ دارجٌ صحيحُ المحتوى موجود لدى الكثير من الشعوب، إذ عرفوا من خلال التجربة أن البردَ في أول فصل الشتاء يكون ضاراً للإنسان والحيوان والنبات، فنصحوا بالوقاية منه في الكانون والملبس والمأوى ووسائل التدفئة المتاحة، وأن بردَ نهاية الشتاء يبشّر بقدوم الربيع فنصحوا بالتعرّض له ومعايشته لأنه يكون نافعاً، ومن ذلك ما جاء في المأثور من أقوالِ الخليفة الراشدي الرابع علي بن أبي طالب رضي الله عنه في نهج البلاغة حين قال: «اتّقوا البردَ في أوّلِهِ وتلقّوه في آخرِهِ فإنّ فعلَه في البشرِ كصنيعِهِ في الشجر؛ أوّله يَحرق وآخره يورق».

برق الشمالي يسعد حلالي: حيث من المعروف أن المطر غالباً ما يرافقه البرق والرعد والرياح، فكان أهل الجزيرة العربية يميّزون البرق الصادق المتبوع بالمطر، من البرق الخادع الذي لا يعقبه غيث نافع، وكانوا يتفاءلون بالبرقِ اللّامع من جهة الشمال، لأن المطر سينزل معه أو بعده، وذلك من تجاربهم الحياتية، ومعايشتهم لأحوال الطقس في صحرائهم مترامية الأطراف، وبنزول المطر يكثر النبت والنفل فتشبع الحيوانات،

وتتكاثر ويبارك الله تعالى رزقَ أهلها من ألبان وأصواف وصغار مولودة، ما يدخل السعادةَ والبهجة على قلوب أصحابها، إذ من أسماء قطيع الأنعام التي يربّيها البدو (الحلال) وذلك تيمّناً ببركتها وشرعية تملّكها ونمائها.

ولو تقصّينا الأمثال الشعبية كلها المتعلقة بفصل الشتاء في تراث الشعوب لجمعنا أسفاراً، ولكننا نقتصر على هذه العيّنة، لنوضّح أهم ما يميّز هذه الأمثال وارتباطها بالتراث المرويّ لإقليم الجزيرة العربية عموماً، حيث تتميّز هذه الأمثال ببلاغة المعنى، وسهولة الألفاظ، وتكثيف العبارة، وزبدة التجربة الحياتية، وجمال الصياغة من حيث السجع والموسيقى، وتلك الميزات كلها تجعل حفظَها سهلاً، وتناقلَها عبر مرور الزمن مُتاحاً لا يتطلب الكثير من العناء، وظلّت هذه الأمثال متداولة بالرواية الشفوية كجزء مهم من التراث الشعبي، حتى اجتهد الباحثون فوثّقوها مكتوبة خشيةً عليها من النسيان في عصر التبدّلات الاجتماعية والثقافية المتسارعة.

ونختم بقولنا إن الشتاء بطول شهوره وشدّة أيامه فصلٌ رئيسٌ مؤثر في البيئات والأقاليم الجغرافية كلها، أما أمطاره فكانت سعادة وفرحة للأرض والبشر والشجر، وليس غريباً أن يكون من التراث الشعبي تبادل التهاني بنزول المطر، كقولهم: مبروكة الرحمة، الله يبعث الخير، الحمد لله على نعمته، مبارك غيثكم... وغيرها.

وبهذه البشارة وتلك الأمثال الشعبية التراثية كان الشتاء مصدراً ثريّاً للذاكرة الشعبية بمظاهره المتنوعة، من رياح وأمطار وبرد ورعود وبروق وسيول، وخصوبة وقحط، ما جعله حاضراً في الأحاديث والأقوال والأشعار والأمثال التي تناقلتها الأجيال ■

أديب سوري

المصادر والمراجع:

الأمثال الشعبية الشامية، نزار الأسوّد، مكتبة التراث الشعبي، دمشق 2008.

المتوصّف، عبد الله بن دلموك، مركز حمدان بن محمد لإحياء التراث، دبي 2014.

ذكريات زمن البدايات (22)

محمد الجناحي
من المكتبة إلى الدراما

خليل عيلبوني

أحتاج أن أعود اليوم إلى ذلك المكان الذي خصص لانطلاق إذاعة أبوظبي عام 1969. إنه المكان نفسه الذي تقوم فيه إذاعة أبوظبي حالياً، ولكن عندما وصلت إليه في يناير 1971 قيل لي: هنا كان مطار أبوظبي الأول. حتى في عام 1971 كان المكان لا يزال خالياً إلا من مبنى على شكل مستطيل يضم غرفاً متقابلة، بعضها مكاتب للجمارك وبعضها الآخر مكاتب لموظفي المطار وحمامات للركاب، وقيل لي: إن الركاب كانوا يدخلون من طرف المبنى المستطيل، ويخرجون من الطرف الآخر.

في بداية المستطيل كانت غرفة البدالة (التلفونات)، ثم فتحة ندخل منها إلى غرفة الأخبار وغرفة الاستماع، حيث كان يحتل المرحوم شمس الدين الضعيفي مكتب رئيس قسم الأخبار، يساعده ثابت صوان للأخبار الإنجليزية، وزهير شاهين، ومحمود عوض للأخبار العربية، وكان هناك ثلاثة يقومون بطباعة الأخبار التي تقدم لمذيع النشرة بالعربية والإنجليزية، وإذا رجعنا من قسم الأخبار إلى بداية المبنى المستطيل سنمر على مكتب صغير، كان مكتب الأخ محمد صوان مراقب عام

البرامج. ثم نبدأ رحلتنا داخل المبنى المستطيل لندخل إلى الغرف المتقابلة التي كان يحتلها المذيعون ومقدمو البرامج، وأذكر منهم: المرحوم أحمد سعيد شعث، والأخ محمد السيد ندا، والأخ علي أبوالخير، والأخ أحمد حمزة، والأخ مفيد مرعي، والمذيعة المرحومة سامية ذياب، والمذيعة سميرة سعادة، والمذيعة مريم أحمد، والمذيعة ريحانه التمري. كان مكتبي مقابل المكتبة التي كان فيها، الأخ المرحوم محمد الجناحي، والأخ المرحوم خليل حنا، والأخ صواب خميس، والأخت رزيقة الطارش.

اكتشاف موهبة

كان محمد الجناحي مهتماً بوضع الأشرطة المسجلة في الأرفف حسب الموضوعات وحسب تاريخ التسجيل، تساعده الأخت رزيقة الطارش. وحينما بدأنا نسجل البرامج والتمثيليات الدراسية كنا بحاجة إلى ممثلين وممثلات. وفوجئنا بموهبة المرحوم الجناحي، الذي ما كاد يسجل بعض التمثيليات حتى تم نقله من المكتبة إلى قسم الدراما.

كان رحمه الله شاباً دمث الخلق، يتمتع بأخلاق عالية.. وجمعتني به صداقة استمرت حتى بعد مغادرتي لدار الإذاعة إلى وزارة البترول والثروة المعدنية عام 1975. ولقد قمت بإعداد وتأليف العديد من التمثيليات الإذاعية التي استعنت بها، بموهبة المرحوم الجناحي في التمثيل، وأعتقد أن مكتبة الإذاعة ما زالت تحفظ بالكثير من المسلسلات والبرامج التي يظهر فيها صوت المرحوم محمد الجناحي بشكل مميز، مثل مسلسلات: «الزير سالم»، و«تحت ظلال الزيزفون»، و«بول وفرجيني» للمنفلوطي، و«مغامرات مهيوب السادس عشر». المسلسل الذي بدأت بكتابته، ولم أتمكن من إنهائه بعد انتقالي إلى وزارة البترول والثروة المعدنية كان عن «سيرة بني هلال»، ولقد كان يدفعني المرحوم الجناحي دفعاً للانتهاء منه، وتقديمه له لإخراجه ولكن، لا أدري لماذا لم أتمكن من

محمد الجناحي

الانتهاء من تأليفه برغم أنني وصلت فيه إلى ما يزيد عن خمس عشرة حلقة. وعلى الرغم من ابتعادي عن الإذاعة واستقراري في وزارة البترول، إلا أنني كنت أقوم بزيارة الإذاعة مرة في الأسبوع على الأقل لتقديم برنامجي الإذاعي "الذهب الأسود". وفي كل أسبوع، كان المرحوم يسألني: أين وصلنا في مسلسل بني هلال؟ وكنت أردُّ دائماً: اقتربنا من النهاية.

وعندما التقينا بعد أكثر من عشرين سنة في حفل تكريم الرعيل الأول من الإعلاميين، سألني المرحوم الجناحي السؤال نفسه: أين وصلنا؟ فقلت: اقتربنا من النهاية. وكانت النهاية

المحزنة هي فراق الأخ محمد الجناحي . الذي انتقل إلى رحمة الله سبحانه وتعالى . وهو في قمة العطاء.

بصمات لا تمحى

ما زلت أتصفح تلك الحلقات التي كتبتها من مسلسل (سيرة بني هلال)، وأرى فوق سطور الصفحات التي بدأ لونها يميل إلى الصفرة بفعل الزمن، وجه ذلك الإنسان النبيل والفنان الرائع الأخ محمد الجناحي. كانت بدايته بعيدة جدّاً عن مجال الفن، ولكن عندما وجد نفسه في ذلك المجال عاش فيه، وتمكن من بلوغ قمة عالية في فن التمثيل الإذاعي والتلفزيوني، وترك بصمات لا تمحى في فن الدراما الإماراتي. وما أثار الدهشة فعلاً هو قيام محمد الجناحي بالكتابة الدرامية، واستطاعته في زمن قصير جدّاً أن يصل إلى كتابة نصوص تلفزيونية وإذاعية نفذت جميعها، وحققت نجاحاً ملموساً ومعترفاً به سواء على

شاشة التلفزيون أو أثير الإذاعة.

عاش محمد الجناحي لفنه، فأبدع في الدراما بكتابته، وبأدائه أصعب الأدوار الدرامية. وأعتقد أنه من الضروري أن يهتم المسؤولون عن الإذاعة والتلفزيون في أبوظبي بجمع إنتاج المرحوم الفنان محمد الجناحي، وجعله متاحاً للباحثين والدارسين الذين يقومون بالاهتمام بجميع ما قدمه وما يقدمه أبناء وبنات هذا الوطن من أعمال فنية سواء في مجال الكتابة أو في مجال التمثيل والإخراج.

من البرامج التي تعاونت فيها مع المرحوم الجناحي كان برنامج «يعجبني ولا يعجبني» الذي كنت أكتبه، وكان هو يقدمه بصوته بعد أن يحول الكلام من الفصحى إلى اللهجة المحلية للإمارات. وكان البرنامج جريئاً في نقد الظواهر غير الصحية في المجتمع الإماراتي سواء على مستوى الجمهور أو على مستوى المسؤولين الحكوميين. استطاع محمد الجناحي أن يصل إلى المشاركة في الأعمال الفنية الكبيرة سواء على مستوى الخليج أو المستوى العربي؛ فقد شارك في مسلسلات مهمة، وترك بصمة واضحة ومميزة في جميع تلك الأعمال. وكانت تلك المشاركات تتطلب منه جهداً غير عادي إلا أنه كان سعيداً بها، يعطيها من وقته الكثير، ولا يترك لنفسه أو لعائلته إلا بقايا من الاهتمام والتفكير.. كان يحب عمله، ولا يبخل عليه حتى بالوقت الذي يجب أن يخلد فيه للنوم أو الاستراحة، ولذلك كان أداؤه لجميع ما أداه من أدوار على الشاشة مميزاً ومؤثراً. وبرغم ذلك الانشغال المستمر، لم تكن ابتسامته تفارق وجهه، ولم يسمح لعنكبوت الحزن أن يغزل خطوط الأسى والحزن فوق عينيه أو على جبهته، وظل حتى آخر أيام عمره بشوشاً ضاحكاً.

كنت أخشى عليه من نفسه الطموحة، فلم تكن لطموحاته حدود تقف عندها، أو خطوط حمراء لا يسمح لها بتجاوزها؛ فمحمد الجناحي علم نفسه بنفسه، ويمكن اعتباره من العصاميين الذين استطاعوا أن يصلوا إلى العلم والثقافة بجهود ذاتية محضة، فهو لم يتح له إكمال دراسته على مقاعد المدارس الثانوية أو الجامعات، ولكنه بما استطاع الوصول إليه ذاتيّاً من خلال جهده الخاص، وتثقيفه لنفسه جعل حتى أولئك المتخرجين من الجامعات يقفون أمامه وقفة التلميذ أمام أستاذ متبحر في العلم متعمق في الثقافة.

كان محمد الجناحي من أوائل أولئك الذين صادقتهم في زمن البدايات، وكانت صداقتنا في ذلك الزمن الجميل خالصة

من كل شوائب المادة محلقةً في فضاء الروح، وعلى جناحي الكلمة التي تشاركنا في حبها والإيمان بها. مضى الجناحي وغاب عن وطنه وعن أهله وأحبابه مبكراً، وقبل أن يبلغ مرحلة الشيخوخة التي أجاد أداء أدوارها ولم يعشها. وكأنني كنت أحس بأن ذلك الرجل لن يعمر طويلاً؛ فهو لا يرحم نفسه ولا يراعي صحته، بل يصل ليله بنهاره وهو يؤدي دوراً في مسلسل، أو يخط كلمات مبدعة فوق أوراقه.

ترك الجناحي بعد انتقاله إلى رحمة ربه ذكريات لا تنسى مع جميع الذين عرفوه أو شاركوه في الأعمال الفنية التي قام بها. إنه من القلائل الذين لا يمكن للأوطان أن تنساهم، أو تنكر الدور الذي أدوه في المجتمع لا الأدوار التي قاموا بها على الشاشة فحسب.

بدأ الجناحي في زمن البدايات، وانتهى في زمن شهد فيه وطنه تغييرات جذرية وحقق فيه إنجازات عظيمة، ساهم هو نفسه فيها. عندما زرت دار الإذاعة في بداية هذا العام 2009، لم أجد من البناء القديم حتى جداراً واحداً.. تغير البناء وأصبح أكثر حداثة، ولكن ظل شيء لا أعتقد أنه يمكن أن يتغير ألا وهو صور أولئك الرواد الذين انطلقوا من المكان نفسه، وحفروا أسماءهم وصورهم في قلوب أبناء الوطن.

كدت أسأل وأنا أتجول في المبنى الجديد للإذاعة: هل ما زال الجناحي في مكتبة الإذاعة؟ ولكن تهديد دمعتي لي بالانفجار جعلني أكتم السؤال وأمضي صامتاً، فليرحمك الله أيها الصديق الراحل.. فأنت ما غبت، ولن تغيب أبداً ■

إعلامي وشاعر

رحمة للعالمين

شعر: الدكتور شهاب غانم

سلامٌ عليكم يا رسولُ مكرَّرُ
وإن لم أقلْهُ فهو في البال يخطرُ
إذا مؤمن ألقاه ردَّ سلامَهُ
عليهِ الرسولُ الأعظمُ المتدثِّرُ
رسولٌ من الرحمن أُرسِل رحمةً
ومَكرمةً للعالمين إذا دروا
لينشرَ نورَ الله في كلِّ مهجةٍ
تريد الهدى، لا قلب من شاء يكفرُ
رسالتك السمحاء ليس يصدّها
من الخلق إلا جاحد متكبِّرُ
فيخلد في نارِ الجحيمِ مكبكبا
برفقة إبليسٍ ومن فيه كوّروا
ألا أيها المختار حبك في دمي
وفي دم أبناء الهداية أنهرُ
إذا نُشِرتْ حقداً رسومٌ مسيئةٌ
تهبُّ جموعُ المسلمين تُزَمجِرُ
لقد عرفَ الأعداءُ في كلِّ موطنٍ
بأنَّك خطٌّ يا محمدُ أحمرُ
وأنَّكَ بعدَ اللهِ في القلبِ كعبةٌ
وفي الفكرِ والأرواحِ نورٌ منوّرُ
وأن حديثَ المصطفى بعد ذِكْرِنا
نقدِّسُهُ في ديننا ونوقرُ
بنيتَ أبا الزهراءِ ديناً مؤزراً
بدولةِ إسلامٍ بها الدهر يَفخرُ
مدينتُكَ الفُضلى بطيبةَ أسِسَتْ
على العدلِ والحبِّ الذي ليس يُقهرُ
وفيها الصحابُ الغرُّ.. هم خير أمّةٍ
فكم جاهدوا في المعمعاتِ وكبّروا
فدانتْ شعوبُ الأرضِ للهِ وحدَهُ
وأقبلت الأفواجُ.. والدينُ يُنصرُ
فإنّكَ ذو خُلْقٍ عظيمٍ ورحمةٍ
وأنت الشفيعُ المرتجى يومَ نحشرُ

«الفنون العلاجية لمرض التوحد»

نورة صابر المزروعي
أكاديمية من الإمارات

يعرف مرض التوحد بأنه نوع من الاضطرابات تظهر في السنوات الأولى من عمر الطفل، ينتج عن هذه الاضطربات، خلل في وظائف المخ وبالتالي تؤثر في مختلف وظائف المخ ما يجعل الاتصال والتفاعل الاجتماعي عقبة عند المريض، ومن ضمن الصعوبات: التعبير عن الذات، وصعوبة الاتصال اللفظي وغير اللفظي، وحساسية مفرطة لتغيرات البيئة، والضحك أو البكاء من دون سبب واضح، وعدم إدراك للأحداث والمخاطر من حولهم[1].

توصى دراسات عربية وغربية بفعالية استخدام الأنشطة الفنية (كالرقص، والغناء، والعزف) لمرضى التوحد[2]. فالأسلوب العلاجي الأول هو: استخدام المؤثرات الصوتية، ويستخدم فيها الإيقاعات المختلفة. ويقوم مرضى التوحد إما بالتصفيق وإما بالضرب على الجسد وإما بضرب القدم على الأرض للإحساس بالإيقاع ويعتمد ذلك على مهارة مدرب الموسيقى سواء كان متخصصاً في البرامج التعليمية الموسيقية أو في قسم المعالجة بالموسيقى في المستشفيات. يعمل هذا الأسلوب على تنمية مهارة التركيز والانتباه والتفاعل مع البيئة الخارجية إلى أن يصل إلى مرحلة التعبير عن الأصوات في البيئة المحيطة به كأصوات الحيوانات وأصوات سيارات الإسعاف، والدراجات، والطائرات، ...إلخ، وصولاً إلى تعلّم مهارات الاتصال اللغوي. إن استخدام المؤثراتِ الصوتية يعمل على إعادةِ تأسيسِ قنواتِ التواصل معَ نفسِية المريض ذاته ومعَ الآخرين، ويُسهّل دمجه في المجتمع[3].

الأسلوب العلاجي الثاني: هو التدريب على العزف على الآلات الموسيقية المتنوعة، والعمل ضمن فرقة تُقدِّم تدريبات ارتجالية غير مدروسة. ومن الآلات الموصى بها الطبول، والمثلثات، والجلاجل، والمشخاليل، والدفوف. هذا النوع من الآلات يعمل على تفريغ الطاقة الزائدة[4]. إن استخدامَ الآلات الإيقاعية، يحفِّزُ الاهتزازاتِ الاستقبالية الدقيقة في الأعضاء كما يطورُ العضلَ في الجِسم، ويرسل معلوماتٍ أساسيةً للدماغ، كما أنهُ يؤمّنُ حركةً للمِرفقين والمقابض، ما يسهمُ في تطويرِ المهاراتِ الحركية وتنسيقها[5]. إن أسلوب العزف يُشعر مرضى التوحد بالإنجاز حتى لو كان ارتجالياً فهو يعمل على تنمية الحس اللمسي عن طريق ملامسة الآلات وتفحصها. وبالتالي يعبّر مرضى التوحد عن أنفسهم بالألحان من دون استخدام كلمات. ويعمل مريض التوحد على التنفيس عما يعانيه هو من ضغوطات وتوترات جراء فقدان التواصل اللغوي. بشكل عام، يحسّن العزف سواء كان فردياً أو جماعياً من الأداء الحركي ويحقق الاتزان النفسي.

الأسلوب العلاجي الثالث: إلقاء الأناشيد أو الغناء، تُعدّ هذه الطريقة فعالة لربط مرضى التوحد بالبيئة الخارجية. يمكن للأغاني التعليميّة أن تلعبَ دوراً مهماً في إيصال المفاهيم، خاصة لأطفال التوحد أو ذوي الاحتياجات الخاصة. ويتضح كيف أن أغنيةَ الأبجدية باللغة الإنجليزية ABC، أتاحت للأطفال فرصة التعلّم الفعال، ويساعد إدراج الموسيقى في المناهج الدراسية على تعلّم العديدِ من المفاهيمِ المختلفة، مثل: أيام الأسبوع، وأشهر السنة، والأرقام، والحقائق العلميّة أو التاريخيّة. واستخدام لهجةً مُبسّطة مع صور، يَسهُلُ فَهمُها عن طريق التَّكرار مرفقاً بسندٍ بصري يساعدُ على ربطِ المفاهيمَ بالحواس. ويقوم المعالج باختيار أغنية أو أنشودة بها جمل قصيرة هدفها تربوي، وأغلب كلماتها مكررة حتى تحقق الانتباه المنشود وإيصال المعلومة بطريقة سهلة وجذابة. يحسن هذا الأسلوب من مهارات السمع والنمو اللغوي. ومن نتائج جلسات الغناء المتكررة تحسّن مخارج الحروف، كما أنها تعالج مشاكل النطق من خلال التفاعل بالغناء وبالموسيقى[6]. يقول الدكتور إيهاب عاطف أستاذ الموسيقى: «العلاج بالموسيقى له دور أساسي في تعليم أطفال التوحد القدرة على التعبير عن النفس باستخدام الكلمات المنغمة وعلى النطق الصحيح»[7].

إن التغني بالكلمات البسيطة والعبارات المكررة بمرافقة المؤثرات الصوتية تساعد في تحسين التواصل اللفظي وذلك باستخدام عبارات تحمل أسئلة وأجوبة بسيطة يرافقها إيقاع موسيقي مكرر. مثال هل تأكل التفاح؟ نعم وتكرر أكثر من مرة ثم يناقضها بجمل مثل هل تأكل القلم؟ لالالا وهكذا ترديد هذه العبارات يعمل على إثارة الجهاز العصبي لدى مرضى التوحد، كما أن التكرار يساعد على التنمية اللغوية. ومن الجدير بالذكر، أن هناك مركزاً لمعالجة التوحد في إماراة دبي يقدم أجنحة خاصة للأنشطة الموسيقية والغنائية ضمن برنامج تربوي للأطفال[8].

ويمكن القول: إن الغناء الجماعيّ ضِمنَ مجموعة يعالج اضطرابات اللفظ، ويسهمُ في تحسينِ قُدراتِ مرضى التوحد التعبيرية والتحكُّم في الجهازِ التنفسي. وفي الجلساتِ الجَماعية، يتطوّر لدى مرضى التوحد التواصل مع الآخرين[9]. والأسلوب العلاجي الرابع هو الرقص: إن الأنشطة الحركية ترتبط غالباً بانخفاض في أعراض النشاط الزائد لدى مرضى التوحد مثل: العدوانية، وإيذاء النفس، والاكتئاب، ويعمل على تحقيق التفاعل والاتصال مع البيئة الخارجية. فالرقص يُعد أحد التمرينات المهمة لخفض التوتر والقلق وتفريغ الطاقة العدوانية، فضلاً عن تفريغ الشحنات الزائدة التي تعمل على تحسين النوم والمشي، وتهدئ من نفسية مرضى التوحد وتحسّن مزاجهم (الاستمتاع والتسلية)، وتجعلهم أكثر اتزاناً. كما يعمل الرقص المرتجل على توافق النشاطين الحسي والحركي لدى مرضى التوحد[10]. والجدير بالذكر أن هناك صالات رياضية تحت المراقبة الدائمة تتوافر في مراكز التوحد للقيام بهذه النشاطات لمرضى التوحد بصورة آمنة. على سبيل المثال، شيد مركز دبي للتوحد صالة للألعاب الرياضية للحفاظ على الصحة البدنية وتعزيز المهارات الاجتماعية والمعرفية لدى مرضى التوحد[11].

هناك العديد من الدراسات الغربية التي تؤكد وتدعم النتائج الفعالة للأنشطة الموسيقية على الصحة العامة لمرضى التوحد. وأجريت دراسة فقد تم اختيار عينة من مرضى التوحد أعمارهم تتراوح ما بين 6 إلى 9 سنوات، وتم توظيف أنشطة فنية تشمل على الرياضة المقننة والتربية الموسيقية (الاستماع والعزف)، وفقرات غنائية تم التركيز فيها على ترديد مقاطع موسيقية متنوعة (بالمذياع، والأفلام الكرتونية، والدعايات التلفزيونية) فأسفرت نتائج هذه الدراسة عن قدرة الأنشطة على تنمية التعبير اللفظي والتفاعل العقلي والجسدي من خلال ترديد كلمات الأغاني والقدرة على الاتصال اللغوي[12].

المصادر والمراجع:

1. د. نيللي محمد العطار، الموسيقى في علاج أطفال التوحد، جامعة الإسكندرية، المكتب الجامع الحديث، الطبعة الأولى، القاهرة، 2014، ص 17.
2. المصدر السابق نفسه، ص 37.
3. العلاج الموسيقي، مجلة الموسيقى العربية، المجمع العربي للموسيقى، الأردن، عمّان، 1 إبريل 2019، https://www.arabmusicmagazine.com/item/712-2020-10-13-14-06-07
4. د. نيللي محمد العطار، الموسيقى في علاج أطفال التوحد، جامعة الإسكندرية، المكتب الجامع الحديث، الطبعة الأولى، القاهرة، 2014، ص 17 - ص 101.
5. Gzibovskis, T., &Marnauza, M. (2012). Development of young adults' fine motor skills. Music Education Research, 14 (3), pp.365-366. Doi:10.1080/14613808.2012.685453
6. د. نيللي محمد العطار، الموسيقى في علاج أطفال التوحد، جامعة الإسكندرية، المكتب الجامع الحديث، الطبعة الأولى، القاهرة، 2014، ص17 - ص 101.
7. منال بيومي، الموسيقى علاج...للتوحد، جريدة الأهرام، القاهرة، 30 مايو 2013، https://gate.ahram.org.eg/daily/NewsPrint/212837.aspx
8. يقع مقر مركز دبي للتوحد في منطقة القرهود، ويحتل مبناه المكون من أربعة طوابق مساحة 91,000 قدم مربع تقريباً، وتصل طاقته الاستيعابية إلى 240 طالباً / طالبة، إذ يحتوي المبنى على 34 فصلاً دراسياً بالإضافة إلى 23 غرفة علاجية ومرافق متنوعة. https://www.dubaiautismcenter.ae
9. Gzibovskis,T., &Marnauza, M Development of young adults' when learning to play instrument, Music Education Research (2012) pp.365-366. Doi:10.1080/14613808.2012.685453
10. د. نيللي محمد العطار، الموسيقى في علاج أطفال التوحد، جامعة الإسكندرية، المكتب الجامع الحديث، الطبعة الأولى، القاهرة، 2014، ص 17- ص 101.
11. https://www.dubaiautismcenter.ae
12. د. نيللي محمد العطار، الموسيقى في علاج أطفال التوحد، جامعة الإسكندرية، المكتب الجامع الحديث، الطبعة الأولى، القاهرة، 2014، ص 133.

اللغة والمهددات الثقافية

شريف مصطفى محمد
كاتب وقاص مصري

مهما تحدثنا عن اللغة وقدمنا أطروحاتنا حول واقعها ورؤيتنا لمستقبلها تبقى دائماً هاجساً لا يمكن إبعاده عن تفكيرنا وإعادة طرح هذه الإشكالية المؤثرة وتدويرها على الهوية الثقافية للمجتمع لأهميتها وأثرها المستدام على الحاضر والمستقبل.

اللغة هي العنصر الجامع لخبرات المجتمع الثقافية وتظل هي الغلاف الحامي لقلب هذه الثقافة. الثقافة هي أشبه بالكائن الحي تؤثر فيه التحولات المحيطة به ولذلك لا بد أن نعي المهددات التي تحيط بالثقافة الإماراتية..

المهدد الأول: التعدد الثقافي الكبير في دولة الإمارات العربية المتحدة نتيجة الانفتاح على العالم وجاذبيتها الاقتصادية المتصاعدة انعكاساً لقوة الاقتصاد ومرونته والشفافية وقوة القانون كل ذلك أسهم في تدفق رؤوس الأموال الأجنبية للاستثمار في الدولة وصاحبه تدفق العمالة الوافدة من مختلف دول العالم حتى أصبحت الإمارات مجتمعاً كوزموبوليتاني وصارت الثقافة الإماراتية متداخلة مع الثقافات الوافدة متأثرة ومؤثرة. يبقى هذا مهدداً لحدوث تحولات قد تبدأ بسيطة ولكنها مع التراكم ستصبح تحولات جذرية تحدث تشوهاً كبيراً في الثقافة ومنظومة القيم الإماراتية خاصة.

المهدد الثاني: يتمثل في شبكات التواصل الاجتماعي والفضاء الافتراضي الذي تكوّنت به ما يعرف بالمواطنة الافتراضية

التي قد تبدو الحالة بسيطة وقد يظن بعضهم أن المواطنة الافتراضية مجرد نوع من الحالات المؤقتة سريعة الذوبان في موجة أو موضة جديدة تظهر ولكن واقعياً هذا تمني لا واقع، لأن الواقع يقول إن تغلغل شبكات التواصل الاجتماعي في حياة الفرد وتحول الهاتف المحمول من مجرد أداة اتصال إلى بيئة حاضنة لكل نشاطات الفرد مع التطور المضطرد لخوارزميات شبكات التواصل الاجتماعي كل ذلك ينبئ أن المواطنة الافتراضية تنمو وقد يأتي يوم تتحول إلى ثقب أسود يبتلع الثقافات كلها بما فيها ثقافتنا الوطنية الإماراتية وتصبح الثقافة السائدة داخل المجتمع الإماراتي هي الثقافة الافتراضية التي يشكّل ملامحها المسيطرون على شبكات التواصل الاجتماعي والمنظمون لمحتواها.

المهدد الثالث: هو الابتعاث لا بد أن ننتبه إلى أن كل معطى إيجابي لا بد من وجود آثار جانبية له ومهمتنا أن نضع تلك الآثار في المشهد ونفهمها كي نتمكن من أن نضع الحلول لتجنبها مثل الوصفة الطبية الداخلية في الأدوية التي لا يمكن أن تغفل الآثار الجانبية إلى جوار الآثار الإيجابية للدواء ... الابتعاث داعم كبير للقيمة المعرفية والعلمية والتطور في الدولة ودمج الحضارة الحديثة التي تبنيها دولة الإمارات العربية المتحدة في الحضارة الإنسانية وجعلها عنصراً فاعلاً في التاريخ البشري. الأثر الجانبي هو تأثر المبتعث المحتمل بالثقافة الأخرى والتأثر في حد ذاته ليس خطراً بل هو قد يكون مفيداً لكن مكمن الخطورة في حجم ونوعية التأثر فحين يصل التأثر إلى مرحلة الشعور بضعف ثقافتنا يصل إلى مرحلة التحول والإيمان

بأفكار الثقافة الجديدة بكل تفاصيلها ويصيب التحول هذا قلب سلم القيم الإماراتية هنا تكمن الخطورة والأثر الجانبي السلبي.

المهدد الرابع: المربيات، إن اعتماد الآباء إلى حدٍّ بعيد وأحياناً بشكل تام في تربية أبنائهم على مربيات هو مهدد حقيقي وأرى أنه المهدد الأقوى والأكثر تأثيراً وعنفاً مع تغير الثقافة الوطنية فغالبية المربيات تأتي من ثقافة مغايرة تماماً للثقافة الإماراتية ولا يمكن بأي حال تفادي تأثر الطفل بسلوكيات المربية وثقافتها فهذا أمر فطري وحتمي لا يمكن تجنبه، وحين يعتمد الآباء بصورة كبيرة على المربيات تغيب قوة تأثير الأب والأم على سلوكيات ومفاهيم وسلم القيم وما يتربى عليه الطفل، وحين ينتقل الطفل إلى المدرسة سيجد معلمة من ثقافة مختلفة ستؤثر في سلوكياته ومفاهيمه أيضاً ثم يعود إلى المنزل تتلقفه المربية، وهكذا يظل الطفل الإماراتي رهين الثقافات المختلفة في البيت والمدرسة والعالم الافتراضي.

علاقة هذا المهددات باللغة علاقة رئيسية وهذا التعدد الثقافي كان لا بد من إيجاد لغة وسيطة تجمع الثقافات والمجتمعات كلها على أرضية لغوية واحدة ولا يغفل أن اللغة الإنجليزية هي اللغة العالمية التي تسيطر على البشرية في العصر الحديث هذه السيطرة اللغوية تؤثر بصورة غير مباشرة في الأجيال الجديدة وتذيب اللغة الأم للثقافة الإماراتية وهي اللغة العربية وينعكس ذلك بصورة أو بأخرى على الثقافة الوطنية.

إضعاف أثر هذه المهددات يعتمد على قوة اللغة الأم وتغلغلها في البنية المعرفية للفرد. حين ينمو الطفل على لغته المكوّنة لثقافة المجتمع مع غراس لمفردات الثقافة وقواعدها مع التشديد على الاهتمام باللغة العربية والثقافة الوطنية في المدارس التي تعتمد المناهج الأجنبية، أما عن المربيات فأجد أنه من الضروري إجادة المربيات للغة العربية أو على الأقل التحاقهن بورش تعليمية للغة العربية وهذا لا يغني عن مسؤولية الآباء في إعطاء الأطفال مساحة أكبر من اهتمامهم ومتابعتهم وعدم الاعتماد المفرط على المربيات في الاهتمام بالأبناء.

ولكي ننجح في احتواء الآثار الجانبية لتلك المهددات لا بد من وجود تناغم بين ما تقدمه الدولة من جهد كبير في الحفاظ على الهوية الثقافية الإماراتية والسلوك المجتمعي، والمفتاح المجتمعي هنا يكمن في دور الأسرة في تعزيز القدرات الاتصالية اللغوية عند الطفل باللغة العربية فدور الأسرة والمجتمع هنا هو الدور المؤسس الذي تتكئ عليه كل الجهود الأخرى من أجل الحفاظ على الثقافة الإماراتية قوية ومتماسكة وحية في وجدان الأجيال المتعاقبة ■

الجميلة المشاكسة: الفن.. الحقيقة والوهم

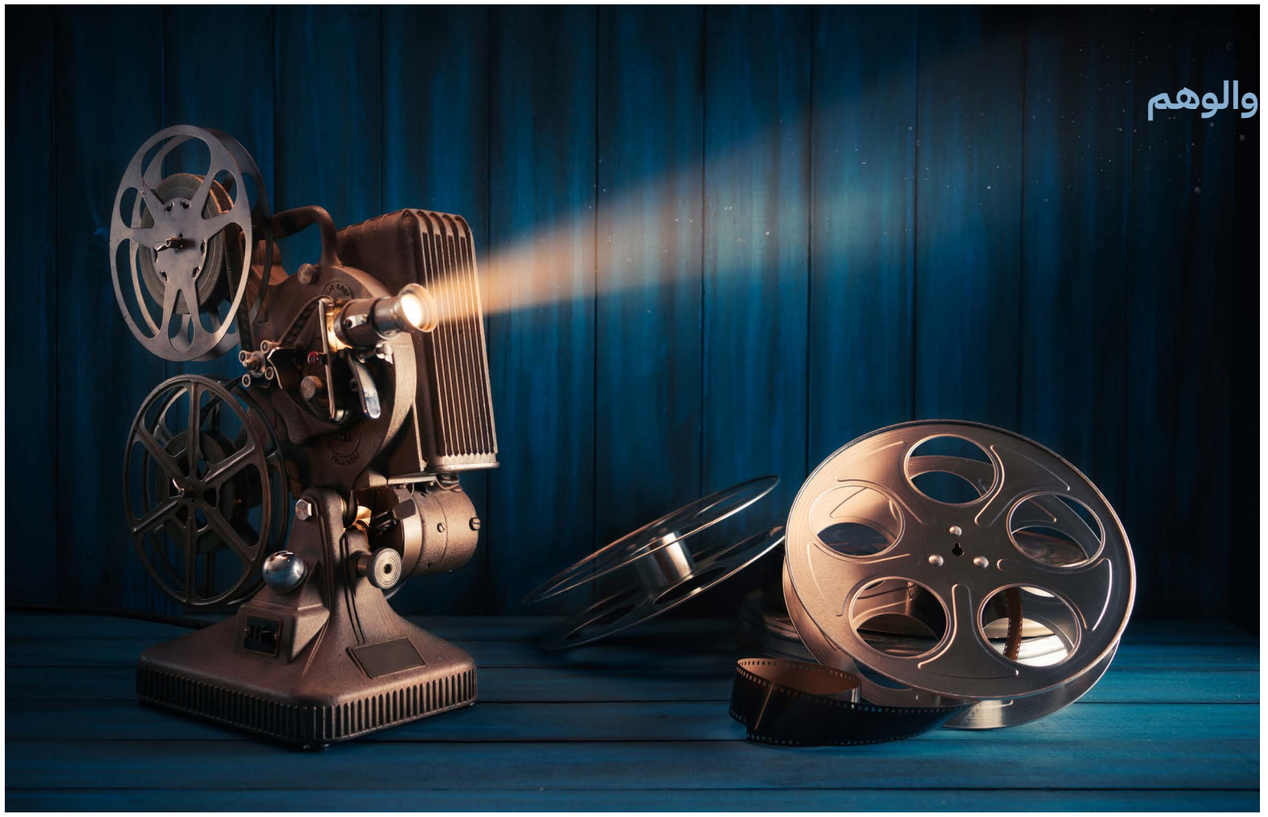

فيبي صبري

رأى أفلاطون في الفن محاكاة قاصرة للواقع، لمظهر الأشياء لا جوهرها؛ بما أن جوهر الأشياء يتحقق كاملاً في عالم المثل، فما يقدمه الفن هو وهم، ظل للحقيقة، لا يجوز الركون إليه والتحول عن المثل الأعلى غير الحسي.
على النقيض تماماً رأى نيتشه الفن خلاصاً، هو تمثُّل قوة الحياة، التجربة الميتافيزيقية التي تجعل الحياة جديرة بالعيش، لأن «كل حياة تقوم على المظهر والفن والوهم وزاوية النظر والمنظارية والخطأ». عند نيتشه المظهر/الحسي هو الحقيقة الوحيدة.

أي المنطقين ينتصر عندما نختص فن الرسم بالنظر؟ ماذا نرى عندما ننظر إلى لوحةٍ أياً كان موضوعها أو أسلوب صانعها؟ هل نرى حقيقة شيءٍ ما أم وهماً خلقه حدس الفنان؟ أيظل تصنيف الرسم كفن أبولوني قائماً مع مدارس الفن الحديث؟ بهذه التساؤلات وغيرها شاهدت فيلم «الجميلة المشاكسة» أو La Belle Noiseuse" مرتين. الفيلم من إخراج الفرنسي جاك ريفيت، مستوحى من قصة لبلزاك ومدته أربع ساعات. في المشاهدة الأولى خايلتني فكرة المظهر والحقيقة والمسافة

بينهما في الفن، ثم وجدتني أرى كل شيء على نحوٍ مختلف؛ فإذا بلب الحبكة هو الإرادة والشغف الفني وعلاقتهما بالعاطفة الإنسانية المتغيرة. يبدو أن هذا شأن الأفلام التي تتناول الفن فتربكك؛ هل هي عن العملية الفنية نفسها أم دراسة نفسية لفنان محدد؟ فيلم - «البجعة السوداء» مثال عبقري في السياق ذاته - ولا أدل على ذلك من عنوان الفيلم/اللوحة؛ فالجمال دوماً مشاكس، زلق، متعالٍ على التعريف.

إما أن أرسم تحفة أو لا شيء

نيكولا رسام شاب نجح معرضه الأول تواً، حبيبته ماريان كاتبة لم تتحقق بعد، يزوران معاً فرينوفر، الرسام الكهل المتقاعد في قصره، بصحبة وكيل أعمال فني يدعى بوربس. تعيش مع الفنان في عزلته زوجته ليز، موديله المفضلة في زمنٍ سابق.

في تلك الزيارة يثار الحديث عن عمل فرينوفر الأخير الذي لم يكتمل قط، أو «الجميلة المشاكسة» كما دعاه. لقد بدأ برسم اللوحة قبل عشر سنوات بإيحاءٍ من كتاب عن محظية ماجنة من القرن الثامن عشر، واتخذ من زوجته – آنذاك - نموذجاً لرسمها، إلا أنه توقف بعد محاولات عديدة فاشلة، دون أن يوضح سبب ذلك الفشل. «إننا نريد الحقيقة من خلال الرسم، وهذه الحقيقة تتصف بالقسوة». هذا ما قاله فرينوفر في حوار مع ضيوفه، وهو محق غالباً. عملية الإبداع لا تتصف بأي مرونة أو رقة، هي نحت مؤلم وتشكيل متبادل بين المادة والفنان؛ كلٌ منهما يغير الآخر بالدرجة نفسها. لا يخفي فرينوفر مشكلته في إنهاء أعماله، فهو لا يرضى عنها متى قاربت الاكتمال، يشعر دائماً أنها لم تحقق المثال المنشود ومازال بإمكانه إضافة المزيد مهما شكّل ذلك من مخاطرة بإفسادها.

حين يقترح عليه بوربس استئناف عمله على «الجميلة المشاكسة» يجيب بـ «مستحيل، كانت تلك ليز. والآن تأخر الوقت وستكون كارثة إن رسمتها».
لماذا لم يستطع فرينوفر إنهاء اللوحة منذ عشر سنوات؟ لقد قالت زوجته لاحقاً إنه رسمها في البداية لأنه أحبها، ثم توقف عن رسمها لأنه يحبها! فهل لم ترق إلى خياله آنئذٍ عن الحياة الصاخبة لكاثرين ديسكولت؟ نسمع هذا التساؤل: «هل يمكن القبض على حياة بكاملها فوق قطعة قماش بآثار من الطلاء؟». ونتساءل نحن، هل كانت ليز هي المشكلة؟ هل كانت أبولونية الجمال فيما جنح هو إلى نزعةٍ ديونيسيوسية؟ لقد توقف عن الرسم تماماً ما إن بات عاجزاً عن رؤيتها كعارضة، اكتفى بها زوجةً وانطفأ شغفه للعمل دفعةً واحدةً، كأنه استنفد رصيده من الدافعية مع ولعه بها كموضوع فني، حتى لو جاملها قائلاً في حضورهم: «أنت هي الجميلة المشاكسة».
لكن وكيله يجد الحل في اتخاذ ماريان الشابة - ذات الجمال الأيقوني المشع بالذكاء - نموذجاً للرسم، وهو ما يتحمس له فرينوفر كأملٍ متجدد، ويوافق عليه نيكولا دون سؤالها. تغضب ماريان؛ فحبيبها لم يرجع إليها أولاً، ولا يجد غضاضة في أن يرسمها آخر عارية، كما أنها تجد الرسام الكهل سخيفاً، متكلفاً، إلا أنها تذهب إليه في النهاية، من باب الفضول أو التحدي.
استغرقت محاولات رسمه لماريان ثلاثة أيام، واستمرت المشاهد التي تنقل تلك المحاولات أغلب وقت الفيلم، في لقطات طويلة ثابتة دون قطع، ودون موسيقى، حقيقية بكل ما تعنيه الكلمة. على مدى يومين نراها وقد استسلمت تماماً لأسلوبه بحيادٍ بارد وبلا مبالاة، كان يشكل جسدها ويعدل

أطرافها في أوضاعٍ عصية، مؤلمة ومهينة، عاملها كدمية بلا حدود شخصية أو كرامة، أمرها أن تنظر بعيداً لأن نظراتها تزعجه ولأنه لا يريد رؤية وجهها، راح يقلبها ويقيمها ويسجيها ويسألها عن حبيبها في اقتراحٍ إيروتيكي أحمق، رسمها من كل منظور ممكن، وواجهها غاضباً بقصوره: «سوف أكسرك إلى أجزاء، سأخرجك من حدود جسدك، سأنتزعك من الجثة التي تسكنينها. أتظنين أني سآخذ ما تعطيني أنت إياه؟! أريد أن أعرف وأن أرى ما بداخل جسدك». لكنه لم يجد ضالته رغم كل شيء. في صراع الإرادات ذاك - بينه وبين مادته - كان هو الخاسر.

في اليوم الثالث قررت ماريان أن تستلم الدفة ليجري الأمر بطريقتها؛ ستتخذ الوضع الذي تريد وتتحرك كيفما تشاء، ستتحدث عما يعن لها وعليه أن يستمع، وسينظر إلى وجهها، «هذا هو الشيء الوحيد الذي نسيتَ فعله»، تؤنبه ساخرةً. وفيما هي مستلقية، تتحدث بانسيابٍ عن ذكرياتها في المدرسة

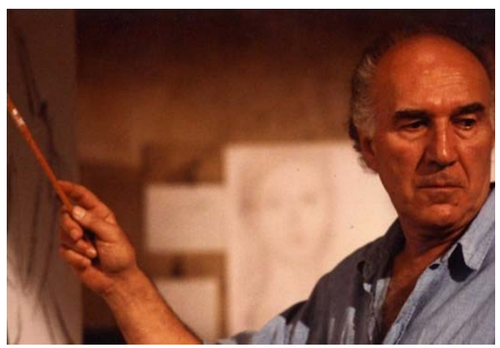

الداخلية وعلاقتها بنيكولا، كاشفةً عن نفسها، حدث الأمر! التقط الوهج الذي كان يبحث عنه، وجد الجميلة المشاكسة التي تخيلها منذ عشر سنوات وفشل في إسقاطها على زوجته أولاً، وفي تعديل ماريان لتطابقها ثانياً. طلب منها أن تنظر إليه، ليظهر وجهها أخيراً في اللوحة التي لن نراها أبداً.

منذ متى كان التقدم في عملٍ ما يؤدي إلى تدمير عملٍ آخر؟

كما يمكن أن نتخيل كانت زوجته لتسعد بانتهاء اللوحة المنتظرة ولو بجسدٍ آخر غير جسدها، فقط لو لم يطمس وجهها في لوحة قديمة ليرسم أخرى فوقها. لم يشفع له دفاعه بأن ذلك آلمه و«إنها ليست أنت من قمت بطمسها»، وكالت له ما كان مكبوتاً بينهما من لومٍ وتأنيب، ردت له القسوة مضاعفة وذكرته بخوفه الأكبر: أفول شبابه وشغفه معاً، فتلك اللوحة هي نهايته المؤجلة منذ سنواتٍ، لأنه توقف عن البحث وفقد طاقته، تاركاً الملل يتسلل إلى حياتهما. أليس ذلك رعب الفنان - والرجل أيضاً - الذي لا يهدأ؟ تتمادى في انتقامها منه بأن رسمت صليباً صغيراً على ظهر لوحته، كأنها شاهد قبرٍ. وفي أغرب قرار على الإطلاق يخفي فرينوفر تحفته خلف حائط يبنيه ليلاً في مرسمه، كأنها لم تكن، لم يطلع عليها سوى زوجته وماريان والخادمة التي ساعدته في دفنها. قد يكون ذلك الاختيار المتطرف بمثابة إحراق طائر الفينيق لنفسه، ليتسنى له البدء من جديد في عملٍ آخر ليس مثقلاً بتلك الذكريات المشتركة مع زوجته.

«ما الذي يبقى ميتاً ولا يمكن إحياؤه من جديد؟»، تساءل فرينوفر بعد انتهاء شجارهما، وهو يعلم في قرارة نفسه أن

علاقتهما لن تنتهي أبداً، هي الشخص الأكثر ملاءمة له في العالم، خاصةً وأن هوايتها الوحيدة بجانب الطهي والعناية به هي تحنيط الطيور النادرة بعد موتها.

أقنعة

بدأ الفيلم بمشهد تمزح فيه ماريان مع نيكولا عن طريق التظاهر بأنها غريبة تلتقط له الصور، واستجاب هو للعبتها وبادلها التمثيل. وفي نهاية الفيلم نسمعها تحكي عن نفسها كأنها ذات منفصلة عنها:

«ماريان ارتدت قناعها مجدداً، أو ربما ارتدت واحداً جديداً». عقب انتهاء اللوحة، والأيام الثلاثة بعيداً عنه، كانت قد تأكدت أنها ستفارقه، منتظرةً اللحظة المناسبة فحسب. لذلك لم تعجبها نسختها التي رسمها فرينوفر، والتي نرى أثرها فحسب على وجهها المكفهر، رأت نفسها في لوحته جافة وباردة، كما هي حقيقةً، أو كما صارت وقد خبا حب نيكولا في قلبها؟ كم قناعاً لماريان شاهدنا؟ أعتقد أننا لن نعرف.

قد نحب أو نكره صورتنا كما يراها الآخرون، متوهمة كانت أو حقيقية، لكنها تبقى فرصتنا الوحيدة للخلود، ومحوها لا يغتفر. هذه الكلمات التي وجهتها ليز إلى زوجها هي الإيضاح الأمثل للفكرة: «أن أصبح قديمة بالنسبة لك فلا بأس لدي بذلك، أن تهجرني فلا بأس أيضاً، لكن وجهي كان موجوداً هناك، وقد أعجبني.. أكان عليك أن تطمسه؟!».

لم يكن مدهشاً أن تعود المياه إلى مجاريها بينهما فقط بعد تخليه عن تحفته الكاملة - تضحية أخرى بالفن لأجل الحب - ورسمه لوحة بديلة لماريان، لكن من دون وجهها، سالباً إياها هويتها، وفرصتها للخلود في عالم المثل وخلاصها النيتشوي على حدٍّ سواء ■

كاتبة وروائية مصرية

المصدر:

- فيلم «الجميلة المشاكسة» من كتابة جاك ريفيت وإخراجه، وشارك في الكتابة باسكال بونيتزر وكريستين لوران. بطولة ميشيل بيكولي، وإيمانويل بيار، وجين بيركين، وقد حاز الجائزة الكبرى من مهرجان كان في عام 1991.

لوحات أثرية من الكهوف المكتشفة في الصومال

عمر عبد الله إيدان

نستطيع بكل بساطة فهم معنى قول الشاعر:

شكـــــل آثارنـــــا تدل علينـــــا

فانظـــروا بعدنـــا إلى الآثـــــار

فإذا كانت الآثار والحفريات والرسوم وحتى الأدوات القديمة علامة على وجود الإنسان، فهذه العلاقة بيان للناس وموعظة تردنا من الأزمنة الغابرة ناطقة بلسان المكان، ولأن الأثريات هذه تحمل معاني البدايات الحضارية، كان نبشها وتدميرها حجب صدى الأثر الذي يدل على أي شعب من الشعوب، وبناء عليه فالنظر في تاريخ الأقدمين كيف اعتقدوا، وكيف امتحنوا، كل ذلك مدعاة للتأمل في الدلالة على العصور الممتدة. يحدث هذا في البر والبحر، في الكهوف والآثار العمرانية، ويسعدني أن آتي هذه الحقيقة بشواهد آثار الصومال كمثال على دروب الأجداد. يوجد في الصومال آثار متنوعة وكهوف كثيرة تحتوي رسومات وكتابات قديمة، ولكن يسودها غموض في فك رموزها، وهذا المقال يسلط الضوء على مواقع مشهورة تقع في الصومال زرتها في أعوام سابقة.

1: كهوف لاس جيل:

كهوف «لاس جيل» أروعُ الأماكن الأثرية المكتشفة في أرض الصومال؛ حيث يحتوي هذا الموقع على عشرة كهوف تحمل حيطانها رسوماً شاهدة على تقديس الأبقار، وقد تم اكتشاف هذا الموقع في عام 2002 من قِبل فريق آثار فرنسي، وفيها رسومات صخرية تمثل الأفق الثقافي للعصر الحجري الحديث (النيوليت) في أرض الصومال، وهي تؤرخ نحو 5000 إلى 1500 ق.م. يوجد في لاس جيل مشهد مرسوم على جدار إحدى المغائر يحتوي على رسم لبقرة بعنق مزّين ورسم لإنسان رافع ذراعيه، وكأن «أجاثار» الجغرافي اليوناني يُشير إلى هذه الآثار عند حديثه عن قبائل ترغلوديتا بقوله: من اعتقادهم (الثور والداً والبقرة والدة) تقديساً للأبقار.

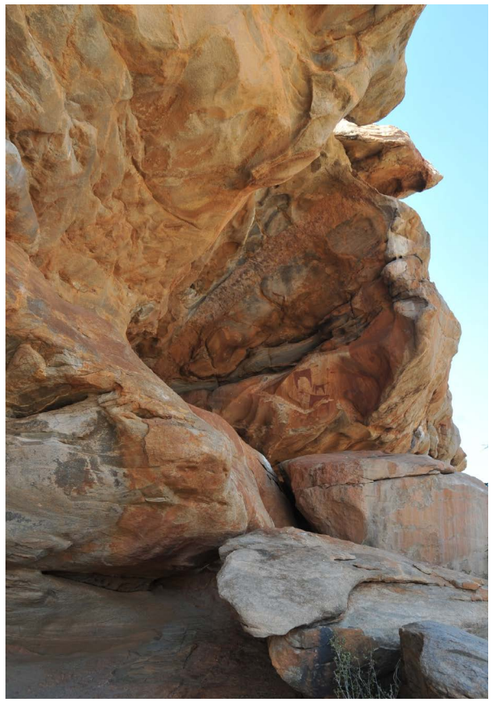

وتشمل الرسومات الصخرية التي عُثِرَ عليها في (لاس جيل) مجموعة من المشاهد الحيوانية والإنسانية المتنوعة، وقد تمّ رسمها بألوان متنوعة، مثل الأبيض والأحمر والأسود، وهي تجسد بيئة ونمط حياة وممارسات وطقوس المجتمعات التي عاشت في تلك المنطقة خلال العصر الحجري؛ حيث نجد داخل الكهوف مشاهد متنوعة تجسد الأبقار والثيران والأغنام والزراف والكلاب في المناطق المحيطة بلاس جيل.

2: كهف طبدير (Dabdheer)

في يناير عام 2014 بدأتُ مسحاً أثرياً في الاتجاهات جميعها، وركزت على موقع (لاس جيل) الأثري الذي اكتشفه فريق فرنسي عام 2002، وفي الظهيرة اتصل بي دليلي واسمه (كيسي علي)، وذكَّرني أن أضيف إلى مسحي «جبل طبدير» (Dabdheer)، وكان على بُعد 30 كيلومتراً تقريباً، فقبلتُ العرض وبدأت سفري بعد صلاة العصر سيراً على الأقدام في الجبال والأودية، وعثرت على قبورٍ عدة وصورت بعدستي ما أثارني، وبعد صلاة المغرب وصلنا إلى مدينة بندر وناج (Bender-wanaag) وبتنا ليلتنا هناك، وهذه المدينة تُعَدّ من أقدم المدن الداخلية في أرض الصومال، وكانت عامرة ومزدهرة، إلا أنها تحولت اليوم إلى شبه مهجورة.

وبعد صلاة الفجر من اليوم التالي اتجهنا صوب «جبل طبدير»، الذي يقع شمال شرق مدينة «بندروناج» القديمة، وكان هدفنا الأول في رحلتنا أن نقوم بمسح لمنطقة هذا الجبل، ولحسن الحظ عثرنا في هذا الجبل على ثلاثة كهوفٍ، تقع تحت (جبل طبدير)، وكنا على مسافة تبلغ 40 كيلومتراً تقريباً من مدينة (هرجيسا) عاصمة أرض الصومال.

ويحتوي هذا الجبل على ثلاثة كهوف أثرية رائعة، يقع الأول غرب الجبل، ولسوء الحظ اختفت العديد من رسوماته، وتُشاهَد نقاط حمراء غير واضحة، وربما اختفت تلك العلامات بسبب التغيرات المناخية للكهف، أو بسبب السلوكات البشرية (الرعاة) الذين يجوبون المنطقة، وأما الكهفان الآخران فيقعان شرق الجبل، وقبل وصولنا إلى الجبل كانت هناك أودية صغيرة وأشجار شوكية تقع في ممرّ الكهف لم نستطع تجاوزها بسهولة

يحتوي الكهف الأول، وهو الذي يقع غرب الجبل على رسومات ملونة بشرية ورسومات حيوانات من ضمن الحيوانات المنتشرة في هذه المناطق، والمشهورة بين السكان؛ حيث يتمحور موضوعها حول الأشكال البشرية والغزلان والأبقار، بالإضافة إلى نقوش لم تُفَكَّ ألغازُها حتى الآن، ووجدنا في هذا الكهف

رسومات باللون الأحمر.

الرسم الأول: عبارة عن رسم 5 رجال واقفين يرفعون أيديهم، وإلى جانبهم صورة ثور واقف، وغالباً ما تُرَى رسوم تُشبه هذه الرسوم في بعض الكهوف كما هو مشهور في رسومات (لاس جيل)؛ حيث يظهر على جدرانها وحيطانها رجال واقفون يرفعون أيديهم تحت بقرة أو ثور، وكانت عبادة الأبقار وتقديسها منتشرة في المنطقة.

الرسم الثاني: رسم يدل على شكل إنسان، وآخر مربع على شكل مسكن، مما يدل على وجود استيطان لمنطقة بندر وناج (Bender-wanaag). وبالنسبة إلى الرسومات الملونة دائماً تكون في المغارات والكهوف، ويرجع تاريخها إلى العصور الحجرية، وتكثر في الكهوف التي تحمل جدرانُها رسومات جميلة في أرض الصومال. هناك أمكنة أثرية ورسومات مكتشفة حالياً مما تركها الصوماليون قبل آلاف السنين منتشرةٌ في ضفاف الأودية والجبال، وهي عبارة عن كهوف على شكل البيوت،

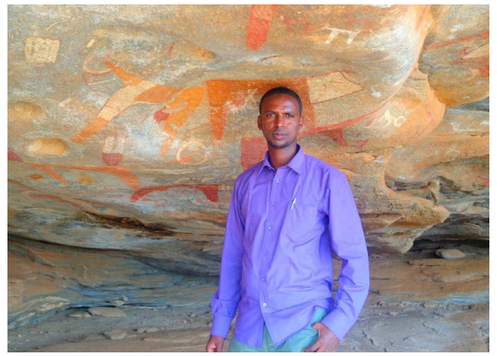

ونشاهد قبوراً منتشرة أمام الكهوف وسفوح الجبال أيضاً. وإذا قارنَّا آثار ما قبل التاريخ المنتشرة في أرض الصومال، التي اكتشفناها في أعوام مختلفة، بما ورد في كتابات الإغريق التي جاءت متأخرة بالنسبة إلى تلك الحقبة التي بدأت بحياة الكهوف والعيش بداخلها؛ فإنها تُرشدنا إلى فهم حياة الصوماليين في ذلك الزمن ومعرفة تقاليدهم وعاداتهم التي تغيرت تماماً اليوم. وقد ذكر الجغرافيون الإغريق أن الصوماليين الذين كانوا يعيشون داخل الكهوف كانت لهم عادات وتقاليد غريبة، ويهتمون بتربية المواشي، وكذلك أشارت تلك المصادر أيضاً إلى أنهم أقاموا مدناً ومراسيَ للسفن التجارية. وأقدم تلك الكتابات ما كتبه الجغرافي اليوناني «أجاثار». وهذه المصادر لها أهمية كبيرة بالنسبة للآثار المكتشفة حالياً في الصومال لأنها تُوضّح مدى تقديسهم للثور وجعلِهم له مكانة الأب، وللبقرة مكانة الأم كما ذكر (آجاثار) و(إسترابون) ■

باحث من الصومال

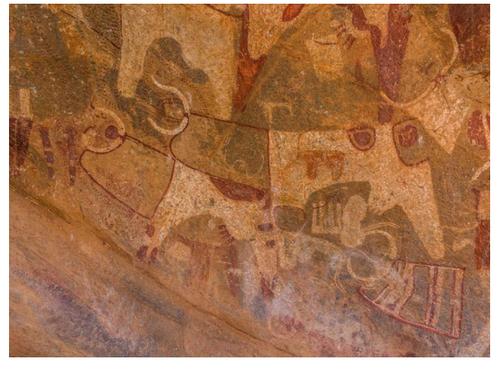

قناديل لشجرة العام الجديد

حمزة قناوي

شاعر وناقد مصري

ينتهي عامٌ وتُنسجُ خيوطُ نورٍ لعامٍ جديد. وفي أنحاء العالم وفي أركان زواياه، وبيوته، تستعدُ قلوبٌ مبتهجةٌ للاحتفالِ، بين اقتناء أشجار الكريسماس، وزينتها، وأضوائِها، وتعليق بطاقات الأمنيات والشموع عليها، كأنما يتوحد العالم في محفلٍ بهيج، تغطيه ندفُ الثلج المتساقطة على البيوت التي أشعلت مدافئها، وتراكمت أخشابها، في حراكٍ دافئ لعائلاتٍ وأسرٍ تلتقي على الأمنيات بسنةٍ جديدة أكثر سعادةً وعلى تفاؤلٍ بالقادم البهيج، المضيء والمستبشر. في أركان العالم وزواياه، أطفالٌ يحلمون بـ «بابا نويل» حاملاً كيسه الأحمر المملوء باللعب والهدايا والحلوى والشوكولاتة، وبعربته التي تطير بها الوعول، حيث تشق السحب وتتناثر من كيسه عليها أكياس هدايا الكريسماس، لتكون من نصيب مَن ستسقط فوق منزله أو بالقرب منه، حتى إن بعض الأطفال ينامون باكراً في الليلة التي تسبق ليلة السنة الجديدة ليحلموا بـ «بابا نويل» وهداياه، حتى إنهم يحلمون به فعلاً! في منازل أضيئت نوافذها بأضواء خافتةٍ وعلقت فيها زيناتٌ ملونةٌ بينما تنبعث من أركانها موسيقى احتفالات السنة الجديدة، موسيقى هادئة تهدهد الروح وتهدئها وتبعث فيها الارتياح والطمأنينة والسكينة، بينما ارتفعت بالونات ملونة في أركان البيوت، وأخرى استقرت في زواياه، إيذاناً ببدء الاحتفال القريب بالسنة الجديدة. ثمة من يجدون في تزيين شجرة السنة الجديدة وإضفاء طابعهم الخاص عليها، متعةً كبيرةً، تبرز شخصية كل إنسان، وتكشف طبيعته الإنسانية، فهناك من يقتني شجرةً كبيرةً ويعلق عليها أضواء كثيرة وبطاقات قليلة، وثمة من يفضل امتلاك شجرةٍ متوسطة يضع عليها بعض القناديل أو الكرات الملونة والقليل من الأضواء ويترك المساحة الأكبر لخُضرتها ولونها الطبيعي البهيج، وغيرهم يفضلون أن تكون الشجرة حافلةً بالقناديل والأمنيات الموقعة في البطاقات، وفريق آخر يحب أن تحفل قاعدة الشجرة بالأكياس الحمراء والهدايا المغلفة والمصابيح الصغيرة. في زوايا البيوت وفي أركان العالم، تستعد الاحتفالات في جو بهيج من الألوان والأضواء والموسيقى والأشجار والشموع وتبادل الأمنيات، وبطاقات الاحتفال، وأخشاب المدافئ، والزينات، واللوحات، والمقطوعات الكلاسيكية، والثياب الجديدة، والأحلام المسافرة من عامٍ إلى آخر. في ليلة السنة الجديدة، لا تتلألأ أشجار الكريسماس في زوايا البيوت فقط، ثمة أشجار أخرى تورق وتزهر وتأخذ زينتها في قلوب بشرٍ لا يملكون ثمن أشجار الاحتفال، وإنما يملكون قلوباً من ذهبٍ تنمو فيها أشجار الحب والخير والأمنيات للسنة الجديدة، وهم يتمنون الخير للعالم بأكمله، لفقرائه ومحتاجيه، لمُتعبيه، ومن لا يملكون من العالم سوى أحلامهم الطيبة له. هؤلاء البشر، هم الذين يمنحون السنة الجديدة أشجارها المثمرة والبهيجة، حين تنمو في قلوبهم الأمنيات، وهم يعلقون قناديل الأحلام في أشجار قلوبهم المبرعمة في السنة الجديدة والمزدهرة بالخير والحب والجمال والرفق والرحمة والعطاء، قد تكون هذه القناديل أمنياتٍ، أو تكون وجوهاً دافئةً حُفِرَت ملامِحها في أرواحهم قبل أن تغادر العالم، قد تكون صورة أمٍ يفتقدها أبناؤها في غيابها الطويل، أو عودة ابنٍ من غربةٍ ممتدةٍ حاملاً في قلبه صوت أهله وعائلته الذي لم يغب عنه يوماً في رحلته الشاقة.

قناديل شجرة السنة الجديدة، لا تتلألأ بالأضواء فقط، إنما بأمنيات البشر الصادقين، الطيبين، بحلم الدفء والرحمة، والخير، بألا يظل في العالم طفلٌ جائعٌ أو محرومٌ أو آملٌ ببيت يؤويه بينما يقاوم قلبه البرد في العراء. في هذا العام سأستقبل السنة الجديدة آملاً ومنتظراً الخير كله، بينما أنظر إلى شجرتي التي لم أستطع أن أخرجها من صندوقها أو أن أعلق عليها شيئاً، وأنا أفكر في أطفالٍ صارت وجوههم البريئة هي القناديل والأمنيات والوصايا والدموع.

قراءة في كتاب «جيمس آي بورتر»

«هوميروس اللغز».. طرح جديد للأسئلة الكلاسيكيّة

خالد عمر بن ققه

في التراث الإنساني، يُشكِّل الإبداع الأدبي، سرْداً وشعْراً، حضوراً لافتاً للمشاعر والانتباه، من خلاله يتمّ تراكم الوعي عبر أزمنة مختلفة أولاً، ومن ناحية اعتباره رافداً معرفياً ثانياً، والعودة إليه كونه قد يمثل لدى بعضهم مرجعية ثالثاً وبالجمع بين تراكم الوعي والرافد المعرفي والمرجعية، تظهر حالة من الطموح المشروع للتطور على المستوى الأدبي من خلال المنجز التراثي، حتى لو كان بعيداً، أو غير جامع للبشر حول هدف واحد، مادام يشكل في النهاية نظرتهم للحياة والوجود في مرحلة معلومة أو مجهولة من التاريخ، بما فيها تلك الغارقة في الأساطير والخرافات.

ولأن التراث الأدبي الإنساني يحتوي، في الغالب، منظومة قيم، تفرضها طبيعة العلاقات بين البشر، في أزمنة السلم والحرب، وتحتويه هي أيضاً، فإن الأمم والشعوب والجماعات تعول عليه في إنتاجها لثقافتها، ناهيك عن اجتماعها حول قيم بعينها، وبناء عليه تُبْدي تصوراتها، وقد تَجْنَحُ إليه في صنع خيال، يُوفق في تحوله أحياناً إلى حقائق وواقع.

وكون أن ذلك التراث، هو حالة إبداع فردية بالأساس يحقق من خلالها المبدع ذاته أولاً، وبعدها يظهر التفاعل الجمعي معه رفضاً أو قبولاً، أو يضعه محل مساءلة قد يطول زمنها أو يقصر، وربما تتوارثها أجيال لحقب متتالية، فإن التركيز على صاحب الأفكار أو صانع الذوق الفني والجمالي، أو المنتج للأفكار والفلسفات، يعدُّ قضيةً مركزيةً في الدراسات والأبحاث، ليس لكونه يربط بين الأفكار وصاحبها فقط، وإنما لأنه يرى في الأطروحات الفكرية الراهنة امتداداً لها.

وللبحث في التراث الإنساني بهدف معرفة النقاش الدائر حول قراءة المنتج الأدبي من خلال المبدع للنظر في منتجه من حيث الصلة والتفاعل والتأثير، بما يمكن اعتباره تفاعلاً مع الإبداع، ولو كان غارقاً في الماضي البعيد، ينتهي بنا إلى قراءة لأحد جلساء التراث في سياق عودة عالمية إلى الاحتماء بالماضي، حتى لو تعلق الأمر بنقد صاحبه أو رفضه، والأكثر من هذا الجدل بخصوص صدقية وجوده من عدمها، للقول إن كانت حقيقة أو وهماً.

المعضلة الهوميروسية

في هذا السياق نقدم هنا قراءة في كتاب «هوميروس اللغز»[1]. تأليف «جميس آي بورتر»، ترجمة «د. مدى صالح» من منطلق الإشكالية، التي طرحها الكاتب، والمتعلقة بـ«هوميروس» ذلك الكاتب الذي يعتبره بعضهم «أعظم شاعر عرفته الحضارة اليونانية.. وقد كان لملحمتيه «الإلياذة والأوديسة» تأثير كبير

في الأدب الغربي «حيث عدّتا أولى المحاولات للكتابة الغنائية منذ آلاف السنين»[2].

من البداية وضّح المؤلف هدفه من الكتاب، بعد شرح طويل، وهو الحديث «عن الالتباسات التي لا مفر منها في حالة هوميروس، نظراً إلى أنه لا يعرف نفسه في أي مكان من قصائده بالاسم، ولا نعلم متى ألحق اسمه بتلك القصائد، وأحد الاحتمالات إن لم يكن أرجحها هو أن الاسم تم إلحاقه بالقصائد بعد تأليفها»[3].

من النَّاحية النظريَّة، واعتماداً على عدد من الدراسات لا تبدو الإشكالية التي اعتبرها الكاتب نوعاً من المساءلة، والتي قد تخلص إلى ما سماه بـ «المعضلة الهوميروسية»، طرحاً جديداً يمكن التعويل عليه لحل لغز هوميروس، الذي كان يطلق عليه «الرهينة أو الأعمى»، لأنه يلتقي في هذا الأمر مع «الباحثين والعلماء المعاصرين الذين يشككون في وجوده التاريخي على الإطلاق»، إذ لا توجد ترجمات موثوق بها من العصر الكلاسيكي تتحدث عن سيرته الذاتية»[4]، وهم في ذلك يبحثون في حياته التي كانت موضع جدل كبير بين «مؤرخي العصر الكلاسيكي»[5]، وإن اعتبره بعض القدماء شخصية تاريخية.

اعتبر المؤلف، لأجل الوصول إلى تحقيق هدفه البحثي، أن الدراسات الحديثة قد تعاملت مع الشكوك حول هوميروس (المعضلة الهوميروسية) بطريقة معيارية، كونها اختصرت، المشكلة كلها في طرح سؤال واحد «اصطلح المؤرخون فيما بينهم على تسمية هذا الجدل الكبير حول هوميروس (وجوده وحياته وشعره) بالسؤال الهوميري، أي سؤال هوميروس»[6].

تساؤلات إشكاليّة

يذهب المؤلف جيمس آي بورتر إلى أن واقع الأمر لحل المعضلة الهوميروسية يتطلب طرح جملة من الأسئلة ذكرها على النحو الآتي:

- من قام بتأليف المَلْحَمَتَيْن؟ ومتى؟ وأين؟
- هل هما إبداع مؤلف واحد أم نتاج تقليد، إن لم يكن تأليفاً جماعياً؟
- هل يمكن لمؤلفها القراءة والكتابة؟
- هل كان أعمى أم مبصراً؟
- هل قام بتأليف «الإلياذة والأوديسة»[7] أم واحدة فقط من

هاتين القصيدتين؟

. هل كان مسؤولاً أيضاً عن الأعمال الإضافية التي انضوت تحت اسمه مثل» ترانيم هوميروس»[8]، أو أي من القصائد الثانوية الأخرى ذات المنشأ أو التاريخ غير المؤكد في التقليد الملحمي أو ما يسمى بالدورة الملحمية؟

هذه الأسئلة قد تبدو من ناحية طرحها مهمة كونها فصَّلت السؤال الأساسي، الذي قامت عليه تصورات كل عصر وشروحه، والمتعلق بمعرفة ماهية «هوميروس»، لكنها في حقيقة الأمر ليست كذلك، ذلك أنه في حال الوصول إلى إجاباتها، سنجدها كلها أو بعضها، باستثناء الفضول المعرفي، لا تقدم أي إضافة في مجال التراث الإنساني يعول عليها في إحداث تغيير على مستوى التصور أو حتى الخيال في عصرنا.

من ناحية أخرى، فإن تلك الأسئلة إن تحققت إجاباتها، تبدو متناقضة، مع ما أشار إليه المؤلف في بداية كتابه حين طرح السؤال: «لماذا هوميروس..؟»، وقد تولّى الإجابة قائلاً: «.. المشكلة الحقيقية ليست فقط أن شكوكاً لا تنتهي تخيم على هوميروس، ولا أنه ربما لم يكن له وجود على الإطلاق باعتباره شخصاً يمكن التعرف عليه، كما يعتقد على نطاق واسع اليوم، وإنما يمتد الإشكال إلى أن هوميروس كائن مستحيل؛ كيان يصبح حقيقياً بشكل ملموس وفعلي في المحاولة الفاشلة لإمساكه فقط..»[9].

ربما يكون الكاتب مُحِقّاً في النتيجة التي انتهى إليها والمتعلقة بكينونة هوميروس، والتي تظهر عند «المحاولة الفاشلة لإمساكه»، لكنه، قد يكون دون قصد منه، يعيدنا إلى الجدل التاريخي من جديد حول هوميروس، الشاعر بالمعنى القيمي، والإنسان بالمعنى الوجودي، والمرجعي بالنسبة إلى الحضارة الغربية، وقد بُحثتْ هذه القضايا جميعها على نطاق واسع، بداية من اسمه، ونهاية بشعره.

الرَّهينة الشّاعر

الجدل التاريخي حول هوميروس من ناحية التعريف المقصود باسمه، حيث المطبات والمنعرجات والمسالك الوعرة في المحاولات على مدى قرون انتهى، كما هو معروف، إلى اتفاق بيت العلماء على أن هوميروس اسم لُقِّب به بسبب أمر جلل حصل له خلال حياته، ولكنهم لم يذكروا اسمه الحقيقي، ولأنه كان كفيف البصر[10]. أشار إلى ذلك في أبيات من الأوديسة . لذلك يرى بعضهم أن كلمة هوميروس تعني الأعمى وبها لُقّب، ومع ذلك فقد ظهرت آراء مختلفة حول المقصود بهوميروس، اختصرت في أربعة، هي:

الرأي الأول: يرى أصحابه أن كلمة هوميروس تعني «الرهينة»، ويعود السبب في ذلك إلى أنه أُسِر في حرب ما، ولكنهم لم يتمكنوا من تحديد تلك الحرب وزمانها.

الرأي الثاني: يعتقد أصحابه أن هوميروس يعني «المتكلم في المجلس»، وهذا يعني الخطيب.

الرأي الثالث: يرى أصحابه أن كلمة هوميروس مشتقة من كلمة تابع أو لاحق.

الرأي الرابع: يرى مؤيدوه أن هوميروس مجرد كلمة تتكون من ثلاثة مقاطع تعني (كفيف البصر)، وهو الرأي الأكثر شيوعاً[11].

التّناقضات المزعجة

وبعيداً عن الآراء السابقة، وعن غيرها من الآراء، التي تناولت هوميروس وشعره، فإن الكاتب جيمس آي بورتر يدعونا، مثل كُتَّاب كُثْر، إلى تأمل شخصية هوميروس، وإلى قراءة ملحمتين تعودان إلى القرنين السابع والثامن قبل الميلاد، أي إلى استحضار تاريخ بعيد لمنتج أدبي روى قصصاً ملحمية تتمحور حول العصر البرونزي أو العصر الميسيني عند الإغريق القدماء خلال فترة ازدهارهم ما بين 1600-1100 قبل الميلاد.

ومن غير الواضح هنا إن كان المؤلف يهدف من وراء ذلك إلى إعادة تنشيط الذاكرة الغربية لدفعها نحو صناعة تاريخها الراهن، أدبياً وفلسفياً وفكرياً، بعيداً عن الميراث اليوناني القديم، وفي ذلك رفض لما جاء في الأوديسة، حيث بررت استعمار إيطاليا وصقلية للغرب، وإن كان في ذلك مخاطرة وخيمة النتائج، لأن الغربيين في انطلاقتهم الحضارية اتخذوا من تلك الفلسفة مرجعيةً.

وفي المحصلة، فإن موقف الكاتب من الدراسات القديمة والحديثة عن هوميروس، تجعل من هذا الأخير كتاباً مفتوحاً، فكيف اعتبره لغزاً؟، وهل توصل إلى حله؟

ليست هناك من إجابة واضحة لمسألة اعتبار هوميروس لغزاً، ذلك أن المؤلف أعاد طرح التساؤلات القديمة، وما ترتب عنها من إشكاليات بحثية، ثم صاغها من جديد، بطرح أسئلة تفصيلية أسس عليها بناء معرفياً، يمكن اعتباره بعضاً من النتائج التي توصل إليها، لكنها لا تعدّ حلاً للغز، لأنه في نظري لا وجود له إلا في ذهن الكاتب.

ومن الأمثلة الدالة على ذلك ما ذهب إليه المؤلف حين تحدث

عن «موسيقى الحرب»، قائلاً: «بدلاً من التظاهر بأن الإلياذة والأوديسة هي أعمال فنيَّة عظيمة لا تشوبها شائبة ونماذج لا مثيل لها من القيمة الثقافية، ربما يكون من الأفضل الاعتراف بأن قصائد هوميروس هي في الأساس موضوعات متناقضة تطرح مشكلات صعبة ولا حلول سهلة لها.. مع ملاحظة أنه علينا أن نعترف ولا ندفن التناقضات المزعجة في القصيدتين كلتيهما»[12].

بقي أن نشير هنا إلى أن الكتاب، حمل عنواناً جذّاباً، لكنه لم يقدم إجابة للأسئلة المطروحة، ولا قدم حلاً للغز، لكن كل هذا لا يقلل من أهميته على مستوى الثراء المعرفي، ويشي بمراجعة غربية للمرجعيات التي تأسست عليها التصورات والفلسفات ومنظومة القيم، والتمدن، والتدافع الحضاري والصراع الوجودي ■

كاتب وصحفي - الجزائر

المصادر والمراجع:

1 . جيمس آي بورتر، هوميروس اللغز، ترجمة د. مدى صالح، وزارة الثقافة والشباب، وميتافيرس برس للنشر والطباعة والتوزيع، الإمارات، 2023م.

2 . كُتَّاب أثَّروا في البشرية.. هوميروس أكبر شاعر عرفته الحضارة الإغريقية، عالم المعرفة.. على الرابط:
https://knowledge-world1.com/blog/archives/30109

3 . جيمس آي بورتر، هوميروس اللغز، مرجع سابق، ص 24 بتصرف.

4 . كُتَّاب أثَّروا في البشرية.. هوميروس أكبر شاعر عرفته الحضارة الإغريقية، مرجع سابق بتصرف.

5 - قال هيرودوت: «إن هوميروس سبقه بأربعمئة عام، أي إنه عاش عام 850 قبل الميلاد، ومن المرجح أن مصادر قديمة أخرى تشير إلى أنه عاش في فترة قريبة من حرب طروادة.

6 - كُتَّاب أثَّروا في البشرية.. هوميروس أكبر شاعر عرفته الحضارة الإغريقية، مرجع سابق بتصرف.

7 - من المفترض أن هوميروس قام بتأليف الإلياذة عندما كان شاباً، بينما ألف الأوديسة في سن الشيخوخة، ويؤكد معظم العلماء أن الملحمتين تم تأليفهما شفهياً، لكن فيما بعد قد خضعتا لكثير من التعديلات والتحسينات من قبل فرق لاحقة، وبالتالي أدت إلى وجود الاختلافات بينهما، ونُسبت أعمال أخرى إلى هوميروس على مرّ القرون». لمزيد من التفصيل راجع:
- من هو هوميروس؟ - Homer- موقع «أراجيك» على الرابط:
https://www.arageek.com/bio/homer-the-author

8 - تُعرف باسم «تراتيل هوميروس» أيضاً.

9 - جيمس آي بورتر، هوميروس اللغز، مرجع سابق، ص 16 بتصرف.

10 - تذكر بعض المصادر أنه فقد البصر في فترة الشباب.

11 - الشاعر الإغريقي هوميروس، مواضيع الشرق الأقصى، 27 سبتمبر 2023م.. على الرابط: https://maawadi3.com

12 - جيمس آي بورتر، هوميروس اللغز، مرجع سابق، ص 263 بتصرف.

آليات السرد الحداثية في القصة القصيرة الإماراتية
«نهار الظباء» نموذجاً

صديق جوهر

نصوص «نهار الظباء» في ميزان الحداثة الغربية:

لقد استطاعت الكاتبة الإماراتية فاطمة حمد المزروعي توطين الآليات السردية الحداثية لخدمة أهداف القصة القصيرة الإماراتية. لاريب أن القصص الجميلة والنصوص الأدبية الإبداعية تتألف من العبارات والجمل ذات المستويات الدلالية المختلفة التي تثير فضول القارئ وتتغلغل إلى شغاف القلوب ومكامن اللاشعور الفردي والجمعي. وليس أشق من البُعد عن المسايرة والاستسهال ولا أيسر من الارتماء في أحضان العبارات المسكوكة والجمل سابقة التجهيز وعلى الكاتب التمرن الدائب على كتابة الجمل الحقيقية، والعبارات الصادقة البسيطة التي وإن قلّتْ دلّتْ وإن أخبرتْ رمزت وإن كثفتْ شفّتْ وكلما ضاقت اتسعت الرؤية كقول النفري.

هكذا يبدو الأمر دائماً وأبداً عندما يتعلق بالكتابة والإبداع الأدبيين، محاولة إنسانية نبيلة جسورة للتشبث بما هو حقيقي واختباراً معنوياً لقدرة الإنسان في القبض على جمر المعنى الصحيح والقيم الحقة لئلا تطالها أقدام القبح الحديدية فتسحقها حجباً لوجه الحقيقة وصوتها، وطمساً لمعالم الباطل، وتزييناً لسلطاته، وتأبيداً لمواريثه. ومن أجل الولوج إلى مكامن الحقيقة والجمال في نصوص مجموعة «نهار الظباء» يمكن القول دون مصادرة على المطلوب إن الكاتبة كانت ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً لو اعتمدت القوالب الأدبية المستهلكة ولكنها وفية لهذا النهج الوعر فهي تكتب عما تعرفه محاولة جهدها ألا تتكلف وألا تزخرف وألا تلتوي وألا تباشر وتدعو، مباشرة المؤَدلَجين المؤدلِجين، ودعوة المتنبئين المعصومين، إنما هي قبل وبعد كل شيء باحثة عن الحقيقة مدققة لمعارفها وأفكارها مهمومة بتقصي الجمال في الحق والتماس الحق في الجمال دون تعسف وبغير تسلط مكتفية في ذلك كله بسلطة القول الصحيح وسحر الجمل الحقيقية، سحر القص وفتنة الحكي.

وبغض النظر عن النظريات الحداثية التي تتعامل مع آليات السرد القصصي فإن التمهيدَ لقراءة (نهار الظباء) هي قراءة بالضرورة تجتزئ مالا يتجزأ وتشير إلى أشياء وتغفل أشياء أخرى. وفي الواقع فإن الكتابة والقراءة نشاطان إنسانيان تاريخيان قصديان يمارسان في فضاء اجتماعي بعينه ويرميان بالطبع لتحقيق مقاصد بعينها ضمن حركة المجتمع الدائبة وصيرورته التي لا تكل. يعتقد بعض النقاد أن «الكتابة» معطى ناجز في العالم الفعلي ينتج الموضوع المادي، كما يرون «القراءة» باعتبارها فعلاً مستقبلياً يمارسه قارئ معين ينتج الموضوع الجمالي وبهذا المعنى أدت الكتابة باعتبارها ممارسة اجتماعية إلى ظهور الكتاب، وفي المقابل أدت القراءة باعتبارها خبرة ذاتية إلى إنتاج النص. وهكذا يمكننا في النهاية أن نطابق بين الكتاب والموضوع المادي من جهة والنص والموضوع الجمالي من جهة أخرى (العجمي 2014: ص 26)[1]

وإذا كانت القراءة بهذا المفهوم فإن خبرات الذوات القارئة تلعب دوراً مهماً في إنتاج الموضوع الجمالي وإعادة إنتاج النصوص وإنشاء الدلالات واستخلاص الموضوعات الجمالية.

إن قراءتنا لمجموعة «نهار الظباء» من منظور نظريات الحداثة الغربية هي تطبيق لهذا المفهوم دون سواه لأننا «في تحديدنا للنص» كما يقول الناقد الفرنسي الحداثي، رولان بارت: «لا يمكن إلا أن نبقى داخل اللغة. فالنص ليس شيئاً غير اللغة ويمكن أن يوجد من خلال لغة مختلفة عنه فقط. بكلمات أخرى، يمكن أن يُحَس بالنص في عمل محدد، في نتاج ملموس، أي دلالة [2]. وعلى الصعيد ذاته يذهب الناقد تزفتان تودوروف في كتابه «مقولات السرد الأدبي» إلى القول: «للعمل الأدبي في مستواه الأعم مظهران، فهو قصة وخطاب في الوقت نفسه، بمعنى أنه يثير في الذهن واقعاً ما وأحداثاً تكون قد وقعت، وشخصيات روائية تختلط من هذه الوجهة بشخصيات الحياة الفعلية،

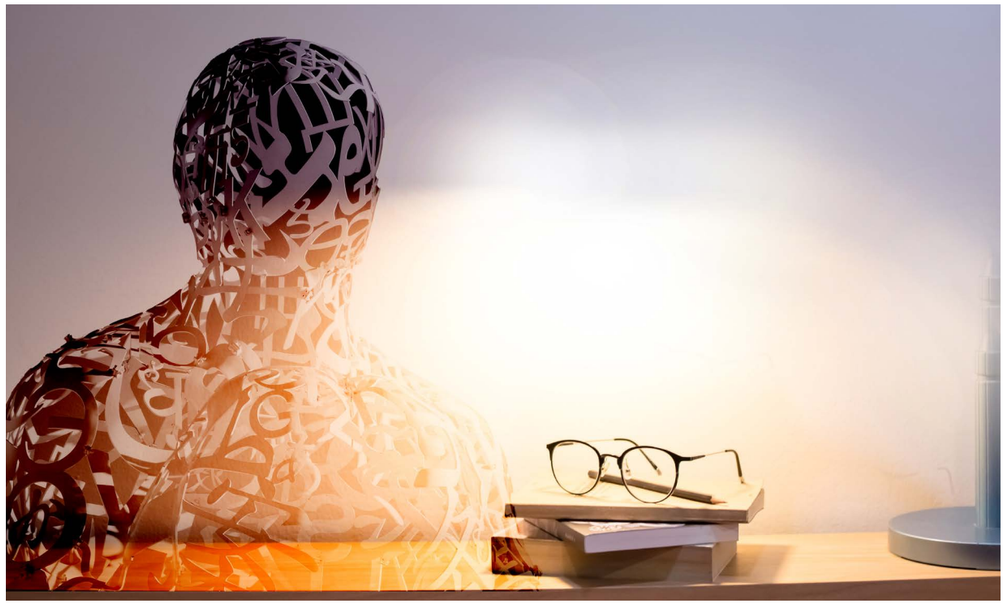

وكان بالإمكان نقل تلك القصة بوسائل أخرى، فتنقل بواسطة شريط سينمائي مثلاً وكان بالإمكان التعرف عليها كمحكي شفوي لشاهد ما دون أن تتجسد في كتاب، غير أن العمل الأدبي خطاب في الوقت نفسه، هناك سارد يحكي القصة، أمامه قارئ يدركها، وعلى هذا المستوى ليست الأحداث التي يتم نقلها هي التي تهم، وإنما الكيفية التي أطلعنا بها السارد على تلك الأحداث»[3].

ورغم إيمان كاتب هذه السطور بهذا المنهج فإن ثمة حاجة للتذكير بأن الكتابة التي تعطي الموضوع المادي هي شرط اجتماعي وتاريخي معقد لا بد من التوقف عنده فلولاها ما أمكن للنص أن يوجد أصلاً ولا للدلالة نتاج القراءة أن تتولد، فالكتابة هي جغرافيا النصوص والقراءة تاريخها من حيث هي، أي القراءة، استطلاع وتمعن في التضاريس والسطوح والطقس والذخائر وإلمام بالتكوينات. باختصار تحويل المكنونات المادية (اللغة المكتوبة) إلى تجارب يعيشها قراء معينون في فضاءات زمنية مختلفة وسياقات اجتماعية وثقافية متعددة فتعيد دون توقف إنتاج الدلالات ومن هنا فلا بد من التوقف قليلاً عند جغرافيا نصوص «نهار الظباء» ومحدداتها الاجتماعية والتاريخية خاصة عناوين القصص الواردة في المجموعة.

رمزية العناوين في قصص «نهار الظباء»:

يهتم الحداثيون بتوظيف الرموز لخدمة أغراض أدبية محددة وتفسح عناوين القصص والروايات والقصائد مجالاً للاستفادة من هذه التقنية الفنية. لا ريب أن عناوين القصص تعد بمنزلة آليات قصدية دلالية تشي بنية المؤلف/المؤلفة في تحديد الذاتية الجمالية لهذه القصة أو تلك من حيث ارتباطها بالتوسيع النصي الذي يتمثل في كامل المتن القصصي كحكاية وكخطاب أي كوقائع وكائنات تتحول بفعل عقيدة القاص الثقافية إلى كينونة واقعية متخيلة في آن معاً، وكلتاهما الحكاية والخطاب يدعوان القارئ ويستثيران مخيلته لمباشرة فعل البحث والتأويل بدءاً من العنوان وانتهاءً بكامل المتن القصصي. وبالتوقف عند عناوين قصص المجموعة موضوع الدراسة، في ضوء الاعتبارات المنهجية سالفة الذكر، تبدو لنا تلك العناوين قصدية ترسم خارطة طريق دلالية أمام القارئ المتمعن المثابر. ولنبدأ بعنوان المجموعة القصصية «نهار الظباء» الذي يُكَوّن وحده نصاً محاذياً وعنواناً عاماً مفارقاً لا يرتبط مباشرة بأي من قصص المجموعة عدا تقاطعه مع عنوان قصة «الغزالة والتمساح».

وإن كان يمثل بالتأويل القرائي المفتوح زمن اليقظة والتنبه، زمن

التحقيق والتحقق، زمن القلق الحياتي الوجودي والتساؤلات المصيرية لنساء وفتيات المجموعة اللواتي تلخصهن المؤلفة في مجاز «الظباء» بظلاله الحرفية الحروفية المرسومةِ كتابةً وإيحاءاته الرمزية سرداً حكائياً وخطابياً ما يحيل العنوان الرئيسي للمجموعة إلى نص عضوي برغم استقلاله الظاهر كنصٍ محاذٍ.

وفي هذه الإطلالة النقدية لا بد من التوقف عند ظواهر عامة انتظم السرد المزروعي في جملة القصص وأول هذه الظواهر وسوم العناوين كآليات حداثية للبحث عن القصدية مع تطرقنا إلى وظيفية تلك الوسوم التي كانت تؤكدها رسوم العناوين وعلاماتها وآثارها على مستويي القص متناً حكائياً وتكويناً سردياً حال اكتمال فعل القراءة واستيلاد الدلالة بالتأويل القرائي واستنباط الموضوع الجمالي كلٌّ حسب كفايته القرائية، في تعددية قراءة مفتوحة لا تنفد. ونرى أن فاطمة المزروعي قد وُفقت إلى حدٍّ بعيد في وسم ورسم عناوين قصصها بحيث باتت تلك العناوين آليات بحث معرفي وجمالي وأخلاقي يستهدي بها القراء وسط زحام المعاني وركام المعارف وتضارب القيم في عالمنا المعاصر البالغ التعقد المطموس الملامح الملغز المفاهيم. ويمكن القول إجمالاً إن تلك العناوين وسوماً ورسوماً تشكّل حلقات مترابطة في سلسلة متوالية من الكنايات والمجازات تختزل الواقع الخارجي الموضوعي والعالم الذاتي الداخلي وتومئ للعلاقة الجدلية بينهما حيث يطرح العنوان الجامع «نهار الظباء» وسماً مفتوحاً على العناوين الفرعية الجزئية كلها نرى فيه وعلى ضوئه وحدة الشبه الإنساني إزاء ضلالات الفصل والتمييز وقيمة الفن الأصيل إزاء سلعية وتجميد الواقع وتغلغل الشروخ بأنواعها في حياتنا المعاصرة واستيلاء الأصوات الغليظة الخشنة الموروثة على حناجرنا ورؤانا في وأدٍ لكل حلم بالحب والحياة الحقّة وخفوت صوت المعرفة العلمية لحساب نعيق وزعيق الخرافة والخزعبلات وسيطرة الديوك والتماسيح، من الرجال أزواجاً غلاظاً كانوا أم رؤساء عمل فاسدين، على مقاليد حياتنا وتواري البسطاء في جيتوهات العيش على الحافة ومعازل النبذ والتقزيم، وكوابيس النسوة في واقع الزوجية المفروضة القميئة وأحلام الخلاص المشروعة ■

أكاديمي وناقد - خبير الترجمة في الأرشيف والمكتبة الوطنية-أبوظبي

المصادر والمراجع:

1. مرسل فالح العجمي، الواقع والتخييل، نوافذ المعرفة، العدد السادس، نوفمبر (2014).

2. ورد الاقتباس في دراسة مرسل فالح العجمي، الواقع والتخييل، نوافذ المعرفة، العدد السادس، نوفمبر (2014)، عالم المعرفة ص 27.

3 - انظر تزفتان تودوروف «مقولات السرد الأدبي»، ترجمة الحسين سحبان وفؤاد صفا، منشورات اتحاد كتاب المغرب. 1992.

هل الكتابة تفسد الشعر؟!

قاسم خلف الرويس

باحث ومؤرخ سعودي

ذكر علي الفيّاض في كتابه (من أفواه الرواة) أن جبر الكواري كان جالساً مع الشاعر محمد الفيحاني في مجلس مع مجموعة من الأصدقاء المقربين وكانت في يد الكواري أوراق يقرأ منها على الأصدقاء بعض قصائد الفيحاني الذي كان مشغولاً في ناحية من المجلس وقرأ الكواري:

أنـــوح مـــن الجـــوى وأقـــول فرقـــاً

كـــــما ناحـــت من العـــلاّت ورقـــا

انط بمرقبـــك يـــا الغـــي وأرقـــا

من الحـــرّات فـــي روس المـــبادي

وكان قد قرأ كلمة (الجوى) خطأً (الجو)، فانزعج الفيحاني وقال للكواري: أعطني الأوراق التي في يدك وصاح بأصدقائه تعالوا انظروا ماذا فعل بقصيدتي؟! لقد كسر البيت أنا أقول "أنوح من الجوى" وهو يقول "أنوح من الجو!، ثم التفت إلى الكواري وصاح به: "أتريد بعد أن أموت أن يقول الناس إن ابن عبد الوهاب ليس بشاعر"!!

ومن خلال هذه القصة يتبيّن إشكالية كتابة الشعر النبطي، فإن كثيراً من المخطوطات والمطبوعات التي عُنيت بتدوين الشعر النبطي مملوءة بالأخطاء العديدة، سواء كانت إملائية أم تصحيفية أم غير ذلك من الأغلاط في رسم الحروف والكلمات أدّت في مجملها إلى تشويه النص الأصلي ووصوله إلى القارئ بصورة مشوهة، سواء كان هذا التشويه من ناحية الوزن أم من ناحية اللفظ أم من ناحية المعنى، وبصفة عامة نلاحظ أن عامّة الناس لا يستطيعون قراءة النصوص الشعرية قراءة صحيحة إلا إذا كان لدى أحدهم ملكة شعرية يستطيع بها تلمّس طريقه في غابة الحروف المتراصة أو يكون لديه مراس ودربة على قراءة هذه الأشعار أو خبرة في اللهجات العامية، ولذا فإنه ليس غريباً أن تجد كثيراً من حملة المؤهلات العالية لا يستطيعون قراءة قصيدة نبطية واحدة بصورة صحيحة في حين يقرؤها بكل بساطة (أحد خريجي محو الأمية)!! فالآداب الشعبية عموماً والشعر النبطي خصوصاً تعتمد في الأصل على المشافهة والتلقّي كوسيلة رئيسية للتداول والرواية، فأي وسائل أخرى بعيدة عن المشافهة ستكون قاصرة على استيعابه بصورة كاملة، فإشكالية قراءة النص الشعري هي الخطوة التالية لإشكالية الكتابة، ويشير روكس العزيزي إلى أن الشعراء يبخلون بقصائدهم أشد البخل اعتقاداً منهم أن تسجيل الأشعار البدوية يفسدها!!.

وعلى الرغم من أن أغلب شعراء اليوم متعلمون ويكتبون قصائدهم بأنفسهم فإنك حين تتأمل هذه الكتابة تجدها بعيدة كل البُعد عن احتواء القصيدة صوتياً ومعنوياً وإملائياً، بل إنها قد تسبب خلط المعاني وتشويه الصور وكسر الوزن والإساءة للغة الكتابة!! ومع أن كتابة الآداب العامّية عموماً والشعر النبطي خصوصاً مسألة شائكة تطرّق إليها عدد من الدارسين أبرزهم: سعد الصويان والدكتور غسان الحسن، فليس من السهل وضع حلول جذرية على الصورة الفصيحة للكلمة!! لأنها السبيل الوحيد لمعرفة معاني الكلمات واشتقاقاتها، وكذلك التدقيق في النصوص وتصحيح الأخطاء الإملائية والطباعية وضبطها وتشكيلها بدقة لإبراز السمات الصوتية مثل السكون والتشديد والتنوين.

ولذا فإني أرفع لواء المطالبة للقائمين على صفحات الشعر والأدب الشعبي في الجرائد والمجلات الخليجية بشكل عام بتوحيد طريقة كتابة القصيدة النبطية على صدر صفحاتهم كخطوة أولى لتقنين هذه الكتابة!! ■

النحات السوري سيدو رشو

عندما يضيع صوت الإنسان لتراهُ ينطق في الحجر

نوزاد جعدان

يعجن النحّات الصوت بالطين لتمتزج الأضداد وليحدث رنين للمادة، فتتحول من كتلة صلبة إلى كتلة برزخية يخرجها من الواقع إلى اللا واقع، في حالة اعتزاز متواصل تعطي الحياة لكتلة التمثال، وتدخلها مجال التأويل اللامتناهي في ظل عالم تجتاحه المادية أضاع فيها الإنسان صوته الداخلي الحقيقي الذي يحتاجه، ولأن الفنان حين يموت يعيد صياغة الحياة وفق قاموسه ومفرداته التي تبقى ما دام عمله الفني يسمو بالفكرة إلى حيث لا تدركها الأبصار، نستذكر الفنان التشكيلي النحّات السوري محمد سيدو رشو ذلك الشاب الأسمر المولود عام 1960، والذي كان طالباً استثنائياً بين الطلبة في محترفات قسم النحت بكلية الفنون الجميلة في جامعة دمشق خلال تأهيله الأكاديمي. حيث جمع بعمق، بين الموهبة الفنية الحقيقية، والثقافة الفكرية والتقانية، وانكب باجتهاد كبير على الإنتاج والعرض، فور مغادرته هذه المحترفات.

في نيسان من عام 1993، وفي صالة السيد للفنون التشكيليّة في دمشق، قدم الفنان رشو باكورة معارضه الشخصية، من ضمنها ست وثلاثون منحوتة منفذة من البرونز والبوليستر والخزف، بينها ثماني عشرة لوحة نحت نافر، مزج فيها ببراعة بين القيم التعبيرية والتشكيلية للنحت البارز والتصوير، وبين الإنسان ومفردات النسيج المعماري للبيت السوري، كالنوافذ والشبابيك، صاغها بأسلوب جديد، فيه الكثير من طرافة الفكرة، وجمال المعالجة، والخروج عن السائد والمألوف. أما الأعمال المجسمة، فعالجها بصياغة ما فيها بين خصائص ومقومات فنّي النحت والخزف، لناحية التأكيد على الكتلة الرشيقة المتآلفة والمنسجمة مع فراغها المحيط بها، وسطوحها الواسعة المضاءة والملفوفة، الخالية من الثرثرة

الشكلية، الأمر الذي منح هذه الأعمال حساً تعبيرياً هادئاً، مشوباً بنزعة تزيينية لطيفة. وما إن تخرّج رشو من كلية الفنون الجميلة في دمشق قسم النحت حتى استطاع في فترة وجيزة أن يصبح اسماً مهماً في فن النحت ليس في حلب فحسب، وإنما على امتداد الساحة الفنية السورية. لاسيما عبر تمتعه بقدرات فنية مميزة، لذلك كان يقضي كل وقته في إنجاز أعماله الفنية.

كان مشروع رشو الجمالي كبيراً ولا شيء يشغله أكثر من هذا المشروع لضرورة الانشغال بمعادلة المعطيات الإبداعية والمعطيات الوطنية، فبمرور عابر على أسماء أعماله «مم وزين»، و«الطبال وشفان»، و«الناي والدبكة»، و«المرأة وراقصة الباليه» وغيرها، نجد أنه جمع التراث والمعاصرة في منحوتاته مؤكداً أن التراث قابل لإعادة اكتشافه من خلال الفن المعاصر، بل هو في الأصل مادة من مواد الفن.

في منتصف التسعينيات من القرن الماضي، كان قد أنهى دراسته في كلية الفنون بدمشق وبدأ يعمل في مجال النحت الفني بحماس شديد. وأقام معرضاً للنحت في صالة الخانجي بحلب. لفتت مهاراته الفنية نظر الجميع، حيث استطاع تحويل المواد الخام الجامدة من وحل وبرونز وحجر إلى منحوتات تحمل سيرة الملاحم. منها: ملحمة «سيامند وخجي»، و«الأيل الغادر»، و«أنين الجبل»، و«عازف الناي».

الأثر الفني

يختلف سيدو رشو بإنتاج نحت يحمل صفات خاصة؛ منها استخدام الموضوع البسيط من الحياة اليومية والتكوين

الجميل الاستعمالي في المكان كجزء من الديكور.. كما أضاف اللون إلى منحوتاته في وقت مبكر قبل زملائه.. علاوة على استخدامه رموزاً تراثية برعت في تشكيلاته النحتية البديعة، كما تعكس منحوتاته امتلاكه اللغة النحتية المتفردة التي تنوس بين التجريد المستند إلى ملامح بشرية من جهة والتعبير التشخيصي الذي تكتنفه معالجة تجريدية، معتمداً على ثقافة بصرية متنوعة تجمع القديم الى الحديث، وتستفيد من إنجازات كل المراحل التاريخية لهذا الفن، كما أفاد من الثقافة الفنية في حقبة الثمانينيات وهذا ما جعله يزاوج بين التشكيل المعاصر، والمضمون الإنساني المتطلع إلى تحرير الإنسان، ونهوضه القوي نحو الحياة المتجددة، ما أسفر عن إنتاجه مجموعة مبدعة من الأعمال النحتية، التي تسعى إلى صياغة الجسد الإنساني المشرئب برؤية حديثة وعبر حلول تشكيلية تقترب من التجريد في تكوينها العام من غير أن تستغني عن الملامح الإنسانية، التي حورتها يد الفنان لتنسجم مع نوازع التحديث ومعالجة المادة بأسلوب يكشف عن طاقاته التعبيرية وخصائصها المتنوعة.

المعاناة لديه عالية الحساسية لاسيما عندما تبدأ الفكرة

التعبيرية تغلي في كيانه لتجد الواقعية المغلفة بخيال انفعالي شديد القوة تجذب أعماله بحيث تأخذ هذه الفكرة تخطيطات ومدونات ومحاولة لتركيب تصميم مجسم يتفق وتفكيره، وعندما ينشئه ويبنيه من المحتمل تفكيكه مرة أخرى وإعادة بنائه إلى أن يقتنع بالتكوين الذي يرضي نظرته التي هي نظرة المشاهد الذي هو كان كفنان يضع نفسه مكانه ليحدد نقاط الالتقاء ما بين الفنان الذي قدم العمل والمتلقي في هذا العمل..

أفصح سيدو عن جملة من الأفكار والهواجس التي كانت تسكنه منها: اعتقاده أن المتحف الحقيقي هو الشارع وليس ذاك الذي يضم الآثار الدارسة، ذلك لأن الشارع زاخر بالموضوعات والمحرضات الفنية والإنسانية، التي يمكن أن تشكّل مضامين ممتازة للعمل الفني. أما بالنسبة إلى تقانات وخامات ومواد فن النحت، فقد كان يتبنّى وجهة نظر النحات الفرنسي (رودان) القائلة إن النحت يُولد من الصلصال، ويموت في الجبس، وينبعث من جديد في البرونز، وهو شخصياً وجد نفسه في مادة البرونز أكثر من غيرها. أما شغفه بالنحت النافر، وغلبته على أعماله، فمرده زياراته المتكررة إلى محترفات زملائه في قسم التصوير بكلية الفنون، أثناء قيامهم بإنجاز مشاريع تخرجهم. لقد شده هذا الفن إليه، ودفعه لمحاولة ترجمته إلى عملٍ نحتي مسطح، وجد فيه محطات استراحة، كان يلجأ إليها، كلما أضناه العمل في المنحوتات الكاملة التجسيم، وأتعبته ولاداتها العسيرة، متلمساً خصوصيته في تطويع المادة الصلبة كالبرونز والنحاس رغم التطور في الأسلوب التعبيري

فإننا نتلمس خصوصيته حتى في بعض إيماءاته القريبة من السريالية.. وكأن الواقعية تطارده حتى في غربته كي يحيل ذاكرته إلى حضور ستاتيتي فني جميل لا بل منحته هذه الخصوصية تمييزاً لدى الأوساط الفنية الأوروبية.

في تمثاله «العازف» يبدو سيدو في موجة حنين عمياء للحظات طفولته البعيدة لقريته شران، لرفاق طفولته، وتلامذته الذين علّمهم معنى الألوان، استعمل الكثير من المواد وكان يبدو ساخراً من المشاريع الكبيرة، كان يختزن في داخله طاقة كبيرة لم تتفجر، لم يسمح لها أن تنفجر، يبدو تمثال العازف دون وجه، دون ملامح، كأنه عازف كل الأزمنة وليس زمناً محدداً.

وفي تمثاله رجل يجر مربعاً، تعبير حقيقي عن أزمة سيدو الوجودية التي لم ينتبه إليها أحد إلا بعد رحيله المبكر والسريع، فالفن بين يديه كائن حي ينبض بالحياة فإذا لم تطعمه وتسقيه بالفكر والعمل والممارسة المستمرة المصحوبة بالبحث عن المجهول والحقيقة التي لا تغيب عن الإنسان العادي إلا أنها لا تغيب عن الفنان الصادق المفكر. وفي رومانيا شارك في أكثر من نشاط ونجح فيها جميعاً، واستطاع أن يُسمع إيقاعاته الخاصة وأنغامه بتنويعاتها الغنائية الملحمية المرتكزة على ذاكرته الكردية إلى الآخر بهواجسه الحميمية ويلفت الأنظار والإعلام لتجربته المتميزة باندفاعاتها السكونية المذهلة،

وبانحيازها لتداعيات تأويلية تستغيث بتفاصيل شديدة الحضور، تلتف برؤيا تتناغم مع قدرتها الهائلة على الخلق.

ومن رومانيا إلى النمسا وتحديداً إلى فيينا محطته الثانية في الاغتراب وفيها أشعل أشكاله وهي تجتاز فضاءات جديدة لتحتدم بملامح غائمة تماماً، فثمة هدوء كان يحتضن حدود أعماله، وهنا لا بد من سيادة التجريب والبعد الثالث بإبهار شديد ضمن استخداماته لمشاهد تستقصي ذاته المبدعة.

ومن النمسا إلى بلجيكا خلق أسلوباً تعبيرياً لمعالجة الموضوعات المرتبطة بالقضايا الجوهرية التي لا تميل إلى الحيادية، حيث كان يدمج الواقعية النقدية بالتجريد والرمز وبأسلوب فردي تتفاعل فيه تأثيرات عدة في جغرافية الشرق وعلى غرار النحات السويسري "جياكوميتي" في التقنية والمعالجة، استخدم المواد المختلفة كالحديد والأسلاك والخشب والرخام والأصباغ في التعنيف.

هذه بعض السمات الفنية في منحوتات سيدو وعمله الإبداعي وهي تثبت خسارة فنان مبدع، كان يعِد بالكثير لولا قسوة الموت المبكر عام 2005 في العاصمة البلجيكية بروكسل إثر تعرضه لسكتة قلبية مفاجئة ■

شاعر وكاتب سوري

المصادر والمراجع:

• النحات سيدو رشو من التعبير إلى التجريد، إعداد وتقديم إبراهيم إبراهيم، Ûrzelk Hus For Kultur Og Kunst -Eu AFRÎN- København-Paris-Bon-Maastricht، 2024.

توظيف التراث الثقافي في الشعر الإماراتي المعاصر

(1980-2020م) للدكتورة موزة بن خادم المنصوري

هيثم يحيى الخواجة

من المفيد القول: إن الدراسات الجادة التي تهدف إلى توظيف التراث مهمة وضرورية لسببين: الأول حاجة الإمارات إلى الاستزادة من هذه الدراسات التي تظهر غنى التراث الإماراتي. والثاني هو أن مثل هذه الدراسات تنير على المضمون الجوهري في التراث الإماراتي، وقد آثرت الدكتور موزة بن خادم المنصوري[1] أن تلج محراب هذا الموضوع بثقة واعتداد، وبقناعة كبيرة تشير إلى أهمية التراث الثقافي في الشعر الإماراتي المعاصر.

تضمن الكتاب مقدمة وتمهيداً وثلاثة أبواب وخاتمة، وقد تمحورت المباحث الأولى حول مفهوم التراث، والتراث الثقافي وتوظيفه في الشعر العربي المعاصر والشعر الإماراتي. أما عن مضامين الأبواب فقد تحدثت المؤلفة في الباب الأول عن المصادر التراثية في الشعر الإماراتي المعاصر، وفي الباب الثاني توقفت عند توظيف العناصر التراثية في الشعر الإماراتي المعاصر، وفي الباب الأخير فصّلت في أثر توظيف التراث الثقافي في التشكيل الفني للقصيدة الإماراتية.

في المقدمة أشارت المؤلفة الدكتورة موزة المنصوري إلى الاهتمام بالتراث، وكيف حظي بقيمة عالية، وكيف كان الاهتمام بالتراث الشعري واضحاً، مؤكدة أنه لا يمكن أن نفصل الأدب عن الحياة والواقع، وأن هذه الدراسة تسعى للكشف عن توظيف التراث، وتبيان مستوى إثرائه للتجربة الشعرية الإماراتية، باعتباره يحمل وجهاً جمالياً فنياً مشحوناً بإشارات تاريخية. وأشارت إلى ما يتضمنه كل مبحث وباب وفصل، وإلى تحليل نصوص شعرية مسترشدة بقراءة فاحصة تغوص وراء المعاني العميقة، كما أفصحت عن منهج الدراسة، حيث زاوجت فيه بين الاستقراء والتحليل، مستفيدة من مجموعة دراسات ورسائل جامعية ومقالات وأبحاث، أما التمهيد فقد ركز على مفهوم مصطلح التراث ومفهومه:

(فالتراث هو ما تراكم خلال الأزمنة من تقاليد وعادات وتجارب وخبرات وفنون وعلوم شعب من الشعوب[2]).

هذا وقد تضاربت الآراء حول مفهوم التراث، كما أن التراث ليس حكراً على أمة أو جماعة، والتراث العربي هو تراث أمة واحدة، وهو ذاكرة جماعية.

إن في الحديث عن العلاقة بالتراث وجدت المؤلفة أنه لابد من أن يقوم على وعي الحياة الثقافية والحضارية والفكرية، وقد ركزت المؤلفة، في كتابها على التراث الثقافي أيضاً، أي الأدب والشعر والحكاية والأمثال والشخصيات التراثية والنصوص والأحداث التراثية والأهازيج الشعبية، مثل الأساطير ومعتقدات الخير والشر، والتفاؤل والتشاؤم، أي ما ينقل شفاهياً أو يُعبّر عنه حركياً كاللهجات والعادات والتقاليد والمعتقدات والطقوس والاحتفالات، وغير ذلك..

فالتراث الثقافي مصدر متنوع وخصب، ومعين دائم التدفق، وقد ظهر الفهم العميق لتوظيف التراث بعد الخمسينيات من القرن العشرين عبر المعارضات والصور واللغة الشعرية، وعبر إسهام الشاعر العربي المعاصر في تحديد القيم الإنسانية للتجربة الشعرية المعاصرة.

إن التراث مصدر إبداعي في الشعر العربي، وعلى الرغم من ذلك فإن الدوافع التي ألجأت الشاعر المعاصر إلى العودة إلى تراثه قد تنوعت. وفي مبحث النقد العربي المعاصر من توظيف التراث الثقافي ترى الدكتورة موزة أن الباحثين يؤمنون بضرورة العناية بالتراث وإثبات القيمة العلمية، كما أنهم أدركوا التفاعل الجدلي بين الماضي والحاضر، والتراث والواقع، ما دفعهم إلى الرجوع إلى التراث للاستفادة منه.

وعن دوافع توظيف التراث الثقافي في الشعر الإماراتي المعاصر

تشير المؤلفة إلى أن الشاعر الإماراتي المعاصر كان واحداً من الشعراء العرب الذين استلهموا هذا التراث وأفادوا منه من أجل تخصيب تجربتهم الشعرية، كما أوجد توظيف التراثي تفاعلاً بين النص التراثي والنص الشعري، ما أنتج حواراً بين الماضي والحاضر والحداثة.

هذا وقد لعبت عوامل عدة في تشجيع الشاعر الإماراتي المعاصر على توظيف التراثي الثقافي، من مثل العوامل الفكرية الثقافية والعوامل الفنية .

المصادر التراثية في الشعر الإماراتي المعاصر

لقد تأثر الشاعر الإماراتي المعاصر بتراثه فحقق ذاته وعبر عنها، وكانت مرجعيته المصدر الديني، والمصدر التاريخي، والمصدر الشعبي، وأكدت المؤلفة أن المصدر الديني شكّل حيزاً واسعاً في الشعر الإماراتي المعاصر، فغدا مصدراً معرفياً مؤثراً، ثم أوردت نصوصاً دينية:

(ومن توظيف نص من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ما نجده عند الشاعر الإماراتي د. شهاب غانم في قصيدته - أبواب - حيث يقول:

لو أني
لكن - لو - تفتح باب الشيطان
وأنا أستطيع بالاستغفار
أن أسأل ربي أن يفتح لي
أبواب الرحمة والغفران[3]).

أنماط توظيف العناصر التراثية في الشعر الإماراتي المعاصر

وشملت أنماط التوظيف للشخصيات التراثية، حيث اتجه

التوظيف كلياً للشخصية التي تغدو محور القصيدة، مثل ما فعل الشاعر حبيب الصايغ عندما جسد في قصيدة (مبروك العبار) عناصر السرد الحكائي فقال:

(من برّ دبي إلى ديرة
ناس يأتون وناس يمضون
ويواصل رحلته اليومية
ما بين دبي ديرة
رجلان مقيدتان إلى حبل
ويداه تشقان الدرب المائي
إلى الخير يسيرون إلى الستر
ومبروك العبد إلى القارب
مشدود بالحبل الفولاذي[4]

كما تطرقت المؤلفة إلى كنه ومضمون شخصية الإنسان إلى قصيدة الشخصية الأنموذج، وقصيدة الشخصية الغائبة، ومن أنماط التوظيف أيضاً التوظيف الجزئي للشخصية، القصير أو التعددي، ثم انتقلت الدكتورة موزة في الفصل الثاني من هذا الباب إلى توظيف النصوص التراثية من حيث الاستعارة والتضمين، وغير ذلك، سواء كان هذا التوظيف كلياً أم جزئياً وخصصت الفصل الثالث للأحداث التراثية، تقول في مجال توظيف الأحداث الشعبية:

(حيث يوظف الشاعر جانباً من الأحداث الشعبية الخاصة بدولة الإمارات العربية المتحدة، وإن كان ارتباطها بالحدث التاريخي قائماً، وقد يوظف الشعبي من خلال شخصية شعبية أو نص شعبي، أو من خلال الأغاني الشعبية والأهازيج والأغاني التي يتغنى بها في المناسبات المختلفة مثل سقوط المطر[5]).

أثر توظيف التراث الثقافي في التشكيل الفني للقصيدة المعاصرة

لقد تعددت أشكال وتوظيف التراث الثقافي في الشعر الإماراتي المعاصر، فمنها الاقتباس، ومنها التضمين، ومنها التناص، ومنها الاستدعاء، وتتوقف المؤلفة عند أثر توظيف التراث في اللغة الشعرية، وتوظيف المعجم التراثي، وتوظيف الرمز بأسلوب عكسي، كما تنير على أثر توظيف التراث في الصورة الفنية والصورة الدرامية والصورة السردية.

أما عن أثر توظيف التراث الثقافي في إيقاع القصيدة الإماراتية المعاصرة، فقد تنوع بتنوع الخطاب الشعري، خاصة في القصيدة العمودية:

(والشعر بناء داخلي، هو خاصية المبدع، تحكمه الموهبة، والقدرة الفنية والإبداعية، وسعة الرؤى، ورشاقة النص الشعري، وهي أمور تؤدي إلى اتساق العبارات وسلاستها، والتوازن بين التراكيب والأضداد، والتماثل في الإيقاعات اللفظية[6]). وقد ناقشت المؤلفة موضوع الإيقاع الخارجي والإيقاع الداخلي وختمت موضحة أنّها سعت إلى بناء صورة واضحة لظاهرة التراث الثقافي، وبرهان ذلك سعي الشاعر الإماراتي المعاصر إلى توظيف التراث بخصائصه ومعطياته وصوره كلها.

إن الشاعر الإماراتي كشف كنوز التراث ولفت الأنظار إلى ما فيه، كما أكدت أن مصادر التراث الثقافي المتنوعة تعد مورداً خصباً ومعيناً ثراً للعطاء والاستفادة.

وقد أوجد توظيف التراث الثقافي تفاعلاً بين النص التراثي والنص الشعري، فأفرز حواراً بينهما، كما أثمر توظيف التراث محاولات جديدة في القصيدة الإماراتية المعاصرة، مما أكد أهمية التراث الثقافي ومصادره وتوظيفه، وأنه لعب دوراً في التميز والتجديد والتغيير وظهور صور وأشكال جمالية ملفتة، إضافة إلى انفتاح اللغة على أساليب لغوية تجاوزت النمطية.

قصارى القول:

إن كتابة توظيف التراث الثقافي للشعر الإماراتي المعاصر يعد إضافة مهمة في مجاله، ورسالة جامعية مهمة، وبناء على ذلك فإنه من المفيد الإشادة باختيار الموضوع من جهة، والدعوة إلى المزيد من مثل هذه الرسائل التي تنير وتنوّر من جهة أخرى.

لقد حقق الكتاب أهدافه كلها ويكفي أنه ناقش موضوع توظيف التراث الثقافي في مسار القصيدة الإماراتية المعاصرة كضرورة فكرية وجمالية برؤية معمقة ووعي فياض في البحث الرصين والنقاش للوصول إلى الجوهري، كما يكفي أنه أنار على إسهام توظيف التراث في تشكيل النص الشعري المعاصر ■

كاتب وناقد من سوريا

المصادر والمراجع:

1. الدكتورة موزة بن خادم المنصوري، توظيف التراث الثقافي في الشعر الإماراتي المعاصر (1980-2020م)، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، 2023م.
2. المصدر السابق نفسه، ص 25.
3. المصدر السابق نفسه، ص 77.
4. المصدر السابق نفسه، ص 182.
5. المصدر السابق نفسه، ص 261.
6. المصدر السابق نفسه، ص 379.

عبد العزيز المسلّم

يحتفي بمدائن الريح وشوارعها في مدوّنته الرحلية

منّي بو نعامة

تعتبر كتب أدب الرحلة العربية من أمتع المؤلفات وأكثرها رواجاً على اختلاف ما تزخر به من قيمة أدبية وثقافية، وما تحتويه من موضوعات ومعلومات عن المكان والإنسان، وهي طريقة قديمة درج عليها العديد من الرحالة العرب الذين ارتادوا الآفاق، وخاضوا المجاهل، وجابوا العديد من الدول، جيئةً وذهاباً، وتعرفوا على ثقافتها ونحلة عيش أهلها.

وتُعدّ هذه الطريقة من أمتع الطرق وأجملها في استكشاف العالم والتعرّف على مكنونه وخباياه، يدوّن فيها الرحالة مشاهداتهم وانطباعاتهم عن المجتمعات التي زاروها وثقافتهم وتقاليدهم، ومن بين هؤلاء الرحالة السيرافي، والإدريسي، وابن جبير، وابن بطوطة، والحسن الوزان وغيرهم كثير. وفي الفترة الحديثة والمعاصرة ظهرت نماذج جديدة من أدب الرحلة العربية، ومؤلفات أثرت المكتبة العربية لعدد من الرحالة منهم: أحمد فارس الشدياق، ومحمد عبد الله الصفار، ومحمد الحجوري، ومحمد الطنطاوي، ومحمد رشيد رضا، وطه حسين، ومحمود تيمور وغيرهم كثير، ثم خبت نار هذه الكتابات قليلاً.

(1)
مدوّنة مسافر
الوقوف على العلامات بدل الكلمات

في عصرنا الراهن استعرت نار الرحلة، وتوهج أدبها، وحمل الكثير من الكتّاب على عاتقهم اعتمال الرحلة، والتطواف في مدن العالم وعوالمها الأكثر شساعة واتساعاً، والبحث عن الذات، وتدوين المغامرات والمفاجآت والمخاطر والمخاوف التي تنتاب الرحالة أثناء الرحلة بين دفتي كتاب ما يضفي على النص نكهة خاصة تكسيه طابعاً من التشويق المفعم بالذهول والاندهاش من المشاهدات والمواقف التي يمر بها الرحالة، وهذا ما يتجلى في كتابات البحاثة الدكتور عبد العزيز المسلّم وبخاصة في كتابيه: «مدوّنة مسافر.. تدوينات ومشاهدات»، و«مدائن الريح».

إن المحاولة في استكشاف الذات من خلال استكشاف المكان والآخر، والتعبير عما يدور في خلجات الذات من آلام وآمال وطموح يمتزج بطابع من التشويق في العرض والتصوير، يضفي على الرحلة قيمة خاصة؛ فالمشاهد التي يصورها الرحالة عن محطاته التي وقف بها، والصور التي يرسمها في مخيلة القارئ، والتي تحيله إلى الأماكن وطبيعة المجتمع الذي يزوره، واكتشاف المخبوء، والمجهول، والمنسي من العالم، تعتبر رصداً من الأهمية بمكان.

يتألف الكتاب الأول من قسمين، الأول عن المدن، وهي «مدن تهدأ على أعتابها الروح»، لما تنطوي عليه بين أرجائها، وأعماقها، من عبق وجمال أخاذ يسحر البصر ويمتع النظر، بينما يتحدث القسم الثاني عن الشوارع، وما تختزنه من روائح الماضي الجميل، فهي محطات وعلامات لا يمكن إغفالها بالنسبة إلى الرحالة الذي يطوف العالم ليستكشف فيه ومن خلاله ذاته وشغفه، ويبوح بما يخامر نفسه من مشاعر وأحاسيس[1].

(2)
مدائن الريح
استكشاف الذات والآخر

يقدّم المسلّم أنموذجاً رحْلياً آخر مهماً في كتابه «مدائن الريح» ارتاد فيه الآفاق وجاب المجاهل حباً في الاطلاع ورغبة في الاستكشاف، متأثراً في ذلك بمن خاضوا هذه التجارب قبله في الرحلة والكتابة من أمثال: ابن بطوطة، ونقولا زيادة، وسمير عطا الله، والليدي آن بلنت، وموثقاً أولى رحلاته داخل الإمارات وخارجها، ومشاهداته في تلك المدائن التي شغف بها حباً، فحدته إلى خوض غمار الترحال والتطواف في شوارعها وبين هضابها وتلالها، سارداً مغامراته وما تخلّلها من تشويق مفعم بالذهول والاندهاش من المشاهدات والمواقف التي مرّ بها، وتدوين كل شاردة وواردة طوال الرحلة، ووصف الشوارع والطرق والأماكن والمدن والمعالم التاريخية والصروح التراثية والمراكز الثقافية بلغة جميلة وأسلوب رشيق، كاشفاً ما تختزنه من عراقة وقدم.

هذه المحاولة في استكشاف الذات من خلال استكشاف المكان والآخر، والتعبير عما يدور في خلجات الذات من آلام وآمال وطموح يمتزج بطابع من التشويق في العرض والتصوير، هي ما يضفي على رحلات الكاتب قيمة خاصة؛ فالمشاهد التي يصورها عن محطاته التي وقف بها، والصور التي يرسمها في مخيلة القارئ، والتي تحيله إلى الأماكن وطبيعة هذا المجتمع، واكتشاف المخبوء، والمجهول، والمنسي من العالم، تعتبر رصداً من الأهمية بمكان، بل هي بمنزلة دليل سياحي وتاريخي وتراثي وثقافي شامل.

مدن الريح

إذا كانت المدن - كما يقولون - كالنساء، ترحب بالقادمين، وتغازل الغرباء، وتعانق أحاسيسهم الضائعة، وتلملم شتات غربتهم، وتجمع انبهارهم، وتعرف كيف يغرق المتعبون بحنينهم في الشتات، فإن مدائن الكاتب تلقاه بالترحاب والجمال الساحر الآسر؛ بهية ووارفة الظلال، ومدعاة إلى الارتماء في أحضانها الدافئة في هدأة الليل أو في وضح النهار يستهّل رحالتنا «مدائن الريح» بإهداء عميق الدلالة ينطوي على بوح شفيف بما يخالجه من أحاسيس ومشاعر تجاه مدنه الباسمة، فيسافر «إلى مدينة الحويلة في قطر، مدينة آل مسلّم، ومدائن ذهبت مع الريح»، مستظهراً بما وعاه من أبرز مؤلفات الرحلة التي أثّرت فيه وأثْرت تجربته وأغنتها، ودفعه إلى الكتابة عن الرحلة والمدن الساحرة، حيث يقول: «كل هذه المصنّفات وذكريات رحلاتي الأولى الداخلية والخارجية كانت نواة طيّبة لبعث همة تمكنني من كتابة بعض الكلمات والجمل التي تمثّل انطباعاتي ومشاهداتي التي كانت في أحيان كثيرة تقريرية وتسجيلية، فقد كنت أرى أن التحليل والنقد قد يكون شيئاً من الخيانة لشيء أحببته»[2].

يحتوي الكتاب على يوميات ومشاهدات الكاتب التي تحتفي بالمدن ومعالمها، وبالظواهر والوقائع التي استأثرت باهتمام رحالة أتيح له عبور المحيطات والتجوال في القارات والتطواف في المجاهل والمجابات ليعود من تجواله إلى مدينة القلب مكتشفاً أن الحب الأول لا ينسى أبداً، حيث نيطت عليه التمائم في أول أرض صافحها جسمه.

كانت مدينة خورفكان الواقعة على الساحل الشرقي لدولة الإمارات العربية المتحدة مهد رحلاته الأولى في مطلع السبعينيات من القرن المنصرم، ثم توالت بعدها رحلات عديدة في الكثير من الأقطار والأمصار والبلدان، العربية والغربية، في آسيا، وأفريقيا، وأوروبا، وأمريكا.

وتشمل الدول التي زارها رحالتنا وكتب عنها في هذا السِفْر: لبنان، وليبيا، وسلطنة عُمان، والأردن، وتايلند، والهند، ومصر، والمغرب، والبرتغال، وفرنسا، وأمريكا. والمدن: بيروت، وطرابلس الشرق، وطرابلس الغرب، وعمّان، وصور، وبانكوك، وبنغلور، وميسور، وبنديبور، وحيدر آباد، ودلهي، والقاهرة، وزنجبار، والدار البيضاء، والرباط، ومراكش، والصويرة، ولشبونة، وباريس، وأطلنطا.

يطغى على الكتابة حسّ الرحالة الشعري ووعيه التاريخي وميله الرحْلي، فيقدّم للقارئ معلومات تاريخية وجغرافية وثقافية وأدبية عن مكان زيارته وأبرز ما يتميّز به، وأحياناً ما قيل فيه من أشعار مما وعته ذاكرته وحوته تقاليده، كما هي الحال مع لبنان التي تغنى بها الشعراء قديماً وحديثاً، وألهمتهم - بما حباها الله من جمال - صوراً شعرية ولغة تصويرية للمكان في أبهى حلله وأجمل صوره.

يقول: «من أهم البلدان التي عرفها أهل الإمارات في تلك الأيام وباتت ذكراها تراثاً اليوم (الهند، ومصر، ولبنان)؛ فالهند كانوا يقصدونها للتجارة والتعليم والعلاج، ومصر كانت رمز العزة والانتماء للقومية العربية. أما لبنان فقد كان حديقة العشق ودوحة الغناء ومزار الأحلام»[3].

مدنٌ وأشعار

استحضر الكاتب الرحالة في تضاعيف رحلاته ما استقرّ في خَلَده مما جادت به قريحة شعراء الإمارات البارزين من أمثال الشيخ صقر بن سلطان القاسمي، وسلطان بن علي العويس، وراشد الخضر، وراشد بن طنّاف، وغيرهم، في وصفهم وتحنانهم إلى لبنان وربوعه الجميلة وجنانه الوارفة[4]، يقول الشيخ صقر بالفصحى:

هل ترجع الأيام يا فاتنتي
أحلام «لبنان» وذاك المكان
أيام مدَّت في رحاب الهوى
لنا ليالينا بساط الأمان

ويقول راشد الخضر باللهجة المحلية الإماراتية الشعبية:

شرتا الهوى وان هب ذنّان
ايذكر القلب امحبوبه
شروى نسايم يبل «لبنان»
يا للي هل الدنيا هذوبه[5]

وما قاله الوليد بن يزيد بن عبد الملك عن بيروت:

إذا شئت تصابرت
ولا أصبر إن شيتُ
ولا والله لا يصبر
في البريّة الحوت
ألا يا حبذا شخص
حمت لقياه بيروت[6]

واستحضر الرّحالة الشاعر والأديب في مديح المدن والتّغني بها ما تناهى إلى علمه عن شاعر الهند الكبير طاغور في رائعته المشهورة «غيتا ناغالي» التي يقول فيها:

إني في رواق المستمعين
بجوار الهاوية التي بلا قرار
حيث ترتفع موسيقى الأوتار التي بلا نغم

متحف الآثار الأردني

الجامعة اللبنانية

مدينة شالة - المغرب

سوف أحمل هناك قيثارة عمري
وسأضبط أوتارها على أنغام الأبد
وعندما يكتمل نشيج لحنها الأخير
سوف أضيع قيثارتي الخرساء عند أقدام السكون[7]

معالمُ وشواهد

توقف الكاتب الرحالة عبد العزيز المسلّم في أسفاره التي جاب فيها القفار والأمصار عند معالم تاريخية وشواهد أثرية، وصروح علمية وثقافية، ومشاهد متعدّدة من البلدان التي زارها؛ ففي لبنان: الجامعة اللبنانية، وجامعة القديس يوسف، والمتحف الوطني، ومتحف الجامعة الأمريكية، ومتحف سرسق، ومدينة غنجر الأثرية، وقلعة تبنين، ومغارة جعيتا، وقلعة سان جيل في طرابلس الشام[8]. وفي عمّان في المملكة الأردنية الهاشمية: متحف الآثار الأردني، وآثار جبل القلعة، والمدرج الروماني الكبير، ومتحف الحياة الشعبي، والقصور، والقصور الصحراوية[9]. ووصف في بانكوك في تايلند القصر الكبير، والمتحف الوطني، وحديقة الورود، ومزرعة التماسيح[10]، وفي مدينة بنغلول في الهند زار معبد الثور (بل)، وحديقة كويون، وحصن وقصر تيبو سلطان، ومنتزه لال باغ، وخزان سانكي، وبحيرة السور، وفيدهانا سودها، والمتحف الحكومي، ومتحف فشفسوارايا، وحديقة بنرقهاتا الوطنية، وديفارايانا دورقا[11]. وفي ميسور في الهند أيضاً تحدّث عن قصر لاليشا محل، ومتحف السكة الحديد[12]. وذكر أبرز المعالم التاريخية والأثرية والدينية المعروفة في حيدر آباد، وهي: قلعة غولكوندا، ومسجد مكة، والجامعة العثمانية، وقصر فلكنما، ومقابر القطب شاهين، وقلعة بيدار، وحديقة عثمان صغر، ومعبد راماما، وقبر ريموند، ومسجد ماجا، ومسجد شاهي كتب[13].

المتحف المصري للآثار

أما في جمهورية مصر العربية فقد استعاد لحظات تاريخية مهمة تحيل إلى الحضارات القديمة التي تعاقبت على تاريخ مصر وأسهمت في تشكيل هويتها وثقافتها عبر التاريخ، متوقفاً عند بعض المعالم وشواهد، وهي: جامع عمرو بن العاص، وجامع أحمد بن طولون، وجامع السلطان حسن، وجامعات: الأزهر، وحلوان، والقاهرة، والمتحف المصري للآثار، ومتحف الفن الإسلامي، والمتحف القبطي، ومتحف الحضارة المصرية[14]. وتحدّث عن أشهر المساجد والمعالم في زنجبار، وهي: مسجد مبلول، وبيت العجائب، وجزيرة السلاحف، ومتحف التاريخ الطبيعي، والمتحف الوطني، وسوق العطارين، وسوق النحاسين[15].

أما في المملكة المغربية فقد رصد الكاتب في رحلته، التي طاف فيها معظم مدن المملكة، بعض المراكز والمعالم والصروح، ومن بينها: مدينة شالة، وقصبة الوداية، وبرج حسان، ومسجد سوسة الكبير[16]، وساحة الفنا، وقصر الباهية، وضريح يوسف بن تاشفين، وجامع الكتيبة، ومنتزه المنارة[17].

وفي عاصمة النور (باريس) تحدّث الكاتب عن: معهد العالم

المدرج الروماني الكبير

متحف العلوم والصناعات - شيكاغو

العربي، وكنيسة نوتردام دي باري، ومتحف اللوفر، والسوربون، ومعهد باستير، والكوميدي فرانسيز، ومدرسة الفنون الجميلة، والأكاديمية الفرنسية[18].

أما خاتمة «مدائن الريح» التي جابها الكاتب، فقد كانت مدينة أطلنطا في أمريكا الشمالية مروراً بمدينة شيكاغو، وفي أطلنطا استعرض الرّحالة أبرز المعالم والمراكز والمتاحف الموجودة في المدينة، وهي: متحف العلوم والصناعات، والقبة السماوية، ومتحف الحرب الأهلية، والمنطقة التاريخية لمارتن لوثر كينج، وبيت مارجريت ميتشل، ومتحف الفنون، ومركز كارتر الرئاسي، ومتحف التاريخ الطبيعي، ومتحف العلوم، وحديقة الحيوان[19]. لقد وقف الكاتب الرحالة في رحلاته تلك على العلامات بدل الكلمات، وأطلق العنان لقلمه الأدبي الرصين، ورصد معالم المكان الذي يزوره وثقافته وتاريخه، وتمثُّل أهله للآخر ونظرتهم له، كما سرد أبرز المحطات والمواقف التي مرّ بها، والتي كانت تشعل في قلبه الحنين إلى الوطن والأهل والأبناء. رحلة أثمرت عملاً جميلاً في لغته لطيفاً في مضمونه، متميزاً في بابه ■

كاتب وباحث أكاديمي موريتاني

المصادر والمراجع:

1. عبد العزيز المسلّم، مدوّنة مسافر، دار كلمن للنشر والتوزيع، 2022.
2. عبد العزيز المسلّم، مدائن الريح، الشارقة، دائرة الثقافة والإعلام، الطبعة الأولى 2011، ص 8.
3. عبد العزيز المسلّم، مدائن الريح، مرجع سابق، ص 13.
4. المصدر السابق نفسه، ص 14، ص 15، ص 16.
5. المصدر السابق نفسه، ص 14.
6. المصدر السابق نفسه، ص 18.
7. المصدر السابق نفسه، ص 47.
8. المصدر السابق نفسه، ص 19، ص 20 ، ص 34.
9. المصدر السابق نفسه، ص 38.
10. المصدر السابق نفسه، ص 42.
11. المصدر السابق نفسه، ص 54 - ص 57.
12. المصدر السابق نفسه، ص ص 62 - 63.
13. المصدر السابق نفسه، ص 73 - ص 80.
14. المصدر السابق نفسه، ص 90 - ص 94.
15. المصدر السابق نفسه، ص ص 101- 102.
16. المصدر السابق نفسه، ص 112.
17. المصدر السابق نفسه، ص ص 118- 119.
18. المصدر السابق نفسه، ص 130 - ص 134.
19. المصدر السابق نفسه، ص 146 - ص 153.

منطقة مارتن لوثر كينغ التاريخية

الشاعر سلطان بن علي العويس (1925-2000)

مريم النقبي

ثلاثة وعشرون عاماً مرّت على وفاة الشاعر الإماراتي الكبير سلطان بن علي العويس - رحمه الله - تمرّ علينا ذكرى وفاته في الرابع من يناير من كل عام، ونستذكر مسيرة هذا الشاعر الأديب، الذي كان اسماً فارقاً ونجماً لامعاً من نجوم الشعر والأدب العربي. والشاعر سلطان العويس من شعراء دولة الإمارات العربية المتحدة، ولد في بلدة الحيرة في إمارة الشارقة عام 1925م.

وعُرفت أسرته بحبها للأدب والثقافة، وقد نشأ سلطان في بيت علم وأدب، ما أثّر في تكوينه وشخصيته فكتب الشعر وأبدع فيه وأصبح نجماً في سمائه. وللشاعر ديوان شعر مطبوع تناوله العديد من النقاد والدارسين وكتبوا عنه، وقد جُمعت هذه الدراسات في كتاب أصدره اتحاد كتّاب أدباء الإمارات بعنوان «سلطان العويس تاجر استهواه الشعر». كان شاعرنا - رحمه الله - مُقلّاً في شعره، رغم أنه بدأ بنظم الشعر وهو شاب في الثلاثينيات ونيف من عمره، ويعتبر في مقدمة الشعراء في دولة الإمارات العربية المتحدة، وحلقة الوصل بين جيلين، من الأدباء والشعراء، وفي طليعة شعراء الغزل في الخليج العربي. أوقف جزءاً من أمواله وخصص ريعها لجائزة ثقافية تحمل اسمه (جائزة العويس للإبداع) وله مساهمات عديدة في النواحي الإنسانية والخيرية والثقافية كافة على مستوى الوطن العربي. توفي - رحمه الله - في الرابع من يناير (كانون الثاني) من عام 2000م.

من قصائده الاتحاد:

الاتحادُ قَصيدةٌ وحُروفُها
أبْناؤها وقِوامُها الأمَراء
وأبو الجميعِ قِيادةً وريادةً
هُو «زايدٌ» تُجْلَى بِه الظَّلْماءُ
ماضٍ يُحقِّقُ في الحياةِ طُموحَنا
بالرِّفْقِ حتَّى عَمَّتِ النَّعْماءُ
نِعَمُ الحياةِ كَثيرةٌ لمكافحٍ
ما لَمْ تُغَيِّرْ نَفْسَهُ الأهْواءُ

وقفة:

صريعُ الهوَى بالمُقْلَتَينِ طَريحُ
وكأسُ المُنى للعاشِقينَ صَبُوحُ
يَقُولُ ليَ السُّمَّارُ كأسكَ فارْتَشِفْ
فَمَا الفَجْرُ إلاَّ ساعةً ويَلوحُ
فقُلتُ شَرِبْتُ الحُبَّ كأساً فَشَدَّني
إلَيهِ كما شَدَّ اللِّجام جمُوحُ ■

شاعرة وباحثة إماراتية

المطر لازمة الحياة

خالد صالح ملكاوي

يلازم الماء البشر في حيواتهم وحيوات الكائنات الحية المختلفة، إذ لا حياة من دونه، فالماء والحياة صنوان لا يفترقان. والمطر، الذي ينزله الرحمن من السماء عذباً فراتاً طهوراً ليُحيي به الأرض بعد موتها، هو محرك الخصوبة أينما حلّ، جالب الخير أينما هطل، تنتعش معه النفوس بالخضرة لتكون سيدة الفرح، تتماهى مع اخضرار الأرض وضحك الحقول، وتنجذب إلى أسراره العقول؛ فقد ظل، منذ فجر الإنسانية، مادة للتفكّر، يرتقي كنهها حد التقديس، فمِن مُزْن السماء وطين الأرض الندي ارتسم الوجود.

وفي المجتمع الإماراتي، يبقى المطر لازمة الحياة والخصب، ويمثل إرثاً ثقافياً له مكانة خاصة قديماً وحديثاً، وطالما مثّل جزءاً أصيلاً من الشعر النبطي، له حضوره القوي. ورغم قلة سقوطه، فقد حافظ على قيمته عنواناً نادراً للفرح، ورمزاً للعطاء المرتقب، وحلماً تتعلق بتحقيقه كثير من الآمال.

موسم فرح

يعتق حضور المطر دواخل الإماراتيين ويجلي نفوسهم؛ تهلّ البشائر، وتنفرج الأسارير مع سقوطه، وتعمّ البهجة، وتسود المجتمع حالة من التقارب والوئام، وتتزاحم التبريكات بخير السماء مناسبة فرح وسعادة. وتنهمر مع كل ذلك إبداعات الشعراء، كما هي عند خميس بن حمد السماحي، إذ يعكس صور البهجة بهطول المطر بعد ليلة من الترقب والاستبشار، فيقول:

البارحه لعْيون باتت سهيره
أترقّب أخبار البشاير ولعْلوم
علم الحيا اللّي لفا نستخيره
يعمّ الفرح في ساير الناس ويقوم
جادت على الدوله أمطارٍ غزيره
من وابل ينْهلّ من سحب لغْيوم
من «السلع» لين آخر حدود «الفجيره»
سيلٍ عمومي ما دعى حدّ مظلوم

عطيّة المعبود ما حد غيره
أسقى الرمل والسيح وجبال وحْزوم

ويصف السماحي في قصيدة أخرى فورة النفوس البهيجة وتبدّل الطبيعة، إذ تدبُّ الحياة والحيوية في البشر والشجر:

قلبي انشرح من شفت الأمطار
مُغدّر وغبّب تغبيب
عقب المطر بتْزين الأشجار
وحتى مراعي الدار بتْطيب
كان اعْشبت في كل مظهار
رُمول وسْيوح ومساحيب
بتْشوف كل الناس سنْيار
ع «اللّند» و«النيسان» و«الجيب»

والأمر نفسه لدى عبيد بن معضد النعيمي الذي يرسم تفاصيل نعمة الأمطار، إذ يقول:

هبت هبايب والليالي مدنّه
دن الرعد والبرق فيها ازديادي
عطية المعبود ماهب بْمنّه
هلّ المطر وانحى على كل وادي
شرب الوطا والسيح والحير كله
برّ وبحر وامّا تحوز البوادي
و«العين» و«الجيمي» سحايب نشنّه
وع «ابوظبي» دار الشيوخ الأمجادي
«المعترض» و«الياهلي» والمحله
«لمويجعي» هلّ امْطره واستيادي
ع سيح «زاخر» والمغاني خذنّه
«الساد» يروى و«اليحر» والبلادي
و«سيح بن عمّار» جنّه مجنّه
وآزم غديره مدهمٍ بالسوادي

ويستحضر سالم بن سعيد بن جمعة الدهماني إحدى لوحات المطر، فيقول:

خايلت برّاقٍ من الغرب شعّال
يسقي شمال ومغربي وصوب لْمغيب
وأسقى على «وادي الحلو» بين الجبال
عقب المحل غنّى حمام الرعابيب
ولا ينقطع يوده على السيح همّال
كلٍّ بها عقب السنين المصاعيب
مريت ع «الصجعه» بها الرق شغّال
بأمر الإله وعمْ كل المساحيب

أماني عزيزة

ولطول ما عاش هذا الحلم القديم الجديد، ولكثرة ما تنوّعت صور الحلم في مخيال الشعراء وأمانيهم بقدوم المطر، وغدا

القدوم هدية فريدة لديار الأحبة، وأمسى الشاعر لا يبارح القصيدة إلا إذا اختتمها بالتضرع إلى المولى كي يسوق المطر إلى ديار أحبَّته وديار كل من أعزَّ. فمن أمنيات محمد بن سلطان الدرمكي في هطول الأمطار على أراضي الوطن:

يـــا اللـــه عـــسى مـــزنٍ كنيـــفه
يـــوده غزيـــر يُعـــمْ الأوطـــان
لـــه مرعـــدٍ نسمـــع قصيفـــه
وبرقٍ ســـرى بـــه بـــات زفّـــان
هطّـــال مـــا يوقـــف ذريفـــه
وتْزيـــن بـــه بالعشـــب وديـــان
وتـــروى الجعايـــد لـــي منيفـــه
وتْـــسدّي بْعلقـــا وبركـــان
دار الزهـــر مربـــى الخشيفـــه
تروى مـــن البـــاري بصفطـــان
ومـــن «المنـــادر» لـــى «غريفـــه»
ومـــن «خوركلـــبا» إلى «ام الأشطان»
ومن «الخشـــوم» يْليـــن «سيـــفه»
ومن الحـــدود لْـــ «غافـــة دهـــان»
ويبطـــي على «الخزنـــه» ذريـــفه
ومن الحـــزوم تســـيل غـــدران

ويدعو السماحي بتضرع إلى الله أن يجود على البلاد بالمطر:

يـــا اللـــه يا عـــلّام الأحـــوال
يا مطّلـــع ع الخبـــث والطـــيب
انظر عـــبادك وارحـــم الـــحال
آمرتنـــا ندعـــوك وتْـــجيب
نرجـــو عفـــوك ومنّـــك انـــسال
يـــود المطـــر لـــي بـــات سكّـــيب
ياخـــذ اسبـــوع يبـــات همّـــال
يا ليـــن تخْضّـــر العراقيـــب
ع السيـــح والصحـــرا ولجْبـــال
وديانهـــا تصبـــح مداعـــيب

وكذلك الأمر مع محمد بن صقر بن جمعة:

أســـألك يـــا والـــي القـــدر
يـــا زايـــلٍ كـــل الضـــرر
طلبـــت لـــه طـــول الدهـــر
يسقـــي اوْطنـــه م المغنيـــات
يعلـــه علـــى الديـــرة نثـــر
ياخـــذ ثـــمانٍ فـــي عـــشر
يسجيـــه هملـــول المطـــر
ويبـــات يـــوده مـــا يـــبات

ولا يختلف عبد الله بن عامر الفلاسي عن زملائه:

يا دار «زايـــد» يعل يسقـــيك هجّـــاد

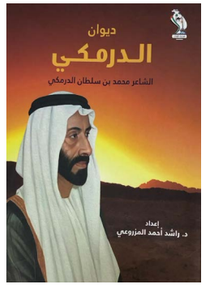

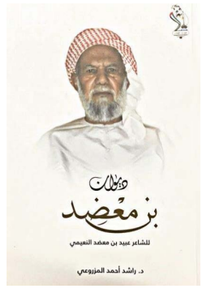

وبله حقـــوفٍ مـــن شوامـــخ ســـحابه
أربع ليـــال وهاطـــل الوســـم ينقـــاد
وحتى النقـــا يصبـــح عشيبٍ تُرابـــه
دارٍ إلى جاهـــا بعيـــدٍ م الأبْعَـــاد
يسلـــي بهـــا داره وغالـــي أصحابـــه

ويصف سعيد بن عتيج الهاملي الغيث الذي يأمل وصفاً رائعاً:

اللـــه يَسقـــي كِـــل عـــامٍ دارنـــا
مِن مِزنـــةٍ تِرعِـــدْ مِســـاءْ وِمْجيـــل
تِطرَبْ قِلـــوب المِحليـــن الصُوتْهـــا
وتْوَقّـــظْ إللّي في المَنـــام اذْهِيـــل
تِسمَـــعْ صَبيـــبْ الوَدِق بين امزونهـــا
لِها مِنْ مِياعيـــدْ الكِريـــمْ وِشِـــيل

فيما يفصّل جابر بن عبيد بن هَيَّاي المنصوري ما سيُنبته المطر المأمول:

وسمي مطرهـــا عشوبـــها يَظهـــرنْ زَرْقْ
تكسي الدمـــاثْ وعاليات الصفوقـــي
نَـــوَّع نباتـــه كافـــل العـــمر والرزقْ
كنّـــه بساطٍ في سداتـــه ارنوقـــي
عم الوطن مـــن غربـــها لآخرْ الـــشرقْ
وأشمل شِمـــال وفي جنوبـــه حقوقـــي

ولطالما شكَّل التمني بقدوم المطر هدية للمحبوب، فها هو خليفة بن محمد بن مترف يتمنى سقوط الأمطار على ديار محبوبته وعلى جميع مناطق الدولة، إذ يقول:

يعلـــه على دارٍ بهـــا الزين ساكـــن
يليـــن تبطـــي في المغانـــي غبايبـــه
يـــزوره المزيـــون ويطيـــب كيـــفه
يبهـــي ويبســـم عن ثمـــانٍ عذايبـــه
ويقـــول خلّونـــا بهـــذي الديـــره
لين العشـــب ينبت بسيـــح وكثايبـــه
ترعاه خلفـــاتٍ وفـــرقٍ نشـــاوي
عربٍ تريـــح القلـــب لو بـــه لهايبـــه
أصيـــل وديرةْ بـــو خليفـــه مقرّهـــن
متلّـــداتٍ مـــا خذوهـــن يلايْـــبه ■

باحث وإعلامي مقيم في الإمارات

المصادر والمراجع:

• ديوان ابن صقر، للشاعر محمد بن صقر بن جمعة الملقب «ابن صنقور»، جمع وتحقيق: راشد أحمد المزروعي، أبوظبي: بيت الشعر في «نادي تراث الإمارات»، الطبعة الأولى، 2012م.

• ديوان ابن معضد، للشاعر عبيد بن معضد النعيمي، جمع وتحقيق: راشد أحمد المزروعي، أبوظبي: «نادي تراث الإمارات»، 2008م.

•ديوان الدرمكي، للشاعر محمد بن سلطان الدرمكي، إعداد وتحقيق: راشد أحمد المزروعي، أبوظبي: مركز زايد للدراسات والبحوث في «نادي تراث الإمارات»، 2016م.

• ديوان الدهماني، للشاعر سالم بن سعيد بن جمعة الدهماني، إعداد وتحقيق: راشد أحمد المزروعي، أبوظبي: مركز زايد للدراسات والبحوث في «نادي تراث الإمارات»، 2007م.

• ديوان السماحي، للشاعر خميس بن حمد السماحي، إعداد وتحقيق: راشد أحمد المزروعي، أبوظبي: بيت الشعر في «نادي تراث الإمارات»، 2012م.

• ديوان الفلاسي، للشاعر عبد الله بن عامر الفلاسي، إعداد: راشد أحمد المزروعي، أبوظبي: مركز زايد للدراسات والبحوث في «نادي تراث الإمارات»، 2015م.

• ديوان النبع العميق، للشاعر خليفة بن محمد بن مترف الجابري، إعداد وإشراف: راشد أحمد المزروعي، أبوظبي: لجنة الشعر الشعبي في «نادي تراث الإمارات»، الطبعة الأولى، 2008م.

دبس التمر ذخيرة أهل الخليج

موزة سيف المطوع

رجفة تعتري الجسد فيبادر المرتجف إلى التزوّد بملاعق فردية من دبس التمر فهي كفيلة بملء الجسد دفئاً وقوة بعد أن حل موسم الصفري «الخريف»، ففي هذا الفصل يودع الناس حرارة الصيف الشديدة ويتهيؤون لاستقبال فصل الشتاء وما فيه من تقلبات جوية وأمراض مصاحبة لها كنزلات البرد والرشح والزكام وقد تكثر وتكون شديدة الوطء نتيجة نقص وضعف المناعة.

من منا لا يحب العصيدة الإماراتية، ومن ذا الذي لا يستمتع بتناول المِدَبَّسِ في فصل الشتاء، والبثيث تلك الوجبة التي لا تقل عن سابقاتها فائدةً وصحةً، والأرز المحمَّر بالدبس، وجباتٌ إماراتية وخليجية لها طعمها المميز الخاص، فهل علمت أنه قبل أن يتم اعتماد تجهيز بعضها من السكَّر كانت تحضر من دبس التمر، كيف لا؟! والسكر كان قليلاً ويتم استيراده، على نقيض دبس التمر الذي يتم تحضيره بخبرة وأيدي المزارعين، فهو صناعة محلية بامتياز، ومتوافر في أغلب شهور السنة، ولايزال محبوباً لدى أهل الإمارات والخليج مع التطور الذي يعيشونه، هو أحد الكنوز الطبيعية، الذي يتسابق المزارعون لإنتاجه وتصديره ليتعدى الحدود فأصبح معروفاً للقاصي والداني.

دأب المزارعون في المنطقة على إنتاجه منذ قرون طويلة دلَّ عليه غرف «مدابس» التمر التي تم اكتشافها وأعيد ترميمها، فقد اهتم المزارع بنخيله من زراعة وسقاية وتسميد، ليحل القيظ (شدة الصيف) وتثمر النخيل ما لذ وطاب لأنواع مختلفة

ومتنوعة من الرطب، ونتيجة لإنتاج النخيل أكثر من المحتاج، استهلك الناس حاجتهم من الرطب، وعمل المزارعون على توزيع الفائض منه، مثل: جش حبش واللولو والخنيزي على «الْمِسْطاحِ» ليجف تحت أشعة الشمس ليومين متتاليين بعد أن غُسلَ جيداً، ومن ثم ينقى مما يشوبه من تمر فاسد وأوساخ، تملأ اليراب المصنوعة من الخوص بالتمر ويحكم إغلاقها، وتصف بعضها فوق بعض في غرفة دون نوافذ كي تمنع تسلل الغبار والتراب إليها، من عاليها توضعُ حجارة كبيرة تضغط عليها، يغلق الباب لتبدأ حرارة الجو وثُقل الحجارة بالعمل خلال شهرين أو ثلاثة أشهر على إنتاج ألذ عصارة كثيفة سوداء تقطر لذاذة وحلاوة قد تتذوقها يوماً، ليسيل من خرم اليراب فيجري بقنوات وممرات قد أنشئت مسبقاً من الجص ليصل إلى نهاية القناة فينسكب في حفرة سفلية وضع فيها خَرْسْ «جرة من الفخار» ويحفظ فيها، ومن حين إلى آخر يغرف منه أو يوضع في محابر تسمى (الكوز)، يتزود منها أهل المنطقة طوال فصول الصفري والشتاء والربيع حتى يحل القيظ مجدداً مستبشراً ببشارة الرطب.

العمل على استخراج دبس التمر عمل جماعي بامتياز فأهل المنطقة يساعدون المزارع في مراحل إنتاج دبس التمر كلها، لما يتطلبه من مجهود ووقت، ما يسهم في توطيد علاقات الأفراد وترسيخ المحبة والتعاون بين بعضهم ، فتجد المزارع يتقاسم الإنتاج مع جميع من ساعده، ويوزع على الأهل والأصحاب والجيران، فالدبس لم يكن للبيع يوماً بل هو عطاء وهبة ومحبة للكل، فحلت البركة عليهم.

في وقتنا الحاضر ما زال دبس التمر يعتبر ذخيرة غذائية لا

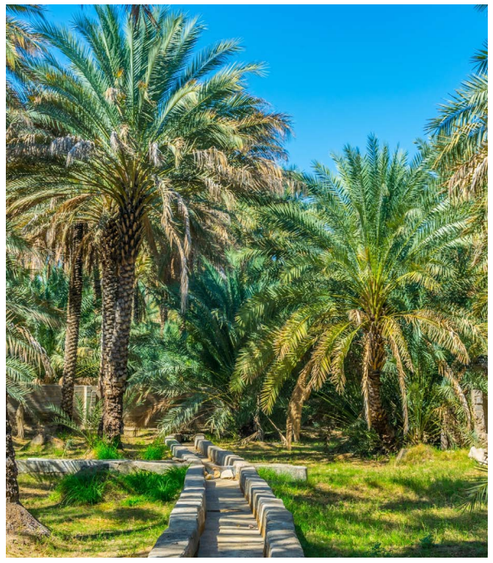

يُستغنى عنها في دول الخليج العربي خاصة وفي الدول العربية عامة، ويحتوي على مجموعة متنوعة من العناصر الغذائية والمعادن وهذا ما أثبتته الدراسات الحديثة، وما زال يعتبر سيد الموائد، فما ألذ الخبز حين يغمس به، ولا تحلو اللقيمات إلا معه، وأصبح تتبل به المشاوي، وغدا حشوة للفطائر، ويشرب مع الحليب لفقر الدم، ويوصف لمن يعانون من النحافة ليكتسبوا الوزن، وتناوله يزيد المناعة ويقوي العظام والشعر■

إعلامية من الإمارات

يا النميري أهلاً بيك شعب العين بيحييك

شيخه محمد الجابري

كنّا صغاراً حين لوّحنا بالأعلام وغنّينا بصوت واحد «يا النميري أهلاً بيك شعب العين بيحييك»، كان صباحاً محملاً بالفرح والسعادة، طالبات صغيرات ما زلن بعد في الصفوف الابتدائية في مدرسة أسماء بنت أبي بكر، التي يقع مبناها خلف مبنى «أمرتل»، التي أصبحت فيما بعد شركة «اتصالات»، كما يجاور المدرسة مبنى البريد المركزي الذي لا يزال قائماً في مكانه بعد أن تم تجديده، وفي مقابله شارع دوار الساعة وذاك البرج الذي تملأ دقّات ساعته أرجاء العين، وللأسف لم يعد موجوداً اليوم، حيث صمتت الساعة منذ سنين خلت.

لم نكن ونحن في ذاك العمر نعرف شيئاً عن التضامن العربي، أو الرئيس النميري أو السودان كبلد شقيق، غير أنّا كنّا في حالة فرح لا نعرف أسبابها ربما لأن بابا زايد - طيّب الله ثراه - كان معه وبصحبته يستقلان سيارة مكشوفة، كان «بابا زايد» يلوّح لنا بيديه الكريمتين «يعل ما تمسهُن النار»، وكذلك كان الرئيس السوداني - رحمه الله - يفعل.

الاستقبال للرئيس نميري والاحتفال به كان في منطقة زاخر في مدينة العين، لم تكن زاخر قد اكتملت بصورتها الحالية، حيث كانت الكثبان الرملية تحاصرها من كل جانب، وبدايات التعمير قد شقت الطرق وظهرت بعض المنازل الشعبية التي شيّدتها الحكومة وصرفتها مجاناً للمواطنين، كما أن هناك عيادة طبية ومدرسة وبعض المواقع الحكومية.

كان الرئيس السوداني الراحل جعفر محمد نميري، أول رئيس دولة يزور الإمارات في الثالث والعشرين من إبريل من عام 1972، أي بعد شهرين من زيارة الشيخ زايد للسودان وقد رافقه وفد رسمي كبير من الوزراء والمسؤولين، وتعد جمهورية السودان، آنذاك، من أُولى الدول التي أقامت معها دولة الإمارات العربية المتحدة علاقات دبلوماسية حيث يؤرخ لذلك في ديسمبر عام 1971، حين زارها الشيخ زايد - طّيب الله ثراه - لأول مرة في العشرين من فبراير عام 1972 أي بعد نحو شهرين ونصف الشهر من قيام الاتحاد، طاف خلال تلك الزيارة ولايات السودان كافة ونُظمت له استقبالات رسمية وشعبية حاشدة.

واحتفالاً بمناسبة زيارة النميري للإمارات صدر عدد خاص من صحيفة «الاتحاد» حمل عنواناً أو كما نقول صحفياً «مانشيتاً» على صفحته الأولى بعبارة «أنظار الأمة العربية ترقبُ اليوم اللقاء التاريخي بين النيل والخليج»، وتوسط العنوان الفرعي عنوان رئيسي «أهلا .. نُميري»، وفي اليوم الثاني للزيارة حملت الصفحة الأولى عناوين «استقبال رائع للنميري في العين»، وعناوين فرعية «الجماهير تزحفُ من ضواحي المدينة والمناطق المجاورة لتحية الرئيسين»، وعنوان فرعي ثالث «الرئيسان يحضران المهرجانات الشعبية الضخمة التي أقامها المواطنون ترحيباً بهما».

كنتُ ضمن مجموعة فريق الموسيقى الذي كان عليه أن يقود المجموعات الكثيرة من الطالبات للنشيد والتلويح بالعلمين الإماراتي والسوداني، نعيمه أختي أم أحمد الذي أصبح طبيباً الآن، كانت ضمن فريق المرشدات الذي كان عليه تأدية التحية العسكرية الطفولية ومن ثم إطلاق الصيحات الإرشادية التي كُتبت لنا جميعاً بعناية تامة.

أيامٌ مدرسية حلوة عشنا تفاصيلها بحبٍ وصدقٍ حقيقي، لم نحمل في قلوبنا سوى الفرح، كنّا نطير سعادةً عندما تأخذنا المدرسة لمثل هذه المحافل التي أذكر منها كذلك مشاركتنا في

جعفر النميري

استقبال الشيخ زايد بن سلطان - طيّب الله ثراه - عند افتتاح المعرض الزراعي السنوي في العين الذي كان يُقام في الساحة المفتوحة باتجاه مستشفى الجيمي والتي أصبحت منذ سنوات ضمن مبنى المديرية العامة لشرطة العين، وكذلك في مدرسة مالك بن أنس للبنين التي كانت ساحاتها تضج بالمشاركات الخضراء التي تشرح القلب كان ذلك في السبعينيات من القرن الماضي، أعتقد أن معرض المدرسة كان عام 1977.

في سبعينيات إلى تسعينيات القرن الماضي كانت المدارس جزءاً لا يتجزأ من النشاط المجتمعي، حيث كان الطلاب من بنين وبنات حاضرين في المناسبات والاستقبالات الرسمية، وكذلك الاحتفالات المدرسية، كما كان المعلمون على درجة كبيرة من التفاني والإيمان بأهمية النشاط المدرسي إلى جانب المنهج الدراسي، كل ذلك كان يشكّل عوامل رئيسية في تكوين شخصيات الطلاب، وتوسيع مداركهم، وتنشيط عقولهم، لذا كنّا حاضرين في النشاط العام بحب، وإدراك لأهمية ذلك، الأمر الذي ساعدنا بعد ذلك في تحقيق أمنياتنا وتطلعاتنا الطفولية التي أصبح بعضها واقعاً ملموساً في حياة الكثيرين منّا اليوم.

كثيرة هي الذكريات التي تملأ القلب والروح، ويضج بها الوقت والزمن، وتأخذنا معها نحو أيام حلوة عندما نستذكرها نستعيد الوجوه التي غابت، والأنظمة التي بادت، والفرحة التي سادت، كل ذلك كان كالأحلام، ماضٍ وطوتهُ الأيام، بقيت الصور النقيّة تلك التي لم تُحمّض في استوديوهات اصطناعية، ولم تمسّها أيادٍ خفيّة، بل كانت أجمل الأيام وأنقاها وأكثرها دفئاً وأريحيّة ■

شاعرة وإعلامية إماراتية

وضحى حمدان الغريبي:
أعمالي مستمدة من مقومات جمالية وفنية مستوحاة من التراث الإماراتي

هشام أزكيض

وضحى حمدان الغريبي فنانةٌ تشكيليةٌ إماراتية، حصلت على دكتوراه الفلسفة في التربية الفنية - قسم الرسم والتصوير- وهي باحثة في الفنِ التشكيلي أيضاً، شاركت في العديد من المعارض الفنية داخل الدولة وخارجها، مثل معرض الليوان الثاني للفنون البصرية المقام في المدينة المنورة، في المملكة العربية السعودية في يومي 15-16 مارس 2019، وفي مملكة البحرين، ودولة الكويت، وسلطنة عُمان، وجمهورية مصر العربية.

للدكتورة وضحى حمدان الغريبي العديد من الأبحاث والدراسات والمقالات منشورة في العديد من المجلات، ومن مؤلفاتها «التنوع الثقافي في مشهد الفن الإماراتي المعاصر»، من إصدارات دائرة الثقافة في الشارقة. ولها مقال بعنوان «التعددية الثقافية وأثرها على الفن التشكيلي الإماراتي» في مجلة «بحوث في التربية والفنون» في جمهورية مصر العربية. وبحث بعنوان «التواصل الثقافي والفني والأجنبي وأثره في الفن التشكيلي الإماراتي» قدمته للمؤتمر العلمي الدولي الثامن لكلية التربية الفنية، كلية التربية الفنية، جامعة حلوان. للتعرف أكثر على الدكتورة وضحى حمدان الغريبي أجريت معها الحوار التالي:

- حدثينا عن طفولتك ومراحل تعليمك في المدرسة وفي المرحلتين الإعدادية والثانوية وموقع الفن في تشكيل شخصيتك؟

كنت منذ صغري أرسم وأسترسل في الرسم والتلوين، وأقضي معظم وقتي بين كراسة الرسم والألوان، فأنا أعشق الرسم منذ الصغر؛ فكنت أرسم النخيل، والبيوت وفي داخلها الأشجار والأطفال، وتفاصيل صغيرة لأدوات المنزل وأثاثه، كما كنت أرسم ألعابي، وأشارك دائماً في معرض المدرسة، وحتى في المسابقات الدولية الخاصة بالفنون التشكيلية، ودائماً أحصل على مراكز متقدمة عالمياً وأنا طالبة، ما ساعدني على الاستمرار في تعلّم الرسم أكثر، وازداد شغفي أكثر، وكبرت معي هوايتي، ونمت محبتي للألوان، وبسبب حبي للرسم قررت أن أكمل دراستي الجامعية بدراسة الفن، لهذا أكملت الماجستير والدكتوراه.

بعد دراستي الأكاديمية للفنون أعطيت لأعمالي الصياغة الفنية المعاصرة من خلال الجمع بين اللغة التشكيلية الحديثة والتوظيف الثري لمعطيات الفنون، المرتبطة بالبيئة الإماراتية والتراث الإماراتي، ودائماً أستخدم مفردات فنية مرتبطة وخاصة بالهوية الإماراتية، وبعد ذلك وبسبب الاطلاع على تجارب الفنانين تغيرت نظرتي للفن كثيراً، بعد أن شاهدت لوحات الفنانين العرب المتميزين، وتجارب بعض الفنانين الانطباعيين والتكعيبيين والتجريديين الرواد، وبدأت أجرب محاولات محدودة في الفن الحديث بإشراف أساتذة الفن. كما بدأت أتأمل لوحات رسامي الجيل الأول من مصر والعراق والشام والمغرب العربي أيضاً. لقد أثر الفن في شخصيتي كثيراً؛ حيث تعلمت استلهام الأفكار والقيم الأخلاقية، وتعزيز التفكير الإيجابي، ومن ناحية أخرى تعزيز مهاراتي الفنية والمعرفية.

-أنتِ حاصلة على دكتوراه الفلسفة في التربية الفنية، فما علاقة الفلسفة بالفن بنظرك؟

ارتبطت الفلسفات قديماً وحديثاً بالفنون، وكان للفلاسفة والمفكرين إسهام كبير في تشكيل قوالب ثقافية وفنية وآراء عنيت بتفسير الأعمال الفنية كمدرك جمالي، وقيمة فكرية وثقافية أبدعها الإنسان لتفسير الكثير من حركته في محيطه الكبير، فالباحث يجد ذلك محوراً مهماً في فهم حقيقة ثقافة الفن، فعلاقة الفن بالفلسفة هي علاقة قوية، بحيث يمكن اتخاذه فرعاً من فروع الفلسفة، ومعياراً لقياس جمالية العمل الفني ونقده وتحليله. فالفلسفة

وضحى حمدان الغريبي

إذن لا تستغني عن الفن، كما تتخذه أسلوباً للعرض، والفن بدوره يعتمد على الفلسفة وخاصة في المجال النقدي.

- ما أشرتُ إليه في السؤال السابق يدعونا إلى طرح سؤال آخر مرتبط به وهو ما علاقة الفلسفة بالفن التشكيلي؟

إن الفن التشكيلي والفلسفة يكملان بعضهما بعضاً، حيث توجد أعمال فنية تقوم على فكرة فلسفية فيها من الإبداع والخيال والعمق والجمال، بينما تعتمد الفلسفة الفن للكشف عن مفاهيم وعوالم جديدة ودوافع للفنان ليشارك الناس حالته الوجدانية، ويكشف عن عوالم جديدة يرى ذاته في مراياها الإبداعية العاكسة.

- ما هي أبرز البحوث والدراسات التي أنجزتها قبل تأليفك كتاب «التنوع الثقافي في مشهد الفن الإماراتي المعاصر»؟

نشرت في مجلة «بحوث في التربية والفنون» في جمهورية مصر العربية، مقالاً بعنوان «التعددية الثقافية وأثرها في الفن التشكيلي الإماراتي»، حيث تناولت في هذا البحث مفاهيم الفن التشكيلي الإماراتي المعاصر، نتيجة الاحتكاك والتعددية الثقافية، وهذا واضح بشكل خاص في الفن التشكيلي، وتسرب عناصر من ثقافات أخرى إلى أعماله، وقد استفادت الحركة التشكيلية الإماراتية من هذا التنوع، وانخرط الكثير من الفنانين الإماراتيين في الحداثة الفنية، وانطلقوا في تجارب فنية عالمية.

وهذه التعددية الثقافية خلقت نوعاً خاصاً من النتاج الفني في أعمال الفنانين الإماراتيين المعاصرين، التي يجب أن تكون محور اهتمام الأبحاث الفنية، وكذلك التعرف على الأبعاد الفكرية والفلسفية لفن التصوير المعاصر في دولة الإمارات العربية المتحدة، لمواكبة الاتجاهات الفنية المعاصرة، وتوثيق للمراحل الفنية المختلفة لفن التصوير المعاصر في الإمارات لاستنباط مفهوم الهوية، ومدى ارتباطها بالتعددية الثقافية، سعياً إلى تنمية الوعي الثقافي وتحقيق مفهوم الهوية والمواطنة في دولة الإمارات.

كما سعيت من خلال هذا المقال إلى دراسة وتصنيف وتحليل بعض أعمال الفنانين الإماراتيين، وأساليبهم المختلفة للبحث عن الفكر الإبداعي والابتكاري التي تتسم به أعمالهم المستمدة من الموروث الإماراتي، والممزوج بالثقافات الوافدة على دولة الإمارات العربية المتحدة.

وكذلك نشرتُ في مؤتمر دولي، بحثاً بعنوان «التواصل الثقافي والفني والأجنبي وأثره على الفن التشكيلي الإماراتي» في المؤتمر

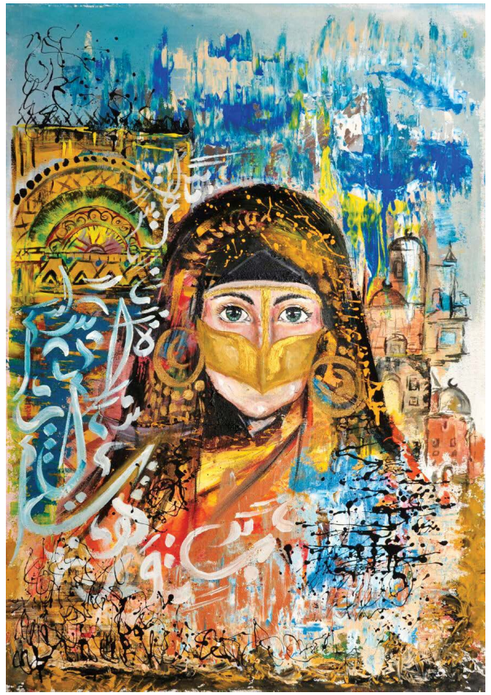

العلمي الدولي الثامن لكلية التربية الفنية، كلية التربية الفنية، جامعة حلوان، تحدثتُ فيه عن المشاركات الفنية الإماراتية على مستوى العالم، الذي يعكس عمق التجارب الفنية الإماراتية وأصالتها، واتساع طيف تجاربهم الفنية بأنواع مختلفة من التقنيات، وذلك من أجل بناء جسور التواصل والتلاقي الإنساني عبر حوار الثقافات، والتبادل المعرفي والفني فمن خلال الثقافة والفن يعبر الفنانون الإماراتيون المعاصرون عن التزامهم بنشر السلام والمحبة والجمال، وبناء علاقات متينة مع الثقافات الأخرى، حيث اتضح تأثر الفنانين الإماراتيين المعاصرين بمعطيات تراثهم والتعبير عن التعددية الثقافية المتراكمة، والمتنوعة بثقافات وحضارات شعوب العالم المختلفة والممزوجة بمعطيات البيئة الإماراتية وتراثها الزاخر مثل الفلكلور والفنون الحرفية.

- ماالدوافع والغايات من تأليفك لهذا الكتاب أقصد «التنوع الثقافي في مشهد الفن الإماراتي المعاصر»؟

كتبتُ هذا الكتاب بدافع التحدي، والتعرف على التنوع

الثقافي الموجود على أرض الإمارات العربية المتحدة، وطريقة تناوله بطريقة جذابة للنفس البشرية لترسيخه في الذهن، والقيم الإنسانية النبيلة، فالفن بصفة عامة رسالة إنسانية لها أثر عميق على النفس البشرية، كما له مغزى في الحياة فهو الإبداع والتميز والأصالة والتفرد، وهو وسيلة للتعبير عن الأفكار والمشاعر أيضاً، لتقريب وجهات النظر بين الشعوب.

- حدثينا عن أبرز القضايا التي تناولها كتابك؟

خصصت حيزاً مهماً لدراسة مسألة التبادل الثقافي والحضاري الموجود على أرض دولة الإمارات العربية المتحدة، وهذا التنوع الثقافي بالذات أفضى إلى تحقيق نوع خاص من الحوار الفني، وهذا ما نلاحظه في أعمال الفنانين الإماراتيين المعاصرين، التي يجب أن تقدم فيها الأبحاث الفنية.

كما حاولتُ الكشف عن مدى استفادة الفنانين الإماراتيين من التفاعل الثقافي الموجود على أرض هذه الدولة، ومن جانب آخر سعيتُ إلى إبراز دور الفنانين الإماراتيين، وتسليط الضوء عليهم وتناول زوايا مختلفة من سيرهم واتجاهاتهم الفنية وأثرها في الفكرين الإبداعي والابتكاري داخل أعمالهم الفنية.

- لماذا انصبَّ اهتمامك على الفن الإماراتي المعاصر على وجه التحديد؟

لم يأتِ هذا من فراغ، بل إن من دوافع هذا الاهتمام كون دولة الإمارات العربية المتحدة تزخر بالعديد من المؤثرات والعناصر، مثل التغير الحادث في مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية الحديثة والمعاصرة، التي هي نتاج التنوع الثقافي التي أثرت بشكل مباشر في تغير إيقاع الحياة، ومن المفترض أن ينعكس ذلك على إنتاج الفنانين الإماراتيين المعاصرين، وارتباط الفنان الإماراتي بهويته، مؤكداً إبراز الخصوصية الإماراتية، مع التبادل الثقافي والحضاري الموجود على أرض الدولة، هذا التنوع الثقافي جعل هناك نوعاً خاصاً من الحوار الفني الذي نلاحظه في أعمالهم الفنية.

ماذا تقصدين بالتعددية الثقافية في مؤلفك؟

أقصد بالتعددية الثقافية التنوع في الرؤى الفنية التشكيلية والجمالية والفكرية للفن المعاصر، والانفتاح على الآخر والدخول في حوار مع الحضارات الأخرى، ومراجعة تراث المجتمعات، ونقد ثقافة الآخر، فجميع هذه العناصر ضرورية لبناء ثقافة عصرية جديدة، تمتلك القدرة على تصحيح بعض عناصرها بما يناسب خصوصيات المجتمع، فهي حركة تفاعل مثمر بين ثقافات وحضارات متنوعة، بقصد إنتاج أعمال فنية امتزج محتواها الثقافي والتراثي مع محتوى ثقافي جديد.

-حدثينا عن واقع الفن الإماراتي ومستقبله؟

عند التطرق إلى واقع الفن الإماراتي نجد أن الفنانين الإماراتيين ومنذ بداياتهم الفنية استطاعوا مواكبة التطور الحاصل في العالم، وتبنوا أساليب ومدارس فنون الحداثة وما بعد الحداثة، لكنهم تمسكوا بالتراث الإماراتي.

أنتِ فنانة تشكيلية، فما الثيمة التي تغلب على لوحاتك؟

أعمالي مستمدة من مقومات جمالية وفنية مستوحاة من التراث الإماراتي، وأعتمد على الموضوعات المرتبطة بواقع الحياة الإماراتية وما تشتمل عليه من عادات وتقاليد ومعتقدات، وكذلك على دراسة السمات الفنية في تصوير الفن الحديث وربطها بالاتجاهات الفنية المعاصرة، ومحاولة الاستفادة من الحلول التشكيلية والمعالجات الفنية التي تحققت في أعمال الفنانين الذين تأثروا بالتنوع الثقافي.

ما أبرز المعارض الفنية التي شاركت فيها؟

شاركت في العديد من المعارض الفنية داخل الدولة وخارجها، وعلى سبيل المثال معرض الليوان الثاني للفنون البصرية المقام في المدينة المنورة، في المملكة العربية السعودية في يومي 15-16 مارس 2019، وفي مملكة البحرين، ودولة الكويت، وسلطنة عُمان، وجمهورية مصر العربية.

-كيف تنظرين إلى مسألة النقد الفني في الوطن العربي؟

إن النقد الفني له أهمية كبيرة ومؤثرة في الحراكين الثقافي والفني، فالعمل الفني لم يكتمل حضوره لدى المتلقي إلا من خلال الناقد الفني، أما حضور النقد الفني في الوطن العربي، فهو واضح ولا يحتاج إلى بيان.

بنظركِ ما موقع التراث العربي في الفن التشكيلي الإماراتي؟

لقد أخذ الفنان التشكيلي العربي يبحث برؤية تشكيلية عربية معاصرة تمتلك جذوراً تمتد في البيئة المحلية، بالإضافة إلى امتلاكه شخصية متفردة تتلاءم مع طبيعة مجتمعه وتركيبته الثقافية والمعنوية والروحية، فنحن نلاحظ في أعمال بعض الفنانين الإماراتيين المعاصرين خروجها عن إطار القضايا الذاتية؛ حيث تروم مناقشة قضايا عامة من التراث العربي. وبناء على الانفتاح الثقافي، ومبدأ التعددية الثقافية اتخذ الفنان التشكيلي من العمل الفني منبراً للبحث عن حلول مجتمعية، تدعم قبول الآخر والتعايش السلمي مثلاً.

كيف تنظرين إلى أعمال الفنانين الإماراتيين وما نصيبهم في دراساتكِ؟

بصراحة معظم الفنانين الإماراتيين كل واحد منهم له بصمة خاصة وله أسلوبه الخاص المميز الذي يتميز به، فلكل فنان مكانه الخاص عندي.

بنظرك هل التكنولوجيا الحديثة وتقنياتها أثرت سلباً أم إيجاباً في الفن عموماً والفن التشكيلي خصوصاً؟

أعتقد أن التكنولوجيا الحديثة أثّرت إيجاباً في الفن التشكيلي بسبب سرعة الانتشار، وتبادل المعلومات في وقت زمني قصير، وللتكنولوجيا الرقمية الحديثة تأثير في الفن التشكيلي المعاصر، فقد سهلت عملية تشكيل العمل الفني بطريقة أسرع وأدق، بعد أن ارتبط الفن بالتكنولوجيا الرقمية وجعل لنفسه عالماً افتراضياً، مروراً بمراحل متعددة وتأثره بها من جوانب عدة كجانب التقنية والأدوات، وهذا ما أدى إلى ظهور العديد من أعمال فنية مبتكرة ومفاهيم جديدة.

-حدثينا بتفصيل عن أهم القضايا التي شملها كتابكِ «التنوع الثقافي في مشهد الفن الإماراتي المعاصر» وما هي الخلاصات والتوصيات التي يمكن أن تضعيها أمام المهتمين بمسألة التراث من أجل تحقيق التنمية؟

تناول كتابي الصادر عن دائرة الثقافة في الشارقة «فلسفة التنوع الثقافي في دولة الإمارات العربية المتحدة»، حيث تعَدّ دولة الإمارات بلداً نموذجياً في التعايش الثقافي والمعرفي المتوازن بين المواطنين والمقيمين على أرضها، وذلك في مناخ من الانفتاح على الثقافات الإنسانية ببعديها المعاصر والتراثي، وتعكس هذه الحالة الثقافية الإماراتية الاستثنائية مدى خصوبة وتنوع الساحة الثقافية الإماراتية، وبحكم وجود ثقافات من الغرب وأخرى من الشرق والشمال والجنوب على أرض لها تاريخها الثقافي والتراثي ذو المرجعيات العربية والإسلامية التي تمجّد العدل والتسامح والجمال، وتعكس هذه الثقافات المختلفة وخاصة الأجنبية منها تعدداً في الخبرة الفنية، وتعدداً في الأفكار المفاهيمية التي لا تنضب، والتي تعكس رؤى حديثة جاءت من واقع فكري لثقافات شعوب جاءت واستوطنت دولة الإمارات العربية المتحدة، التي أحيت فيها من فنها وفلسفاتها الفكرية.

وقد أثبتت دراسة أن وجود نحو أكثر من 200 جنسية تنتمي إلى ثقافات متعددة وحضارات مختلفة يعد عنصر ثراء وتنوع في دولة الإمارات العربية المتحدة، وهذا يؤكد قيم الانفتاح على الآخر وزرع ثقافة التعايش والتسامح بين المواطنين والقاطنين على أرضها، ووجود هذا الكم من الثقافات يضفي على المشهد الإماراتي حالة خاصة، وإضافة نوعية تشجع الفنانين الإماراتيين على الاطلاع على تجارب الآخرين والتواصل معهم، كما يتيح هذا الحضور اللافت للانتباه للثقافات المتعددة كذلك فرصة للتحاور والتبادل الثقافي والحضاري بين الشعوب، وإتاحة الفرصة لانتقال التجارب والخبرات، وما يميز الإمارات هو هذا الانفتاح المهم على ثقافة الآخرين، وتشبع أبنائها من خلال السفر، والجاليات الموجودة داخل الدولة ووجود وسائل التواصل الاجتماعي عبر الإنترنت...

كذلك تناول الكتاب التواصل الثقافي والفني مع الدول الأجنبية وأثره في التنوع الحاصل انطلاقاً من الفن التشكيلي الإماراتي، وكذا مساهمة المؤسسات الثقافية والفنية في الإمارات في تعزيز التواصل بين الشعوب، وأثر التنوع الثقافي في الفن الإماراتي المعاصر من خلال مختارات من أعمال بعض الفنانيين الإماراتيين، والتي تنطبق عليهم المعايير المتعلقة بالتأثر بالتنوع الثقافي، ومدى استفادتهم من التفاعل الثقافي الموجود على أرض الدولة، ومن جانب آخر إبراز دور الفنانين الإماراتيين، وتسليط الضوء على زوايا مختلفة من سيرهم واتجاهاتهم الفنية وأثرها في الفكر الإبداعي والابتكاري داخل أعمالهم الفنية ■

كاتب وقاص مغربي

رمزيات الحكاية الشعبية في رواية «أم الدويس»

للكاتب الإماراتي علي أبو الريش

أحمد عبد القادر الرفاعي

يمثل الموروث الشعبي مادة خصبة من خلال غناه بألوان وتباينات من التعابير وأشكالها الإيمائية التي تعبّر عن مراحل التاريخ البشري وقد اتسع المصطلح في الثقافة الإنسانية ليشمل التراث الشعبي الحي والإبداع بأنواعه وأشكاله المتمثلة في السرد والحكايات والأمثال والسير الشعبية والملاحم وإلى آخر الفنون التشكيلية والتعبيرية والأدبية، وتضم المأثورات الشعبية الإماراتية فروعاً متعددة ومختلفة ومتباينة وثرّة وذات رؤى جماعية تنمّ عن قيم المجتمع وسلوكه وأفكاره، ومنها المأثورات الشعبية والشفاهية والسير والحكايات والأمثال والأهازيج والأغاني، ويطلق بعضهم عليها الأدب الشعبي الذي يعرف بأنه «أدب الشرائح الشعبية التي تسهم في إنتاجه وتشكيله وحفظه الذاكرة الجمعية والوجدان الجماعي العام وهو بذلك يمثل خلاصة للتجارب الجمعية عبر التاريخ ومن خلال تعاقب الأجيال التي تتناوله في المناسبات الاجتماعية، وفي الأفراح والأحزان.. وبالتالي فإنه فن شفاهي قولي من مُرْسِلٍ إلى متلقٍّ.. لذلك كانت الذاكرة هي الحافظة وهي الوعاء المجدد للسمات الشفاهية على السير والحكايات الخرافية والأسطورية». ومن هذا نرى أن الأدب الشعبي يتضمن عناصر وأنواعاً كثيرة تختلف في بنائها الفني والأسلوبي ويعدد بعضهم هذه العناصر بـ: (الأسطورة، الحكايات الخرافية، الحكايات الشعبية، اللغز، المثل الشعبي، الأهازيج والأغاني الشعبية).

وفي الرواية العربية عموماً والإماراتية خصوصاً هناك الكثير من الروائيين الذين وظّفوا الحكاية الشعبية واستلهموا منها في محاولة لترتيب أوليات المجتمع النفسية والفكرية والوجدانية، فالحكاية الشعبية هي قصة مكتنزة بوقائع وحوادث عجيبة وغرائبية وتعتبر نوعاً من أشكال التعبير الشعبية التي تنتمي إلى الأدب الشعبي الذي يشكل منصهراً للتقاليد والقيم ومعبراً بشمولية عن آمال وآلام الجماعة وهويتها، والحكاية الشعبية هي حكاية من المخيال الشعبي المتداولة عبر الزمن والأجيال، وهي عملية خلق فني تتميز بقدرة على استيعاب المخيلات واحتضان أصول مختلفة للقصص، وقد سجلت الحكاية الشعبية حضوراً مميزاً في الأدب الإماراتي ابتداءً من فن القصة القصيرة، ومن أمثلتها قصة (درب أم الدويس) لسارة النواف، وقصة (رأس ذي يزن) لسعاد العريمي، وقصة (خروفة) و(الطائر الغمري) لعبد الحميد أحمد، وقصة (مواء امرأة) لفاطمة الكعبي. ومن النصوص المسرحية التي ظفرت بالحكاية الشعبية خاصة حكايات الجان والخوارق والمسرحيات الاجتماعية نستطيع أن نرصد مسرحيات: (حبة رمل) و(خرزة الجن) لناجي الحاي، ومسرحية (ليلة زفاف) و(الياثوم) لسالم الحتاوي، ومسرحية (جميلة) لجمال مطر. ومن الروايات الإماراتية التي استلهمت الحكاية الشعبية رواية (بئر معطلة) لفاطمة الكعبي، ورواية (قوس الرمال) للكاتبة لولوة المنصوري، وكان للشاعر والروائي علي أبو الريش غير رواية وظّف من خلالها الحكايات الشعبية ومنها: رواية (تل الصنم)، ورواية (سلايم)، ورواية (ثنائية مجبل بن شهوان). ومن أبرز هذه الروايات رواية (أم الدويس) محور دراستنا في هذا المقال.

والكاتب علي أبو الريش روائي وشاعر وإعلامي إماراتي من رواياته: السيف والزهرة، رماد الدم، ثنائية مجبل بن شهوان: الحب والغضب، سلايم، زينة الملكة، فرّت من قسورة، الغرفة 357، ك - ص ثلاثية الحب والماء والتراب، وظبية الجواء، وأم الدويس... وغيرها، وقد اختيرت روايته (الاعتراف) كواحدة من ضمن أفضل مئة رواية عربية في القرن العشرين، واستطاع أن يضع الرواية الإماراتية على خارطة السرد الإماراتي، وحصل على جائزة الإمارات التقديرية للعلوم والفنون والآداب عام 2008، وجائزة الأوائل في دولة الإمارات العربية المتحدة من سمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم في عام القراءة 2016.

وفي رواية (أم الدويس) التي تحمل عنوان الحكاية الشعبية الإماراتية نفسه يتناول الكاتب علي أبو الريش الحكاية الشعبية بدراسة الفكرة من الحكاية وتوظيفها كعقدة أساسية في روايته، ولا يمكن تصنيف الرواية على أنها رواية فعل، بل رواية فكرة وتحليل سيكولوجي، نجد فيها قدرات أسلوبية ولغوية خاصة بالمؤلف، وذلك من خلال الحوار الداخلي الذي يسود معظم الرواية للبطل «فيروز» الضليع بعلم النفس والتفكير الفلسفي، والذي يشكل محوراً تدور حوله كل الشخوص والمواقف والأحداث، حيث يمسك بزمام السرد وفعل القص، ويهيمن على الرؤية الفكرية والنصية، فبطل الرواية (فيروز) يخرج من جزيرته وينشئ علاقات تستهدف البحث عن منشأ الخرافة أو الأسطورة (أم الدويس) ويتناول دراستها في الباطن السيكولوجي، وفي الواقع الموضوعي الاجتماعي وذلك من خلال توظيف حكاية أم الدويس الرائجة في الأدب الشعبي الإماراتي، وفي التراث السردي الإنساني كما جاء على لسان الشيخ ضاوي أحد شخصيات الرواية.

وفي دراستنا لرمزيات الحكاية الشعبية في رواية «أم الدويس» لا بدّ من توضيح مفهوم الرمز الروائي الذي يساعد على الفهم والتفسير والتأويل متعدد الأبعاد بحسب نوعية الرموز المدروسة ومجال وجودها، والمفهوم النفسي للرمز يتمثل بنتاج الخيال اللاشعوري، وهو نتاج تأويلي يشبه صور التراث والأساطير، أي إنه متنفس تخييلي يشير إلى رغبات أو صور مكبوتة في الذاكرة اللاشعورية يستحضرها الرامز، ومما لا شك فيه أن الروائي في طور تأليف روايته يكون قد وضع نصب عينيه مقاصد خاصة يريد تحقيقها وذلك من خلال أحداث الرواية، وشخصياتها، ومكانها، وبقية عناصرها. وقد يسعى سعياً حثيثاً إلى جعلها

رموزاً خاصة ليخلق علاقة وثيقة بينها وبين بناء النص، ولفظ (أم الدويس) كما جاء في معجم ألفاظ لهجة الإمارات وتأصيلها يطلق على شخصية خرافية من الجنّ تظهر ليلاً متزينة بأجمل زينة ومعطاراً لتجذب الرجال إليها، لتصرعهم بالمنجل، وهو الداس وتصغيره دويس، على أن أم الدويس تصغير داس. وقد ذكر (فيروز) بطل الرواية لفظ رمز غير مرة في حديثه عن أم الدويس ومن ذلك (إذاً أتكون هذه هي «أم داس» التي أبحث عن تاريخها، ولِمَ لا؟! قد تكون، تتراءى لي مجرد رموز مبهمة)، وهكذا نجد أن أم الدويس الحكاية شكّلت رمزاً دالاً بذاته في (أم الدويس) الرواية لتنفتح لنا هذه الرواية على مجموعة من الرموز المتعددة واللامنتهية في نفس الرامز والمتلقي على حدٍّ سواء، لتشكل لنا الرواية سرداً بحثياً فيه من قواعد البحث وأدواته الفلسفية والنفسية الكم الكبير ولكن بسردية

فاتنة حيث تصبح الرواية جبلة من الحكاية والسرد والبحث والتساؤلات والفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع والبحث في كنه الذات، وخليطاً إبداعياً من نقائض الغموض والغرائبي والواقعي في كلٍّ جماليٍّ بديعٍ يستحق الدراسة، ولننطلق من رمزية العنوان (أم الدويس) الذي يطلّ علينا في بداية رحلتنا مع الرواية وكونه يحمل عنوان الحكاية ذاته فهو يحمل العديد من الوظائف والدلالات والرموز ويمثل مدخلاً ذهبياً لسبر أغوار النص وقد كان أداة فاعلة في ارتباط الرواية كنص أدبي بالحكاية الشعبية، وبالنسبة إلى رمزية المكان في رواية (أم الدويس) فقد مثلت القرية التي كان يسكنها فيروز المكان الذي ضاقت عنه الفكرة لينطلق في تجربة إنسانية رحلية جعلت من الأثر الكتابي والأثر النصي يقدم لنا رحلة فكرية امتزجت فيها الحكاية بكل أمكنتها، حيث تظهر أم الدويس في الرواية على شكل كائن خارق قادر على الديمومة والاستمرارية والتواجد في كل مكان لتظهر قدرة الحكاية على التأثير النفسي والسيكولوجي: (تقول صار الخوف كائناً حياً له أنياب ومخالب، وعينان حمراوان، ووجه محتقن بالعدوانية، أصبحت على يقين من أنه يستطيع أن يستولي على أي إنسان يريده، كما تفعل أم الدويس، تردد أم الدويس أم الدويس هي الخوف بذاته بشحمه ودمه ولحمه، أم الدويس التي أبحث عنها في كل مكان، تسكن في كل مكان). ومن الرمزيات في الرواية أيضاً الحلم الذي يظهر كأداة سردية جاءت في بعض أجزاء الرواية في المونولوج الذاتي لفيروز إذ يقول لنفسه: (تقول: ليس فيّ ما يخيف، وما هو إلا مجرد حلم، ثم تستعيد ذاكرة مجونك، ولكن الحلم لا يأتي من فراغ، الحلم وسيلة للتعبير عما يقطن في اللاشعور... أي حلم مرعب يمكن أن يجلب صوراً بهذه الهيئة، ثم تضيف، لا ضرر عليّ أن أمتلك ناصية الشجاعة، وأمضي قُدُماً لعلي أكتشف أشياء لم تكن في خلد الآخرين)، وكذلك ظهر البحث عن أم دويس رمزاً للبحث عن الذات وكأنه مجهر يجعلنا نسبر أكوان الذات وأسرارها: (قلت يائساً: سأبحث عن ماذا الآن؟ عن زُحل، عن أم دويس، عن المرأة، أم عني أنا؟. أنا لا شيء في حضور امرأة تحتفظ بمنجل ورغبة جامحة في القتل). ومن الرمزيات التي حفلت بها الرواية أيضاً يمكن الحديث عن الوعي والوجدان والتاريخ: (قلت له: يشغلني كثيراً في هذه الأيام موضوع الساحرة أم الدويس، فهي المخلوق الذي أسس مساحة واسعة من وعي الناس، واحتل جبلاً من وجدانهم... تقول: ولِمَ لا؟ أليست هذه الخرافة جزءاً من تاريخ مجتمع بأسره)، وننتقل إلى رمزية الهاجس الدائم التي لازمت البطل فيروز في معظم أجزاء الرواية: (يقول، وهو يلتقط ألبومه الذي تركه مطوياً عند المسند المجاور لمسندك: ألم تعجبك أي منها؟ تقول ساخطاً: لا.. لا تعجبني هذه الأنماط. يضحك مزمجراً: أنت لا يعجبك شيء غير أم الدويس). لتتشكل بها رمزية الهوية البحثية التفسيرية ذات الذريعة السردية الخاصة بالحكاية وإعمال الفكر فيها: (قلت: ليست المسألة أن أصدق أو لا أصدق، بل يجب البحث عن الحقيقة، فالقضية الأساسية لا تتعلق بأم الدويس ككائن قد يكون مخترعاً، بل إن الجوهر في الموضوع هو الأبعاد الاجتماعية واللاشعور الجمعي الذي يصنع مثل هذه القصص، وتستطرد: يجب أن نسأل أنفسنا كيف جاءت قصة أم الدويس؟، وكيف تجسدت ككائن طبيعي يعيشه الناس، ويصيغون حوله الحكايات والروايات؟). وترمز الحكاية في رواية أم الدويس إلى مواجهة بين الفعل والتبرير والإصرار على البحث، على الرغم من التعب والمغامرة والخوف والخطر: (يقول: وماذا تفعل هنا في هذه الساعة المتأخرة من الليل؟ تقول: جئت أسأل أهل الجبل عن أم الدويس. يرد بلهجة جادة: أم الدويس؟ تقول: أجل. يقول: وما شأنك بها؟ تقول: لمجرد المعرفة. يرفع حاجبيه، يشيعك بنظرة جازمة: لمجرد المعرفة!، وتجازف بوقتك وجهدك؟! تقول: لقد شغلتني كثيراً وأردت أن أعرف سر هذه المرأة). ويظهر في الرواية تجريد أم الدويس بالفكر وتجسيدها في الروح والوجدان بعد أن تسيطر الحكاية عليهما: (تقول وأنت تستدعي قدراتك كلها، وطاقاتك في علم النفس، لكنك لا تجد العلة التي تجلي لك الحقيقة،

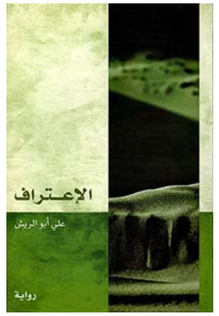

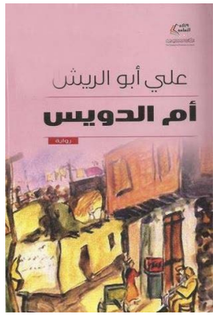

الحقيقة التي تبحث عنها هي خوف الناس من أم الدويس. ما هذا الخوف الذي يبدو طلسماً؟... تقول: الأشياء المجردة لا تتجسد لمجرد أن نصنع لها تمثالاً من طين، أم الدويس شيء مجرد، الآخرون يجسدونه في هياكل شبه مستحيلة). وقد مثّل استلهام الحكاية في رواية أم دويس عاملاً من عوامل الإثارة والتشويق وتصاعد الحوار وخاصة الذاتي منه: (تفكر، هم يقولون إنهم يخافون منها، على الرغم من أنهم لم يروها قط. مهزلة أن يخاف الإنسان من شيء لم يره أبداً لمجرد أنه سمع عنه... تتذكر، كنت في ليلة من الليالي تسير بجانب «سدرة قرواش»، السدرة المشهورة بموطن الجن، ومستقر أم الدويس، تعثرت بحجر، فقفزت زائغاً مرتعباً، صرخت، طلبت النجدة من الفراغ الحالك). وننتقل إلى الرؤية العالمية للحكاية التي مثلت رؤية سالم «مايكل» الرجل الإنجليزي وهو يفسر شخصية أم دويس: (ويقال إنه فسّر قصة أم الدويس على أنها حكاية عالمية، وأنها موجودة في تراث شعوب كثيرة، وبأسماء مختلفة). وقد مثلت رحلة البحث عن سر أم دويس رمزية دائرية كالسير في دائرة مغلقة لا نهاية لها بل هي امتداد طويل من التساؤلات والاستفسارات: (لكنك عندما تقف عند المنعطف الأخير عند الصورة المثلى، تجمد، وتبهت، وتبدو أسئلتك المبهمة أشبه بالقضبان الحقيقية التي تطوق عنقك، تشعر بالاختناق، تحاول أن تفك الرموز المتشابكة). ومن الاستمرارية والعالمية ننتقل إلى النشأة القديمة للحكاية: (أم الدويس ليست صناعة حديثة العهد، بل هي منتج قديم قدم الدهر، في تلك الأمكنة أيضاً كانت خيام منصوبة على أعمدة من جذوع النخيل... نشأت أم الدويس على أثر السواد). وفي رمزية أم دويس الأنثى وصراعاتها المتكررة مع الرجل وهو محور السرد في الرواية نجد حواراً مونولوجياً يفسر الكثير من هذه المظاهر، ومنها: الصراع القائم بين العلم والخرافة، وبين اليقين والشك، نجد ذلك في النص على لسان فيروز: (ثم تضيف: ما يذهلني من هذا الترادف في الأقوال، من أن أم دويس امرأة وليست رجلاً، فكل الجمائل والوسائل الباهرة من صنع الرجل، وما عدا ذلك من أشياء تهديدية في الكون من صنع المرأة، كيف؟!... إذاً يا ترى من صنع الحكاية؟ أرجل ناقم، أم امرأة مازوخية كارهة لذاتها؟ أم إن كل ما يدور هو حقيقة لا بد من إثباتها بعقل محايد؟).

وهكذا نجد أن توظيف الحكاية الشعبية في رواية (أم الدويس) للكاتب الإماراتي علي أبو الريش شكلت بُعداً بلاغياً وسردياً وصراعاً فنياً فلسفياً منطلقاً من أسئلة الروح والجسد والفناء والخلود والإرادة والخوف والطبيعة، جعلت من الحكاية الشعبية نسغاً جديداً يسري في جماليات السرد الروائي ليشكل أبعاد المساحة الفكرية بين الحكاية والرواية ولتعلن نفسها جزءاً من ذاكرة الزمن قديمة بقدمه موجودة بوجوده ومستمرة باستمراره وتطلق رحلة فكرية طويلة في فلسفة العقل والروح والجسد والوجود ■

كاتب من سوريا

المصادر والمراجع:

1 - رواية أم الدويس، علي أبو الريش، أبوظبي: دائرة الثقافة والسياحة، دار الكتب، 2020.
2 - توظيف الموروث في الأدب الإماراتي النص المسرحي نموذجاً، عبد الفتاح صبري، نادي تراث الإمارات، ط 1، 2013.
3 - معجم ألفاظ لهجة الإمارات وتأصيلها، الأستاذ الدكتور عبد الفتاح الحموز، مركز زايد للتراث والتاريخ، ط 1، 2008.
4 - قراءة نقدية في نصوص إماراتية، عائشة سعيد الزعابي، الظبي للنشر، ط 1، 2013.
5 - مقالات متفرقة نشرت في صحف: (الاتحاد - البيان - الخليج) عن التراث في الرواية الإماراتية.

حياة دون قوسين مغلقين

فاطمة حمد المزروعي
كاتبة وباحثة من الإمارات

يعدّ الكاتب الأمريكي أرنست همنغواي أحد أعلام الرواية في القرن العشرين، حيث فاز بعدة جوائز توجت عام 1954 بفوزه بجائزة نوبل. عانى من تركيز الإعلام على حياته الشخصية أكثر مما يحتمله، فقد حفلت سيرة حياته بالمغريات من مشاركته في حربين عالميتين، شارك في الأولى بوصفه سائق سيارة إسعاف، وفي الأخرى عمل مراسلاً أجنبياً، أضف إلى ذلك الحرب الأهلية الإسبانية. أما حياته الشخصية فمنها علاقته المتوترة بوالدته التي رأى أنّها متسلطة بشكل لا يطاق، إلى جانب فشل زواجه عدة مرّات، بالإضافة إلى هواياته ومغامراته البحرية، وسفره إلى عدة دول في العالم أثرت لاحقاً في كتاباته وأجواء رواياته. الحرص على أن تكون حياته بين قوسين مغلقين، بعيداً عن أضواء الشهرة، وكاميرات الصحافة والتلفزيون جعله يغير بيته في كوبا؛ لأنه صار مزاراً سياحياً، وأن يدخل المستشفى في سنواته الأخيرة تحت اسم مستعار. وعلى الرغم من كل ذلك لم يُترك لشأنه حتى بعد وفاته، إذ أوصى بعدم نشر رسائله بعد وفاته إلا أنها نشرت.

لا شك أن حياته بما فيها من أحداثه، وموقفه من الإعلام أثار شهية الصحافة والنقاد للكتابة عنه، لكنه عانى من ذلك أشدّ المعاناة خاصة في سنواته الأخيرة. كان يرى أن على الإعلام أن ينشغل بالأدباء الأموات، لكنهم انشغلوا به في حياته وبعد مماته. يبدو هذا جليا من خلال ما نشر من رسائله. لقد أدّى التركيز الدائم على حياته الشخصية، وانتهاك خصوصيته إلى احتراقه الداخلي؛ بسبب كثرة الإشاعات التي قيلت عنه، ومن ثم أصابه الاكتئاب الشديد. إضافة إلى ما ورثه من مرض عن والده في إقدامه على الانتحار.

همنغواي مبدع وحساس، اهتم بتقديم صورة مكتملة ومبهرة عن ذاته. أراد أن يقدم حياته في جانب واحد، ألا وهو جانب الأديب؛ لذلك رغب في أن يكون التركيز على أعماله فحسب، بوصفه كاتباً يقضي جل ليله ونهاره في عمله، وأن يبتعد الإعلام عن دوره في الصحافة والحروب. أراد سيرة أدبية منقحة، قابلة لحذف أجزاء منها، أو حتى إهمالها. صورة يقدم فيها ذاته في أحسن تجلياته. كيف لا يكون ذلك وهو المبدع الذي حرص دوماً على تنقيح أعماله، بحثاً عن منتهى الجمال والكمال، لقد نقّح روايته «عبر النهر وبين الأشجار» 206 مرات، وروايته الأخرى 39 مرة.

يقول في إحدى رسائله: «أقضي معظم وقتي في المنزل، عندما أذهب إلى الخارج كل شيء أفعله يصبح حديث الجرائد. إن هذا لا يعقل. لماذا لا يتحدثون عن استيقاظي في ساعات الصباح الأولى من أجل أن أمارس الكتابة؟ أو عن أن طموحي كان دائماً أن أصبح أفضل كاتب للنثر في أمريكا، وأني أبذل قصارى جهدي لكي أحقق ذلك؟».

شكلت الرسائل بالنسبة إليه متنفساً، وتواصلاً مع الأدباء، ومتعة لا تقل عن كتابة القصص القصيرة. وهي فسحة للابتعاد عن الكتابة الإبداعية المرهقة، رغم مباهجها الجمة، خاصة وهو يرى معظم الناس منشغلين بالتلفزيون.

تطرح رسائله ما شغل باله من مواضيع، وإن كان من الصعب حصرها، لكني أشير إلى أمرين، منها ما كان يعانيه في بداياته من قلة الموارد المالية، من كتبه المنشورة، وعن أمله في أن تحقق له، ما يرجوه من سدّ احتياجاته هو وعائلته. على الرغم من حاجته إلا أنه رفض النشر بشكل دوري في المجلات، رغم ما قد يوفره له ذلك من عائد مالي، لكنه خاف أن يهبط مستوى كتابته بسبب ضغط الوقت، الذي عليه أن ينجز فيه المقالات والقصص. وهناك جانب سلطت الرسائل الأضواء عليه ألا وهو الجانب الإبداعي، منها حرصه على تنقيح المسودات، وآراؤه في الكتب والأدباء.

لقد حاول همنغواي تقديم ذاته للآخرين، في صورة منقحة، من خلال أدبه، لكن الإعلام والنقاد حرصوا على أن يقدّموه من كل الزوايا، في مقالاتهم، ودراساتهم ■

هيئة أبوظبي للتراث
Abu Dhabi Heritage Authority

إعلان طباعة كتب

وَضَعت هيئة أبوظبي للتراث خُطّةً لرفد المشهد الثقافي الإماراتي بإصدارات متنوعة تَخُصُّ تراث الإمارات وتاريخها؛ قَصْدَ إغناءِ المكتبة التراثية الإماراتية، وفَتْحِ منافذَ معرفيةٍ جديدةٍ أمام الباحثين، وتدعوهم إلى طباعة كتبهم وتسهيل نشرها، ليشارك بها في المعارض والفعاليات الثقافية. ويُقدِّمُ لمؤلّف الكتاب مكافأةً مالية تتراوح بين (10000 - 15000 درهم إماراتي).

شروط النشر:

- أن يَتّصف موضوع الكتاب بالجِدّة، والموضوعية، وشمول المعالجة، والفائدة المعرفية.
- ألا يكون الكتاب منشوراً سابقاً، أو مُقدَّماً للنشر في جهة أخرى.
- أن تكون لغةُ الكتابِ العربيّةَ الفصيحة المُصحَّحة لغوياً.
- ألا يكون الكتاب مترجَماً.
- أن يلتزم الكتاب بالمنهجية العلمية في التأليف، والأمانة العلمية، والنهْل من المصادر الأصيلة، وتدوين الهوامش أسفلَ كلِّ صفحة.
- أن تُدوَّن المصادر والمراجع في نهاية كل كتاب.
- أن يُرسَل الكتاب بصيغة الوورد، مرفَقاً بملخَّص من نحوِ مئتي كلمة باللغة العربية، وبنبذة مختصرة عن سيرة المؤلّف العلمية.
- أن يكون عدد كلمات الكتاب بين 30 و70 ألف كلمة.
- تَتَولّى هيئة تحكيم مختصة مراجعةَ الكتاب وتقييمَه وإصدارَ قرار نهائي بشأن طباعته خلال شهرين من تاريخ إرساله. وفي حال الموافقة، يلتزم الكاتبُ بإجراء التعديلات المقترحة.
- مدة العقد خمس سنوات.
- تُرسَل الكتب بصيغتَي Word وPDF إلى الإيميل التالي: torathbook@ehcl.ae

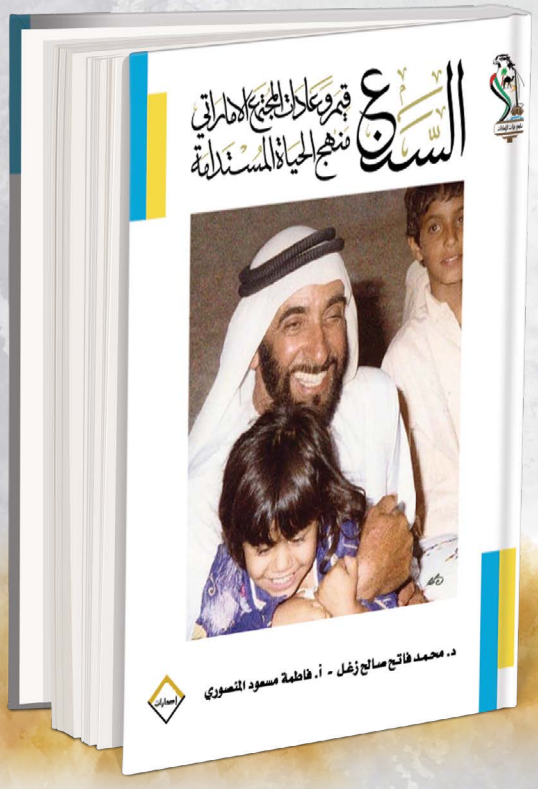

السَّنع
قِيَم وعادات المجتمع الإماراتي
منهج الحياة المُستدامة

كتاب «السَّنع: قِيَم وعادات المجتمع الإماراتي منهج الحياة المستدامة» ينطلق من مقولة المغفور له الشيخ زايد - طيّب الله ثراه - بأنّ «الثروة الحقيقية للأمة هي في رجالها»، وكذلك من مقولة الشيخ محمد بن زايد، رئيس الدولة - حفظه الله: «القِيَم والعادات والأخلاق والتفاني موجودة في كل مواطن وبيت وعائلة». ويُشكِّل هذا الكتابُ مساهمةً رائدة في مقاربة السَّنع الإماراتي بوصفه منهجَ حياةٍ إماراتيّةٍ مستدامة. ويأتي الكتاب في مقدمة، وثلاثة أبواب، وخاتمة. يتناول الباب الأول بفصلَيْه مفهومَ التراث الشعبي؛ أدباً وألغازاً وأهازيجَ ومأثوراتٍ وفنوناً وعاداتٍ وتقاليدَ ومعتقداتٍ ومعارفَ شعبيةً. كما يقف على التراث بوصفه هويّةً ثقافيةً للأجيال، مُذكِّراً بالموقف الرسمي للدولة ومؤسساتها وموقف الشعب الإماراتي من التراث. ويتطرق الباب الثاني بفصوله الثلاثة إلى أهميّة السَّنع الإماراتي في بناء شخصية الإنسان الإماراتي، وإلى قواعد السنع في الكلام والسلوك؛ فهي جميعاً تَدعو إلى الرجولة وما يرتبط بها من مفاهيم جوهرية كالاحترام والإخلاص وغيرهما، وما لذلك كلِّه من آثار إيجابية على الفرد والأسرة والمجتمع قاطبةً. ويقف عند الشعر الشعبي وفارسه الشيخ زايد، وكذلك عند شعراء الحكمة الإماراتيين. ويُخصَّصُ البابُ الثالث للحديث عن القوة الناعمة الإماراتية بوصفها من منجزات السَّنع - التاريخ والأصالة وآفاق المستقبل، والدعوة إلى التسامح ووثيقة الأخوّة الإنسانيّة وغيرها.